دكتور الشحات محمد أبو ستيت

كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر



الطبعة الاولى

١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م



٣ شارع جزيرة بدران شبرا ـ مصر

تقديم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ...

فقد ازدهرت الحركة النقدية فى القرن الرابع الهجرى لعوامل متعددة من أهمها المعركة النقدية التى دارت حول شعر المتنبى ، ومن قبلها المعركة النقدية التى دارت حول شعر أبى تمام والبحترى .

وتمثل هذا الازدهار فى ظهور عدد من المؤلفات الهامة فى النقد الأدبى والبلاغة ، ومنها : عيار الشعر لابن طباطبا ، ونقد الشعر لقدامة ، والموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى ، والوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى، والصناعتين لأبى هلال العسكرى، وغيرها .

وقد نالت هذه الكتب عناية الدارسين ، فما من كتاب منها الا وكتبت حوله وحول مؤلفه بحوث شتى ، ودراسات متعددة . غير أن ناقدا بارزا عاش فى القرن الرابع ، واحتل كتابه مكانة جليلة بين مؤلفات عصره ، لم ينل حظه من الدراسة ، ولم يظفر بما ظفر به غيره من بحوث ودراسات . حتى غدا غير مشهور بين طلاب الأدب .

ذلكم هو الشاعر الناقد أبو محمد الحسن بن وكيع التنيسى المصرى المتوفى سنة ٣٩٣هـ ، الذى دخل فى خضم المعركة النقدية

الدائرة حول أبى الطيب المتنبى وخرج منها بكتاب ضخم يعد أكبر كتاب ألف فى نقد شعر المتنبى وبيان سرقاته فى القرن الرابع •

ومن العجيب ألا ينال هذا الناقد حقه من الدراسة ، وهو صاحب جهود كبيرة فى ميدان النقد والبلاغة ، وانفرد من بين سائر نقاد المتنبى بتنخل شعره من أوله الى آخره حسب ترتيبه التاريخى ، مستخرجا ما فيه من سرقات ، ومتناولا اياه بالتحليل والنقد • ولا ننكر حديث بعض الباحثين عنه فى ثنايا تأريخهم للنقد الأدبى أو بعض قضاياه(١) الا أن هذا كان تناولا عاما غير كاف فى بيان جهود الرجل فى ميدان النقد والبلاغة •

وقد دفعنا هذا الى ازاحة الستار عن هذا الرجل وابراز جهوده البلاغية والنقدية فى معركته مع أبى الطيب المتنبى فى دراسة خاصة به، تكشف عن آرائه ونظراته ، وتضعه الموضع اللائق به بين أعلام النقد العربى فى القرن الرابع الهجرى •

وستمضى الدراسة وفق الخطة التالية :

تبدأ بتمهيد يصور المعركة النقدية حول شعر المتنبى فى القرن الرابع الهجرى،ويبين حياة ابن وكيع وآثاره • يلى ذلك أربعة فصول :

الفصل الأول فى دراسة مدخل ابن وكيع الى معركته النقدية ، ويشتمل على مبحثين :

الأول فى دراسة نظريته فى السرقات ، والثانى فى فنون البديع التى عرض لها •

---

(١) من هؤلاء : د• محمد مصطفى هدارة فى مشكلة السرقات • ود• احسان عباس فى تاريخ النقد الأدبى عند العرب •

والفصل الثانى : فى دراسة تطبيقات « ابن وكيع » لنظريته فى السرقات على شعر المتنبى . وما لنا من نظرات حول هذه التطبيقات .

والفصل الثالث فى دراسة نقد ابن وكيع لشعر المتنبى ، من خلال أربعة مباحث :

الأول : فى النقد المتعلق بالألفاظ .

الثانى : فى النقد المتعلق بالمعانى .

والثالث : فى النقد المتعلق بالصور البلاغية .

والرابع : فى النقد المتعلق بالصنعة .

والفصل الرابع : يتناول تأثر ابن وكيع بالسابقين ، وأثره فى اللاحقين .

وبعد هذه الرحلة تأتى الخاتمة ، لتلخص البحث وتبين أهم نتائجه .

ونسأل الله جلت قدرته أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم انه سميع الدعاء .

(ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) .

مكة المكرمة فى :

غرة رجب ١٤١١هـ

١٦ ينـاير ١٩٩١م

الدكتـور

الشحات محمد عبد الرحمن ابو ستيت

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى

تمهيد

اولا : المعركة النقدية حول المتنبى في القرن الرابع الهجرى

لم يكن المتنبى مفرطا حين قال بين يدى سيف الدولة :

وما الدهر الا من رواة قلائدى   اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا   وغنى به من لا يغنى مغردا

فقد أظهر التاريخ الأدبى صدق قوله الى حد كبير ، وابانت حركة الأدب سيرورة شعره فى كل مكان وزمان وتردده على كل لسان .

برز المتنبى فى الساحة الأدبية فملأ الدنيا وشغل الناس ، وحول أنظار العلماء والأدباء الى قريضة ، وصرف تفكيرهم الى شعره،حيث وجدوا أنفسهم أمام ظاهرة فريدة فى الشعر والشعراء .

شاعر مغرق فى الزهو بنفسه،يستهين بمن سواه ، ولا يأبه بمتقدم ولا محدث ، يتصرف فى اللغة تصرف المالك ، غير هياب من نقد يشينه، أو ناقد يعيبه ، دوت شهرته فى كل الأرجاء ، وهفت الى مدائحه قلوب الأمراء والوزراء .

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى   وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها   ويسهر الخلق جراها ويختصم

وشعر يختلف عما ألفوه من بديع أبى تمام واغرابه ، وسلاسة البحترى ، ووضوحه،يأخذ من القديم جزالته وقوته واحكامه،ويستفيد من الحديث معانيه الدقيقة ، وفلسفته العميقة ، وحكمته البالغة،دون تمسك بعمود الشعر ومقاييس النقاد .

وبهذا صدم المتنبى الذوق مرتين : مرة بشخصه المتعالى المتعاظم، ومرة بجرأته فى الشعر ، جرأته التى تركب المبالغة ، وتنتحل آراء فلسفية غريبة ، وتستخف بأصول اللياقة والعرف فى مخاطبة الممدوحين، ورثاء النساء ، وتتصرف باللغة تصرف المالك المستبد(١) .

أثار مسلك المتنبى فى حياته ، ومذهبه فى شعره جدالا ونقاشا ، وأخذا وردا ، وهجوما ودفاعا ، وانقسم الناس فى شأنه الى خصوم وأنصار ، ونشبت بين الفريقين معركة أدبية حامية ، دارت رحاها فى القرن الرابع الهجرى ، ولم تتوقف فى القرن الخامس ، ولا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان نارها لم تهدأ عبر العصور الأدبية التى تلته حتى يومنا هذا .

والعجيب فى هذه المعركة أنها لم تقتصر على قطر من أقطار الدولة الاسلامية ، بل اتسعت ساحتها حتى شملت كافة الحواضر الاسلامية فى ذلك الوقت .

ففى حلب ومن مجلس سيف الدولة كانت بدايتها الحقيقية،حيث وفد المتنبى على سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ ، وكان مجلسه غاصا بالقادة والشعراء والأدباء والعلماء ، فذاع صيته ، وأخمل ذكره ما سواه من الشعراء والأدباء ، ومن ثم نشأت بينه وبينهم خصومة تحولت الى مناوشات ومناقشات ومنازعات فى اللغة والشعر ، وعضدهم فى ذلك أبو فراس الحمدانى ابن عم سيف الدولة ، الشاعر المشهور ، وأبو العشائر ابن عم سيف الدولة وواليه على أنطاكية ، وهو الذى أثنى على المتنبى وقدمه الى سيف الدولة ثم أهمله المتنبى فلم ينس له ذلك ، وحول أبى فراس وأبى العشائر تجمع خصوم المتنبى ومنهم :

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ٢٥٢ .

أبو العباس النامى شاعر سيف الدولة المقدم قبل وفود المتنبى عليه ، وابن خالوية النحوى،وأبو على الفارسى،والسرى الرفاء،وغيرهم(٢) .

والتف حول المتنبى بعض الاتبـاع الذين لم تكن لهم صـولة الخصوم وقوتهم ومنهم : الشاعر على بن دينار والزاهى ، والفقيه ابن نباتة ، وأبو الفتح ابن جنى(٣) .

وفى مصر تكونت فى الفسطاط حلقة دراسية حول الشاعر لتدرس ديوانه تحت إرشاده،وبعد هرب المتنبى صار صالح بن رشدين الكاتب رئيس هذه المدرسة،وتحت نفوذ الشخصيات المعادية كالوزير ابن حنزابة تكونت أيضا طائفة كارهة ، وكان أشهر ممثلى هذه الطائفة الشـاعر العالم : ابن وكيع صاحب « المنصف »(٤) .

ومنها عبد الله بن الحسين بن حسنون الذى صنف نزهه الأديب فى سرقات المتنبى من حبيب(٥) ، ومن بعده محمد بن أحمد العميدى صاحب كتاب الابانة عن سرقات المتنبى .

وفى بغداد كانت الخصومة حول المتنبى أقوى منها فى آى مكان آخر ، ففى حلب كان تأييد سيف الدولة له يحميه من هجمات منافسيه، وفى مصر كانت أغلبية رجال الأدب معه ، وأما فى العراق فقـد كانت النفوس موغرة ضده ، فالخليفة ومعز الدولة ووزيره المهلبى يحنقون عليه لأنه مدح سيف الدولة خصمهم اللدود وخلـد ذكره وترفع عن مدحهم،ورجال العلم والأدب يهاجمونه لتكبره عليهم واحتقاره لهم(٦) .

(٢،٣) ينظر النقد المنهجى عندالعرب : ١٦٥ ــ ١٦٩ .
(٤) ديوان المتنبى فى العالم العربى : ٣٢ .
(٥) أبو الطيب المتنبى فى آثار الدارسين : ٤٠٨ .
(٦) النقد المنهجى عند العرب : ١٨٧ .

ومن ثم فلا عجب اذا ما رأينا الوزير المهلبى يدفع الشعراء والأدباء وعلى رأسهم الحاتمى الى هجائه وتتبع عواره كشف أستاره ليفارق العراق ، فتناولته ألسنة الشعراء بهجائها ، ورماه عن قوس العداوة من لم يرمه قبل عنها ، حتى مزق أديمه ، وفرى فرى الاهاب عرضه ، وأولع بهجائه سفيه من سفهاء البغداديين يعرف بابن الحجاج حتى اضطره الى الهرب فارتحل الى الكوفة ومنها الى فارس(٧) .

ولعل الذى خفف عن المتنبى من لهيب المعركة الحامية عليه فى بغداد صديقه على بن حمزة البصرى اذ نزل ضيفا عليه فى داره مدة اقامته فى بغداد الى أن رحل عنها ، وكانت دار البصرى منتدى يجتمع فيه أنصار المتنبى والمعجبون بشعره ، وكان يفد اليها ابن جنى ، وأبو القاسم الحمصى ، وكامل العزائمى . والحسن بن على الكوفى، ومحمد المغربى وعلى الكومى،وخادم المتنبى أبو بكر الشعرانى وغيرهم ولقد كان لهذه الاجتماعات من الأهمية الحاسمة فى مصير شعر المتنبى أكثر مما كان لاجتماعات حلب والفسطاط ، حيث كان يتدارس شعره ، ويقرأ عليه ديوانه ، ويسأل عن غوامض شعره ومشكلة ، وتم له فيها تهذيب شعره وحذف بعض مقطوعات قالها أيام صباه(٨) .

وقد التقى ابن وكيع بالبصرى ووصفه بأنه من المجردين فى صحبة المتنبى والمغرقين فى صفته ، وأخذ عنه بعض أخبار المتنبى ، وذكر أنه قال : لأبى الطيب معان لا يفسرها غيره(٩) .

ولم تخل البصرة من خصوم للشاعر ، فكان فيها على رأس خصومه الشاعر الأديب الحسن بن لنكك الذى أخمل المتنبى ذكره ، ولما بلغه

---

(٧) الرسالة الموضحة : ١٩٥ . ويتيمة الدهر : ١/١٢٠ ومابعدها

(٨) النقد المنهجى : ٢١٤ .

(٩) ينظر المنصف :١١٦ ، ١٥٩ .

ما جرى على المتنبى من وقيعة شعراء العراق فيه واستخفافهم به ، وكان حاسدا له طاعنا عليه شمت به ، وأكثر من هجائه ، زاعما أن آباه كان يسقى الماء بالكوفة ومن هجائه له :

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
أعطيتموا المتنبى فوق منيته فزوجـــوه برغم أمهـــاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تزدحم(١٠)

وفى فارس نشأت الخصومة مبكرة قبل رحيل المتنبى اليها ، حيث كان الصاحب بن عباد يطمع فى زيارة المتنبى اياه فى أصفهان وكان كاتبا لم يتول الوزارة بعد ، فكتب اليـه يلاطفه فى استدعائه ويضـمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبى وزنا ولم يجبه عن كتـابه وعرض به ، فصيره الصاحب غرضا يرشقه بسهام الوقيعـة ، والف رسالته : الكشف عن مساوىء المتنبى ، تتبع فيها عيوبه ، ونعى عليه سيئاته وسخر منه سخرية لاذعة وهو أعرف الناس بحسناته(١١) .

ووفد المتنبى على ابن العميد وزير عضد الدولة ، وكان صاحب ثقافة تتناول العلوم والفلسفة والأدب ، وأعظم كتاب الرسـائل فى عصره ، وكان يحسد المتنبى على مكانته الأدبية ، ويخاف ألا يمدحـه ويعامله معاملة المهلبى فى بغداد ، فاجتهد فى اخماد ذكره واكثـر من انتقاده على الرغم من حسن استقباله له ، وقد مدحه المتنبى بعـدة قصائد انتقده ابن العميد فى بعض أبياتها(١٢) .

ثم وفد المتنبى على عضد الدولة فى شيراز وسير فيه مدائحه وكان

---

(١٠) الصبح المنبى : ١٤٤ ، ١٤٥ .

(١١) الصبح المنبى : ١٤٥ ، ١٤٦ .

(١٢) ينظر السابق : ١٤٦ ـ ١٥٥ .

أميرا عالى الثقافة واسع المعرفةيغص مجلسهبالأدباء والشعراء والعلماء فى مختلف الفنــون ومن هؤلاء أبو على الفــارسى وابن جنى والربعى وغيرهم ، وقد استراح المتنبى فى شيراز من الخصومات الحادة حيث استقبل بالترحاب والتقدير ، وأحبه أبو على الفارسى وأثنى عليه بعد ما كان بينهما من خصومة سالفة(١٣) •

ولعل هذه الفترة الهادئة كانت ايذانا له بملاقاة قدرة المحتوم ، فقتل وهو عائد من فارس على يدى فاتك بن أبى جهل الأسدى(١٤) •

ومن يتتبع المعركة النقدية التى دارت حول المتنبى يمكنه أن يميز فيها بين ثلاث طوائف : خصوم ، وأنصار ، ومعتدلين • وهؤلاء جميعا كانوا مقتنعين بفحولة المتنبى وتقدمه ، وان كان خصومه يضــمرون ذلك فى أنفسهم ، وقد يشيرون اليه اشارات مقتضــبة فى الوقت الذى يظهرون عيوبه ، ويكبرون زلاته •

وفى ذلك يقول بلاشير : لو أن مراقبا غير متحيز عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع ولاحظ الاتجاهات التى ظهرت ، لأمكنــه أن يتنبأ بما سيكون عليه حتما موقف الأجيال المستقبلة ازاء المتنبى ،فمن جهة يرى معجبين جد متحمسين بلا حذق ولا فطنة ، ومن جهة آخرى يرى نفوسا أكثر هدوءا تجتهد فى ألا تكون متحيزة ، لكن تميل برغم كل ذلك الى الشاعر ، وأخيرا يجد خصوما مقتنعين فى أنفسهم بقيمة الفنان الذى يثلبونه ، ولكنهم يعلنون عداوة منشؤها نفس اهينت فى عزتها ، ويوحون بأفكارهم الى ماديحهم ومتملقيهم(١٥) •

وقد اشتد هؤلاء الخصوم فى نقد المتنبى ، وهاجموه بعنف خرج

(١٣،١٤) ينظر السابق : ١٦٠ ــ ١٧٠ •

(١٥) ديوان المتنبى فى العالم العربى : ١٦ •

فى كثير من الأحوال عن النقد الى السباب والشتائم ، وكانت جبهتهم قوية اذ كان يساندهم ويدفعهم من ترفع المتنبى عن مدحهم ومجاراتهم من الوزراء والقادة وأصحاب المكانة فى البلاد التى طوف بها .

ومن هؤلاء الخصوم أبو العباس النامى ت ٣٧١هـ وله رسالة فى بيان عيوب شعر المتنبى وسرقاته ، وأبو على الحاتمى ت ٣٨٨هـ وله رسالتان : الموضحة والحاتمية ، والصاحب بن عباد ٣٨٥هـ وله رسالة فى الكشف عن مساوىء المتنبى .

وأما الأنصار فهم الذين زعم خصوم المتنبى أنهم أفرطوا فى مدحه وتقديمه ، وبالغوا فى تعظيمه وتفخيمه ، ونفوا عنه أخذ المعانى، ونزهوه عن الأخطاء ، وهؤلاء الأنصار لم يستطيعوا الوقوف فى مواجهة الخصوم لأنهم — غالبا — كانوا يكتفون فى دورهم بالمناظرات الشفوية فضيعوا جهودهم فى أحاديث المجالس والحلقات ، ولم يدون أكثرهم دفاعه عن المتنبى فى كتب أو رسائل(١٦) .

ومن هؤلاء الأنصار على بن حمزة البصرى ت ٣٧٥هـ ، وحمزة بن محمود الأصفهانى ت ٣٦٠هـ وله رسالة فى كشف عيون المتنبى(١٧) ، وأبو الفتح بن جنى ت ٣٩٢هـ وله : تفسير ديوان المتنبى الكبير، وتفسير معانى ديون المتنبى، والنقض على ابن وكيع فى شعر المتنبى وتخطئته(١٨)

وأما المعتدلون فهم الذين وقفوا موقفا وسطا بين الخصوم والأنصار ، فلم يتعصبوا له ، ولم يثوروا عليه ، بل اعتبروه شاعرا

---

(١٦) ينظر تارخ النقد الأدبى عند العرب : ٣٧٧ .
(١٧) أبو الطيب المتنبى فى آثار الدارسين : ٤٠٨ .
(١٨) معجم الأدباء : ١٢/١١٠ .

فحلا له حسنات كثيرة وعيوب معدودة لا ينبغى ان تطمس محاسنه ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ت ٣٨٢هـ وله كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ومنهم كما يرى بلاشير : محمد المغربى تلميذ المتنبى فى بغداد وله ثلاثة كتب مفقودة هى الانتصار المنبى عن فضائل المتنبى ، وبقية الانتصار المكثر الانتصار ، والتنبيه المنبى عن رذائل المتنبى(١٩) .

ومن هؤلاء المعتدلين : أبو منصور الثعالبى ت ٤٣٩هـ وله فصل طويل فى كتابه : يتيمة الدهر بين فيه ما للمتنبى وما عليه معتمدا على ما ذكره النقاد(٢٠) .

وبهذا نكون قد قدمنا عرضا موجزا للمعركة النقدية التى دارت حول المتنبى فى القرن الرابع الهجرى ، وسنعرض فى الفصل الرابع لبعض ما ذكرناه من مصنفات عندما نتحدث عن تأثر ابن وكيع بغيره من النقاد .

---

(١٩) ديوان المتنبى فى العالم العربى : ١٤ ، ١٥ . وينظر أبو الطيب المتنبى فى آثار الدارسين : ٤٠٧ .

(٢٠) ينظر يتيمة الدهر : ١١٢/١ وما يليها من فصل طويل .

ثانيا : ابن وكيع : حيـاته وآثاره

نسبه ومولده ونشأته :

هو أبو محمد الحسن بن على بن أحمد بن محمـد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبى ، المعروف بابن وكيع التنيسى(١) .

وذكر محقق المنصف أن سنة مولده لم تعرف(٢) ، ورأيت صاحب هدية العارفين قد ذكرها حيث قال انه ولد فى مدينة تنيس سنة ٣٠٦هـ(٣)، ولعل المحقق تأثر بما ذكره د. مندور فى النقد المنهجى ، وغيره ممن كتبوا عنه اذ لم يذكروا تاريخ مولده(٤) .

ووكيع لقب جده أبى بكر محمد بن خلف ، وكان نائبا فى الحكم بالأهواز ، لعبدان الجواليقى ، وكان نبيلا فصيحا من أهل القـرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة منها : كتاب الطريق ، وكتاب الشريف ، وعدد آى القرآن والاختلاف فيه ، والرمى والنصال ، والمكاييل والموازين ، وأخبار القضاة ، وغير ذلك ، وله شعر كشعر العلمـاء . وتوفى يوم الأحد لست بقـين من ربيع الأول سنة ٣٠٦هـ ببغداد(٥) ، وهى نفس السنة التى ولد فيها ابن وكيع ، وقد أشار ابن وكيع الى جده هذا فى « المنصف » حيث قال عن بيتى المتنبى :

---

(١) وفيات الأعيان : ٢/١٠٤ .

(٢) مقدمة تحقيق المنصف .

(٣) هدية العارفين : ١/٢٧٣ .

(٤) ينظر النقد المنهجى : ١٨٣ ، وبروكلمان : ٢/١٠٣ . وغيرذلك

(٥) وفيات الأعيان : ٢/١٠٦ ، ١٠٧ .

وتفوح من طيب الثناء روائح لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الا أنها وحشية بسواهم لا تعبق

أخذ هذا من شعر أورده جدى وكيع بن خلف في كتاب «الغرة» :

لو كان يوجد ريح مجد فائحا لوجدته منهم على أميال(٦)

والتنيسى : نسبة الى « تنيس » بكسر التاء وتشديد النون المكسورة ، وهى مدينة قديمة بمصر كانت على ساحل بحيرة المنزله الحالية(٧) ، وقيل ان هذا الاسم أطلق على ثلاث بقاع:على البحيرة التي نسميها اليوم بحيرة المنزلة بين مدينتي بورسعيد ودمياط،وعلى احدى جزر هذه البحيرة وكانت في شمالها الشرقي أي قريبا من مدينة بورسعيد الحالية ، ثم على أكبر مدن هذه الجزيرة(٨) ، وهى تنسب الى تنيس بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل سميت باسم تنيس بنت دلوكة الملكة ، وقيل بناها قليمون من ولد أتريب بن قبطيم احد ملوك القبط(٩) .

وقد أطنب المتعدمون في وصف حسنها وجمالها ، وقالوا : لم يكن بمصر أرض مثلها استواء وطيب تربة ، وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع ، وفيها مجار للماء على ارتفاع من الأرض ، ولم ير الناس بلدا أحسن منها ، ولا أحسن اتصالا من جنانها وكرومها(١٠).

---

(٦) المنصف : ١٦٧ .

(٧) الموسوعة الثقافية : ٩٤٩ .

(٨) ابن وكيع التنيسى : ٣ .

(٩) ينظر معجم البلدان :١/٨٨٣ ، والمواعظ والاعتبار : ١/١٧٦

(١٠) المواعظ والاعتبار : ١/١٧٧ .

ونقل ياقوت عن صاحب تاريخ تنيس قوله : ولتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون فى موضع آخر ، وهى مائة ونيفه وثلاثون صنفا ... ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون صنفا،وذكر أصناف الطيور والسمك(١١) .

وينسب اليها خلق كثير من أهل العلم منهم : محمد بن الحسين ابن أحمد أبو بكر التنيسى ، المعروف بالنقاش ، قال عنه أبو القاسم الدمشقى : سمع بدمشق محمد بن حريم ، ومحمد بن عتاب،وغيرهما، وروى عنه الدارقطنى وغيره ، ومات سنة ٣٩٩هـ ، وأبو زكريا يحيى ابن أبى حسان التنيسى الشامى أصله من دمشق ، وعبد الله بن الحسن ابن طلحة بن ابراهيم البصرى المعروف بابن النحاس من أهل تنيس، وأبى الحسن بن أبى الحديد وغيرهم(١٢) .

فى هذه البيئة الجميلة ، وفى أحضان طبيعتها الساحرة ، ورياضها الزاهرة،وبين علمائها وأدبائها الأعلام ، نشأ ابن وكيع فى أسرة ميسورة لها مكانة مرموقة ، محبة للعلم والأدب(١٣) ، فجده وكيع من أعيان علماء الشرع واللغة والتاريخ كما أسلفنا ، وأبوه على بن أحمد كان أديبا يجالس كبار الأدباء والشعراء ، ويحفظ جيد أشعارهم ، ويرويها لابنه ، وفى المنصف ما يدل على أنه جالس ابن دريد ، وابن الرومى ، وأبو بكر الصولى ، ففى كلام ابن وكيع عن بيت المتنبى :

لجنية أم غادرة رفع السجف ... لوحشية ؟ لا ، ما لوحشية شنف

يقول .. وقد أنشدنى أبى رحمه الله قال : أنشدنا ابن دريد :

---

(١١) معجم البلدان : ١/٨٨٥ ـ ٨٨٩ .
(١٢) معجم البلدان : ١/٨٨٩ .
(١٣) ينظر تاريخ الأدب العربى : ٢/٥٨١ .

أعن الشمس عشاء كشفت تلك السجوف
أم عـلى ايتى غزال علقت تلك الشنوف(١٤)

وفى بيت المتنبى :

رأيته الدميا فى الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس فى البدر فى البحر

يقول : ... والحسن ما أنشد نيه أبى رحمه الله قال : أنشدنى ابن الرومى لنفسه :

ومهفهف تمت محاســنه حتى تجاوز منيــة النفس
تصبو الكؤوس الى مراشفه وتحن فى يده الى الحبس
أبصرته والـكأس بين فم منــه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شــــاربها قمر يقبل عارض الشمس(١٥)

وفى بيت المتنبى :

وعلى التراب من الدمـاء مجاسد وعلى السماء من العجاج مسوح

يقول : ... وعجزه مما أنشد نيه أبى رحمة الله قال : أنشدنى ابو بكر الصولى لنفسه فى أبيات :

وفارق الشمس نور كان يألفها كأن آفاتها سدت بأمشاج(١٦)

وفى هذا دليل على ما ذكرناه من أن أباه كان أديبا يجالس كبار الأدباء والشعراء ويحفظ أشعارهم ، ويهتم بتأديب ابنه بانشاده روائع الشعر(١٧) :

---

(١٤) المنصف : ٤١٣ ، وينظر : ١٧ ، ١٦٢ .
(١٥) المنصف : ٣٤٣ .
(١٦) المنصف : ٣٠٢ .
(١٧) ينظر المنصف : ٨٨ ، ٣٨٨ .

كما أن فيه اشارة الى أن أباه كان صاحب مكانة مرموقة حيث جالس هؤلاء الكبار ، وعلى رأسهم أبو بكر الصولى الذى كان نديما للخليفة العباسى المتكفى بالله (١٨) .

وقد تأثر ابن وكيع بثقافة والده الذى يعد أستاذه الأول فكان شاعرا عاشقا للأدب ، حافظا الكثير من شعر العرب قديمه وحديثه ، وأورد منه الكثير فى كتابه ، وتتبع المعانى لدى الشعراء على اختلاف زمانهم ، ولاحظ ما بينها من فروق دقيقة .

ومن شيوخ ابن وكيع أبو الحسن الحسين بن أحمد المهلبى ت ٣٨٠هـ(١٩) ، وكان يجله ويوقره،وذكره فى المنصف بلقب «شيخنا»، وترحم عليه ، ونقل عنه بعض ما جرى بينه وبين المتنبى فى لقائه به(٢٠) ، ومنهم أبو بكر بن سيار النحوى وقد روى عنه فى المنصف.

واتصل ابن وكيع بأدباء وشعراء عصره ، ومنهم خصوم المتنبى وأنصاره على السواء ، وروى عنهم فى المنصف ومن ثم نراه يقول : وأنشدنى فلان(٢١) ، وأنشدنى بعض المتعصبين على أبى الطيب(٢٢)، وأخبرنى فلان وكان مجردا فى صحبته(٢٣) .

واطلع على شرح ابن جنى لديوان المتنبى ، وناقش بعض ارائه وان كان لم يصرح باسمه(٢٤) ، وقرأ رسالة أبى العباس النامى فى

---

(١٨) معجم الأدباء : ١٠٩/١٩ .
(١٩) ينظر كشف الظنون : ١٦٦٥/٢
(٢٠) ينظر المنصف : ١٥٢ ، ٢٨٨ ، ٢١٧ .
(٢١) ينظر السابق : ٤٥٤ ، ٢١٧ .
(٢٢) ينظر السابق : ٥١٤ .
(٢٣) ينظر السابق : ١١٦ .
(٢٤) ينظر السابق : ٩٢ ، ٩٣ ، ٤٧٨ ، ٦٠٣ وغيرها .

عيوب شعر المتنبى ، واتهمه بالتعصب ضده،ولم تعجبه بعض آرائه(٢٥) وروى فى كتابه كثيرا من الحكايات والنوادر الأدبية ، وعلى كل فقد كان ملما بالأدب واتجاهاته فى عصره •

وتوفى ابن وكيع يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ٣٩٣هـ الموافق ٣٠/٤/١٠٠٣م بمدينة تنيس ودفن فى المقبرة الكبرى التى بنيت له بها(٢٦) •

شعره :

كان ابن وكيع شاعرا مجيدا متميزا بين شعراء عصره ، تحدث عنه الثعالبى فقال : شاعر بارع وعالم جامع ، قد برع فى أبنائه على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد فى أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام، وتستعبد الأفهام(٢٧) •

وكان لابن وكيع ديوان شعر جيد ، ولكن ضاع كثير من قصائده، وجمع الدكتور حسين نصار ما وجد من شعره فى كتابه ابن وكيع التنيسى شاعر الزهر والخمر ، الذى صدر عام ١٩٥٣م وبالنظر فيما بقى من شعره نجده يصور بيئته وحياته أصدق تصوير ، اذ يصف فيه مناظر بيئته الساحرة ، ومشاهدها الخلابة ، ويبين حياة الترف واللهو التى عاشها ، مشغولا بالغزل والغناء واللذة والشراب ، حتى قال عن نفسه : فاننى شيخ الملاهى والغزل(٢٨) •

---

(٢٥) ينظر السابق : ١٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وغيرها •
(٢٦) وفيات الأعيان : ١٠٦/٢ ، وتاريخ الأدب العربى : ٨١/٢ •
(٢٧) يتيمة الدهر : ٣٥٦/١ •
(٢٨) ابن وكيع التنيسى : ٥ • وينظر تاريخ الأدب العربى ٨٢/٢ •

ووصفه الثعالبى بأنه كثير اللهو والسرور فى شعره ، يدعو الى الشرب والمسرة والمجون،وله كثير من الشعر فى وصف الخمر والكؤوس والشراب وله فى الغزل واللهو والوصف ومن قصائده قصيدة مطلعها :

علل فؤادك والدنيا أعاليل لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل(٢٩)

ومن أقواله فى البعد عن الرشد ومجانبة الوقار :

لا تقبلن من الرشـيد كلامه واذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع التزمت والتجمـل للورى فالعيش ليس يطيب بالمتجمل(٣٠)

ويدور ما جمع من شعره حول الزهريات والخمريات والغزل والهجاء والنصائح،ففى الزهريات له عشرون قصيدة فى وصف الرياض وزهورها وجداولها ، الى جانب قصيدة طويلة يصف فيها الفصول الأربعة بادئا بالصيف ثم الخريف ، ثم الشتاء ثم الربيع ، وأطال فى وصف الربيع وفضله على بقية الفصول التى رماها بأسوأ الصفات ، وهى تزيد على المائة بيت ، ومطلعها :

يا سائلى عن أطيب الدهور وقعت فى ذاك على الخبير

وختمها بقـوله :

ولا تعارضنى فى هذا العمل فاننى شيخ الملاهى والغزل(٣١)

وفى الخمريات له تسع عشرة قصيدة ومقطوعة الى جانب بعض الاشارات اليها فى قصائد أخرى من شعره •

---

(٢٩) يتيمة الدهر : ٣٧٢/١ ، ٣٧٤ •
(٣٠) يتيمة الدهر : ٣٨٣/١ •
(٣١) ابن وكيع التنيسى : ١٤ ، ١٥ ويتيمة الدهر : ٣٦٣/١ •

ويشغل الغزل قريبا من ثلاثين قصيدة ومقطوعة غـير ما ورد فى ثنايا قصائده الأخرى ، وله فى الهجاء ثمـانية مقطوعات وهو هجـاء شخصى ، وله فى النصائح ست مقطوعات غير المبثوث فى بعض قصائده من الحكم والنصائح(٣٢) •

وعلى الرغم من كثرة ما جمع من شعره الا أن الناظر فيه يلاحظ خلـوه من قصائد المدح والتزلف لمن عـاصرهم من الأمراء والوزراء ورجال الحكم ، على خلاف شعراء عصره ، وهذا مما يثـير عجبنا ، ويدعونا الى القول بأنه لم يكن يتصل بهم ، ولا يتقرب منهم، ولا يمشى فى ركابهم ، ومن ثم لا نؤيد من يتهمونه بأنه ألف « المنصف » بايعاز من دوائر الحكم فى مصر ، كما سنوضح ذلك فى حديثنا عن كتابه •

وابن وكيع من الشعراء المحدثين الذين يميلون الى توظيف الفنون البلاغية فى شعرهم • وقد تميز شعره بالميل الى التصوير والقصص ، فهو لا يقتصر على ارسال الأحكام أو تقريرها فى صوره مباشره ، بل كثيرا ما يتبعها بتشبيه أو تشبيهات تعتمد عليها ، فتهب لها قوة وحياة، وعلى هذا فهو يعد من شعراء التشبيه ، حيث يكثر هذا الفن فى شعره، ويتناثر فى قصائده ومقطوعاته ، كما ينتشر فى شعره الطباق والمقابلة، وهو يستعمل هذين اللونين باتقان ومن ثم لا يبدو عليهما التكلف عندما يأتى بهما فى شعره ، ومن ذلك قوله :

أناس اذا غابوا رمتك سـهامهم   وخصك منهم فى الحضور التملق

وقوله فى الربيع :

وافى على أثر الشـتاء كأنه   اقبال جد بعد أمر مدبر

---

(٣٢) ينظر ابن وكيع التنيسى : ١٩ وما بعدها •

فكأن ذلك كان وجه مـوســـدد   وكأن هذا جاء وجه مبشر(٣٣)

ولعل انتشار الطباق فى شعره راجع الى أنه يعتبره أحسن محاسن البديع(٣٤) •

مصـــنفاته :

أخطأت بعض المصادر فى ذكر مصنفات ابن وكيع ، حيث خلطت بينها وبين مصنفات جده وكيع محمد بن خلف ، فقد ذكر صاحب هدية العارفين أن له من المصنفات : بحر الأوهام منظومة ، وديوان شعره ، وكتاب الاخوان ، وكتاب الرمى والنصال ، وكتاب الشريف ، وكتـــاب الطريق ، وكتاب عدد آى القرآن والاختلاف فيه ، وكتاب المـكاييل والموازين ، وكتاب المنصف فى الدلالات على سرقات المتنبى(٣٥) •

والصحيح أن معظم هذه المصنفات لجده وكيع كما جاء فى وفيات الأعيان(٣٦) ، وذكرناه آنفا •

وذكر بروكلمان أن له قصيدة مخطوطة فى برلين برقم ٧٥٨٩، وله مزدوجة فى حلبة الكميت للنواجى ، وذكر له النـــويرى فى نهاية الارب بعض أراجيز فى الفصول الأربعة ، وله كتاب المنصف للسارق والمسروق منه(٣٧) •

وعلى هذا فالثابت أن له ديوان شعر ، وكتاب المنصف(٣٨) ، وقد سبق أن تحدثنا عن شعره ، فعلينا أن نتحدث عن كتابه •

---

(٣٣) ابن وكيع التنيسى : ٣٢ ، ٣٣ •
(٣٤) ينظر المنصف : ٥٧ •
(٣٥) هدية العارفين : ١/٢٧٣ •
(٣٦) ينظر وفيات الأعيان : ٢/١٠٦ ، ١٠٧ •
(٣٧) بروكلمان : ٢/١٠٣ •
(٣٨) الأعلام : ٢/٢١٨ •

كتاب المنصف :

هو الكتاب الذى ألفـــه ابن وكيع فى نقد شـــعر المتنبى وبيـــان سرقاته ، وقد حققه الدكتور محمد رضوان الداية وطبـــع فى دمشق سنة ١٩٨٢م ، وعنوانه الذى ارتضاه المحقق : المنصف فى نقد الشعر وبيان سرقات المتنبى ومشكل شعره » .

سبب تأليفــه :

تحدث ابن وكيع فى أول سطور من كتابه عن سبب تأليفه ، فذكر أنه وصله كتاب من ذى مــكانة لديه ، لم يفصح عن اســمه ولا عن وظيفته ، سوى أنه قال مخاطبا اياه : وصل الى كتابك الجليل الموضع اللطيف الموقع،تذكر افراط طائفة من متأدبى عصرنا فى مدح أبى الطيب وتقديمه ، وتناهيهم فى تعظيمه وتفخيمه ، حتى فضلوه على من تقدمه وتفوق عليه ، وشغلهم التقليد عن تأمل معانيه ، ولم يجوزوا عليه خطأ فى معنى ولا اعراب ، ونفوا عنه أخذ بعض المعانى وهو ما لم يسلم منه فحول الشعراء من المحدثين والقدماء . وذكروا أنه ما من معنى له الا وهو من نتاج فكره وأبو عذره ، وعندما تصديت لدعائهم بأبيات مسروقات وجدتها فى شعره ، ادعوا فيها اتفاق الخواطر(٣٩) .

فبين ابن وكيع فحوى الكتاب الذى وصله من مخاطبه،وهو يشتمل على قضيتين أساسيتين :

الأولى : اسراف أنصار المتنبى فى تقديمه على من سواه ، وعدم تجويز خطأ عليه .

---

(٣٩) المنصف : ١ ، ٢ باختصار .

والثانية : عدم تسليمهم باستفادته من معانى الآخرين ، وادعاء التوارد فى المعانى المتشابهة •

وعدم افصاح ابن وكيع عن شخصية من أرسل اليه الكتاب ، يقودنا الى أحد احتمالين :

١ ـ أن أحدا لم يرسل اليه كتابا ، ولكنه قال ذلك على ما جرت به عادة كثير من المؤلفين حينما يستشفون ما فى نفوس بعض الناس من قضايا لم يفصحوا عنها ، ويستشعرون أنهم طلبوا منهم توضيحها وبيان الرأى فيها •

٢ ـ أن شخصا أرسل اليه الكتاب فعلا ، وعدم افصاحه عنه يشير الى أنه ليس من ذوى السلطان والحكم ، والا كان قد زها بتقديم كتابه اليه ، كما فعل الحاتمى فى رسالته(٤٠) انما هو مجرد صديق من الشعراء أو الأدباء ، كان مشغولا بقضية المتنبى كبقية أدباء عصره•

وبناء على هذا الكتاب أحب ابن وكيع أن ينهى لمخاطبه رأيه فى القضيتين اللتين أثارهما دون حيف على أحد ، فبين أن أبا الطيب شاعر مجيد وبليغ سديد ، وشعره ليس بالصعب المتكلف ، ولا اللين المستضعف بل هو بين الرقة والجزالة ، كثير الفصول ، قليل الفضول، لكنه بعد هذا لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصرا وأحسن شعرا كأبى تمام والبحترى وأشباههما ، وهبنا أغضينا عن هذا مع علمنا بفساده ، فلا يمكن لنا أن نغضى عن نفيهم استفادته من معانى السابقين ، فهذا ما لم يسلم منه بدوى أو حضرى ، جاهلى أو اسلامى(٤١) •

---

(٤٠) ينظر الموضحة : ٢ ، ٣ •

(٤١) المنصف : ٢ ، ٣ باختصار •

وبهذا لخص لمخاطبه رأيه فى أبى الطيب وأجمل موقفه من الزعمين اللذين زعمهما أنصاره ، وجعل ذلك أساسا بنى عليه كتابه ، حيث أداره على ابطال هذين الزعمين ببيان ما فى شعره من اخطاء وتجاوزات ، وبما يحويه من أخذ وسرقات •

هذا ما أفصح عنه ابن وكيع فى سبب تأليف « المنصف » الا أن بعض الباحثين لم يقتنعوا به على ما يبدو ، ومن ثم آخذوا يفتشون عن دوافع ابن وكيع الى عمل هذا الكتاب •

فيرى « بلاشير » أنه ألف كتابه بإيعاز من ابن حنزابه(٤٢)،الذى كان مستاء من المتنبى لترفعه عن مدحه(٤٣) •

ويعقب الدكتور احسان عباس على هذا ويبين رأيه فى سبب تأليف المنصف فيقول : ومعاصرة ابن حنزابة لابن وكيع قد تبيح شيئا من هذا التقدير ، غير أنه ليس فيما وصلنا من كتابه ما يلمح الى ذلك، وأقوى من هذا أن يقال : ان الكتاب كان رد شاعر مغيظ على طبقة من المتعصبين لأبى الطيب ذهبوا فى الاعجاب به مذهبا بعيدا حتى فضلوه على من تقدمه من الشعراء ••• وخلقوا من حول ابن وكيع جوا لا يستريح اليه ولا يلائم ما يرجوه لنفسه من شهرة الشعر(٤٤)•

وهذا الرأى قريب مما سبق أن أشار اليه الدكتور محمد مندور

---

(٤٢) هو جعفر بن الفضل بن جعفر بن حنزابة ، نسبة الى أم ابيه الفضل ، ولد سنة ٣٠٨ هـ ببغداد وتوفى ٣٩١ هـ وتولى الوزارة لكافور الاخشيدى •

(٤٣) ديوان المنبى فى العالم العربى : ٣١ •

(٤٤) تاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٩٣ ـ ٢٩٥ •

من أن ابن وكيع كان شاعرا بارعا ، ومن ثم كان من الطبيعى أن يحسد المتنبى ويحمل عليه محاولا تجريحه بكل سبيل(٤٥) •

وقريب مما سبق أن ذكره الدكتور محمد مصطفى هدارة من أن الباعث على تأليف كتاب المنصف تعظيم الناس للمتنبى ، وادعاؤهم أن كل ما قاله المتنبى مبتدع لا متبع ، ثم ادعاء المتنبى لنفسه فى هذا الباب ما ليس له(٤٦) •

ويرى الأستاذ محيى الدين صبحى رأى « بلاشير » مع اسراف فى التهمة ، وتجاوز فى التعبير عنها فيقول : ان توجيه الكتاب ومقصده يدلان على نية مبيتة لاسقاط المتنبى ، وبالتالى فان الكتاب قد ألف بايعاز من دوائر السلطة التى كانت معادية للمتنبى فى حالتيه : حين أقام بمصر فأثار حقد ابن حنزابة لترفعه عن مدحه ، وحين غادر مصر هاجيا كافور والطبقة الحاكمة بأكملها ••• فاذا تم اسقاط المتنبى والغاء مكانته الشعرية فان هجاءه لا يعود أمرا ذا بال ، ويستدل على ذلك : بأن أبا على الحاتمى قام فى بغداد بالمحاولة ذاتها للأسباب ذاتها : امتنع المتنبى عن مدح الوزير المهلبى والأمير البويهى فتسلط عليه الحاتمى بالتجريح حين ناقشه فى شعره وأثبت النقاش فى كتابه « الموضحة »(٤٧) •

ويتلخص من عرضنا لآراء الباحثين وجود اتجاهين فى بيان سبب تأليف « المنصف » :

---

(٤٥) النقد المنهجى : ١٨٢ •
(٤٦) مشكلة السرقات : ١٨٧ ، ١٨٨ •
(٤٧) مجلة الفكر العربى : العدد ١٤/١٩٨٠ م ص ١٧٣ •

الاتجـاه الأول : أنه ألف بايعـاز من دوائر السلطة وارضـاء لابن حنزابة •

والاتجاه الثانى : أنه ألف ردا على دعاوى المتعصبين لأبى الطيب، واسرافهم فى تعظيمه وتقديمه ، وتنزيهه عن الاستفادة من الاخرين •

والاتجاه الأول ـ فى رأينا ـ لا يعول عليه لأسباب :

١ ـ أنه لم يثبت اتصال ابن وكيع بابن حنزابة أو بغيره من رجال السلطة على الرغم من كثرة الأخبار التى روتهـا الكتب عن المتنبى فى مصر •

٢ ـ أن ابن وكيع ليس شاعر ابن حنزابة كما يدعى الأسـتاذ صبحى ، لأن مجموع شعره ليس فيه بيت واحـد يدل على أنه كان شاعرا لابن حنزابة ، وعلى فرض ضياع كثير من شعره أما كان يبقى فى قصائده الكثيرة التى عثر عليها اشارة الى ذلك •

٣ ـ أنه لم يهتم بالاتصال بالحكام ولا بمدحهم بدليل خلو ما بقى من ديوانه ـ على كثرته ـ من دليل على اتصاله بهم •

٤ ـ بقراءة المنصف قراءة متأنية لم نعثر على نص أو اشـارة الى ابن حنزابة على الرغم من كثرة الأخبار التى رواها ابن وكيـع فى كتابه •

٥ ـ أن ما استدل به الأستاذ صبحى من مسلك الحاتمى فى كتابه لا يصح أن ينسحب على ابن وكيع ؛ لأنه لم يخبرنا به ، ولو أنه ألف كتابه بايعاز من ابن حنزابة أو غيره من ذوى السلطان لذكر ذلك كما فعل الحاتمى ، ولتفاخر بروايته وحكايته ، لما فيه من رفعة له عنـد رجال الحكم ، واعلاء لشأنه بينهم ، وليس هناك ما يمنعه من ذكره •

٦ ـ أن هذا خلاف ما صرح به ابن وكيع فى سبب تأليف كتابه ، ولا يصح ترك ما صرح به مؤلف الكتاب الا بدليل قوى لا شبهة فيه، يكون كفيلا بدحض ما ذكره المؤلف .

وبناء على ما قدمنا من أدلة نرى أن هذا الاتجاه لا ينهض أن يكون تفسيرا لسبب تأليف المنصف ، وأن الاتجاه الثانى هو الأولى بالقبول ، والأحرى بأن يعتد به لسلامته من الاعتراضات ، واتفاقه مع ما ذكره ابن وكيع فى سبب تأليف كتابه .

متى ألف المنصف ؟

ليس فى كتب التراجم ولا فى المنصف نفسه ما يدل على السنة التى ألف فيها (٤٨) ، وذكر الدكتور احسان عباس أنه فيما يبدو كتب بعد عام ٣٨٠هـ ، لأن ابن وكيع يترحم فيه على شيخه المهلبى المتوفى عام ٣٨٠ هـ (٤٩) .

ويرى الأستاذ محيى الدين صبحى أن ابن وكيع ألف كتابه فى وقت مبكر فيقول : ذكر ياقوت : أن ابن جنى وضع كتابا فى « النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبى وتخطئته » وقد توفى الرجلان فى وقتين متقاربين فابن جنى توفى ٣٩٢ هـ وابن وكيع توفى ٣٩٣ هـ فكم يقتضى من الوقت ظهور مخطوط ابن وكيع ووصوله الى ابن جنى ليرد عليه؟ من ذلك نرى أن المنصف أو الجزء الأول منه على الأقل أخرج للناس قبل سنة ٣٨٠ هـ ... واذا أردنا الحاق المنصف بالحملة الاعلامية

---

(٤٨) مقدمة تحقيق المنصف .

(٤٩) تاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٩٤ .

وينظر المنصف : ١٥٢ ، ٢٨٨ .

المصرية ضد المتنبى ، عدنا بتاريخ تأليفه الى سنة ٣٦٠ هـ أو قبل ذلك بقليل (٥٠) •

وأرى أن الأقرب الى الواقع أن ابن وكيع ألف كتابه قبل سنة ٣٦٠ هـ نظرا لوجود البواعث على تأليفه فى هذه الفترة فقد رحل المتنبى عن مصر فى أواخر سنة ٣٥٠هـ تاركا وراءه عداوة شديدة من كافور ورجال السلطة ، واشتدت هذه العداوة بعد رحيله لتماديه فى هجاء كافور • فان كان ابن وكيع ألف كتابه بايعاز من ابن حنزابة فيكون تأليفه قبل وفاة كافور الذى توفى سنة ٣٥٦هـ فهذا أنسب الأوقات لاسقاط المتنبى واذاعة مساوئه على الناس ارضاء لرجال الحكم • وان كان ألفه باعتباره شاعرا هاله ما فعله أنصار المتنبى من تقديمه على من سواه من الفحول ، وتنزيهه عن الاستفادة من معانى الآخرين ، فهذه الفترة هى أنسب الفترات لتأليفه ، لأن المدرسة الناصرة لأبى الطيب فى مصر نشطت فى هذه الفترة ، فألف ابن وكيع كتابه ردا على نشاط هذه الطائفة ، واطفاء لشهرة المتنبى التى جذبت اليها أكثر المثقفين من أهل مصر ، والمغاربة الذين كانوا يمرون عليها فى موسم الحج (٥١) •

يضاف الى ذلك أن ابن وكيع فى هذه الفترة كان مؤهلا بسنه وشاعريته لمثل ذلك ، حيث كان فى أوائل العقد الخامس من عمره ، والمتنبى يكبره بثلاث سنوات ، وهو فارق لا يعتد به •

وفى رأينا أن تاريخ الخصومة بين المتنبى وخصومه من النقاد

---

(٥٠) مجلة الفكر العربى : ١٧٣/١٤ وما بعدها •

(٥١) ينظر النقد المنهجى : ١٧٧ ، ١٧٨ •

المعاصرين له ينبغى أن يؤخذ به أساسا لتاريخ تأليف الكتب التى صنفها هؤلاء النقاد طالما لم يعرف تاريخ تأليفها الحقيقى ، لأن الخصومة هى الباعث الأول على تأليف تلك الكتب •

ومن هنا حكمنا بسبق رسالة النامى لغيرها من المصنفات ، لأن الخصومة بينه وبين المتنبى نشأت مبكرة فى بلاط سيف الدولة حيث كان « النامى » دور شاعره المقدم قبل وفود المتنبى عليه •

ويلى هذه الرسالة كتاب المنصف لقيام الخصومة بين ابن وكيع والمتنبى فى مصر اثر انتقاله اليها واستيلائه على عرش الشعر فيها وتنحية شعرائها ، وجذب المثقفين اليه ، بدليل عقدهم الندوات المتعددة لتدارس شعره (٥٢) •

وفى هذه الفترة وجدت رسالة الحاتمى ، حيث اشتدت الخصومة بينه وبين المتنبى فى بغداد بعد خروج المتنبى من مصر ، وتلتها رسالة الصاحب بن عباد لأن الخصومة بينهما نشأت متأخرة فى فارس وبعدها كانت نهاية حياة المتنبى •

أما كتاب « الوساطة » للجرجانى ففى رأينا أنه متأخر عن كل هذه المصنفات ، لأنه جاء ردا على هذه الحملة ، ووساطة بين أنصار المتنبى وخصومه ، وكان ظهوره بعد وفاة الصاحب سنة ٣٨٥ هـ • ولا يمكن أن يكون قد ألف قبل وفاة الصاحب نظرا لما بين القاضى والصاحب من صداقة حميمة لا تسمح بدفاع القاضى عن المتنبى وهو العدو اللدود للصاحب (٥٣) •

---

(٥٢) ينظر السابق •
(٥٣) ينظر تفصيل ذلك فى الفصل الرابع :

منهج الكتاب :

نؤثر أن نتحدث عن هذا الموضوع بايجاز نظرا لأننا سنفصل الحديث عن جوانب الكتاب فيما يلى من فصول •

وقد كشف ابن وكيع فى مقدمة كتابه عن غرضين ينشدهما من وراء تأليف كتابه « المصنف » وهما :

١ — بيان سرقات المتنبى •

٢ — نقد شعره •

وبعد المقدمة مهد ابن وكيع لذلك بتمهيدين :

الأول : بين فيه وجوه السرقات محمودها ومذمومها ، حيث جعلها عشرين وجها عشرة محمودة وعشرة مذمومة ، وتحدث عن كل وجه ضاربا له الأمثلة ومحللا لها (٥٤) ومقصوده من بيان وجوه السرقات أن يكون ما يقوله بعد ذلك فى سرقات المتنبى مبنيا على أساس محكم ونهج واضح •

والثانى : تحدث فيه عن عدد من فنون البديع الذى أكثر منه المحدثون فى شعرهم ، حتى يعرف قارىء كتابه بقدر من هذه الفنون، لا يستغنى عن معرفته فى متابعة نقده لشعر المتنبى •

وقد عرض لعشرين لونا من ألوان البديع ذاكرا تعريفها وضاربا لها الأمثلة من جيد الشعر ومتناولا هذه الأمثلة بالتحليل غالبا (٥٥) •

---

(٥٤) المنصف : من ٧ — ٤٧ •

(٥٥) السابق : من ٤٩ — ٨٤ •

وسنفصل الحديث عن هذين التمهيدين فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

وبعد هذين التمهيدين بدأ ابن وكيع فى دراسة شعر المتنبى لاستخراج سرقاته وبيان عيوبه . فتناوله لصيدة قصيدة . ووقف امام عدد من الأبيات من كل قصيدة مبينا ما فيها من عيوب ، وموضحا أصلها ، وذاكرا الشعر الذى يمكن أن تكون مأخوذة منه ، ومقارنا بين شعر المتنبى وشعر غيره ممن تناولوا المعنى . ومضى على هذه الطريقة من أول شعر المتنبى الى آخره .

وكتاب المنصف مكون من جزئين حققا فى مجلد واحد ، والجزء الأول يحتوى على ٥٩٠ صفحه بينما الجزء الثانى لا يحتوى الا على ٤٦ صفحة فقط ، وقد بين محقق الكتاب أنه غير مكتمل ، وأن الجزء الثانى ليس هو أصل الكتاب بل نقول تيسرت للناسخ كما صرح بذلك فى بداية الجزء الثانى (٥٦) . وأيد كلامه بأدلة قوية ، من أهمها ما وجد فى شرح العكبرى لديوان المتنبى من نقول عن ابن وكيع ، تتعلق بقصائد الجزء الثانى ، وليست موجودة فيه . وفصل المحقق — جزاه الله خيرا — هذه المسألة بما لا مزيد عليه (٥٧) ، ومن ثم نرى عدم تكرارها هنا .

وذكر الأستاذ محيى الدين صبحى ما يوحى بأن الجزء الثانى كامل لا نقص فيه وأن ابن وكيع أخرج الجزء الأول مفصلا وفى وقته سريع عقب وفاة المتنبى وشيوع هجائه الكافور وحاشيته ، وبما أن

---

(٥٦) ينظر المنصف : ٥٩٠ حاشية .

(٥٧) ينظر مقدمة تحقيق المنصف .

وينظر تاريخ النقد عند العرب : ٣٠٠ .

شعر المتنبى بعد السيفيات يتعرض لكافور مدحا وهجـاء فقد تخلص ابن وكيع من هذا المأزق بانتقاء أبيات من كل قصيدة تصلح أن تكون غرضا لنقده ، خاصة بعد أن تضاءلت الحـاجة الى التشهير بالمتنبى ، وفترت حماسة ابن وكيع لمثل هذا العمل مع تقدم سنه ... (٥٨) .

وهذا الكلام فى نظرى بعيد عن الصواب لأن ابن وكيع بين فى كتابه أنه سيتناول شعر المتنبى من أوله الى آخره (٥٩) وسار فى الجزء الأول من كتابه على المنهج الذى رسمه دون تعديل ، فغير معقول أن يأتى الى الجزء الثانى ويفرط فى هذا المنهج ، وقد قدمنـا أن محقق الكتاب نقل نصوصا من العكبرى منسوبة الى ابن وكيع تتعلق بقصائد الجزء الثانى وشبيهة تمام الشبه بما اتبعه ابن وكيع فى الجزء الأول وهذا يدل على نقص الجزء الثانى ، كما أن ناسخ الكتاب صرح بذلك فى بداية الجزء الثانى ، وهو ناسخ قديم انتهى من نسخه سنة ٥٨٧هـ .

وانتقاء الأبيات التى تصلح للنقد ، لم يظهر فقط من أول الجزء الثانى ، كما يشير كلام الباحث ولكنه خطة عامة فى الكتاب من أولـه الى آخره ، فلم يتعرض ابن وكيع الى كل قصـيدة بكاملها انما كان يختار منها عددا من الأبيات ، يقل أو يكثر على حسب جودة القصيدة.

ولو قال الباحث إن السيفيات وما بعدها أعظم شـعر للمتنبى ، حيث كان قد بلغ مرحلة النضوج والاستواء وصقلته التجارب ، فلم يجد ابن وكيع فيه ضالته المنشودة ، لكان كلامه أقرب الى الصواب ، وقد تناول ابن وكيع شعر المتنبى مرتبا ترتيبا تاريخيا حيث بدأ بأول شعر قاله ، ثم بما يليه الى آخر شعره ، ومما لاشك فيه أن قصـائد

---

(٥٨) مجلة الفكر العربى : ع ١٧٤/١٤ .
(٥٩) المنصف : ٨٧ .

الصبا والشباب أقل جودة من السينيات والكافوريات وما بعد ذلك ، فوجد فيها ابن وكيع طلبته ووقف أمام عيوب كثيرة فيها •

وبهذا نصل الى نهـاية ما قصدنـاه من التعريف بـابن وكيع وكتابه(٦٠) ، نكون قد انتهينا من التمهيد بقسـميه ومن ثم نتبدى الفصول التى خصصناها بدراسة « المنصف » •

---

(٦٠) كان مقتضى المنهج ان نتحدث عن المتنبى حديثا مفصـلا ولكنا آثرنا ترك هذا لشهرته ، ولكثرة الكتب والبحـوث التى افاضت فى ذلك •

الفصل الأول

مدخل ابن وكيع لمعركته النقدية

لم يدخل ابن وكيع معركته النقدية مع المتنبى مباشرة دون تمهيد ، انما قدم لها بمقدمتين :

الأولى : فى بيان نظريته فى السرقات الأدبية .

والثانية : فى ذكر أقسام الشعر وبيان ما فيه من فنون البديع .

وبين أن هاتين المقدمتين ضروريتان لأمرين :

الأول : أن يكون نقده لشعر المتنبى وبيان سرقاته مبنيا على أسس محكمة ، ونهج واضح .

والثانى : تعريف القارىء بما يحتاج الى معرفته من أصول الشعر وفنونه ، ليكون على دراية بما يرد عليه من مصطلحات ، فيبنى حكمه على أصل وينطق بعدل(١) .

وسنتناول فى هذا الفصل تحليل المقدمتين اللتين صدر بهما ابن وكيع كتابه «المنصف» وجعلهما مدخلا لمعركته النقادية مع المتنبى .

ومن ثم سيحتوى هذا الفصل على مبحثين :

الأول : نظرية ابن وكيع فى السرقات .

والثانى : فنون البديع .

---

(١) ينظر المنصف : ٥ ، ٤٩ .

المبحث الأول

نظرية ابن وكيع فى السرقات

سبق الشعراء المتقدمون الى كثير من المعـانى التى لم ينازعهم فيها أحد ، وذلك بفضل سبقهم الزمنى ، وجـاء بعدهم من نظروا فى أشعارهم ، وحفظوها وقاموا بروايتها ، فعلق بأذهانهم كثير من معانى المتقدمين ، وظهرت فى نتاجهم الشعرى .

وقد عبر الشـعراء من قديم عن اسـتفادتهم من متقـدميهم واقتدائهم بهم ، فامرؤ القيس يقول :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكى الديار كما بكى ابن خذام

فهو يشير الى أن « ابن خذام » بكى الديار قبله ، وقد اقتدى به فى ذلك .

وزهير يقـول :

ما أرانا نقـول الا معـارا   أو معادا من لفظنا مكرورا

فيصرح بأن ما يقوله ، ويقوله الشعراء مستعار من غيرهم ، أو معاد مكرر (١) .

وعرف الشعراء الأقدمون السرقة الشـعرية ، وتبرأوا منهـا ، وذموها فهذا طرفة يقول :

ولا أغير على الأشعار أسرقها   عنها غنيت وشر الناس من سرقا (٢)

وحسان بن ثابت ينفى عن نفسه السرقة فيقول :

---

(١) الوسيط فى الادب العربى : ٣٧ .

(٢) السرقات الادبية : ٣٩ .

لا أسرق الشعراء ما نطقوا   بل لا يوافق شعرهم شعرى (٣)

وقد ذكر « ابن وكيع » كثيرا من أقوال الشعراء فى ذم السرقة والسارق ، وتبرئهم من هذا الفعل الممقوت (٤) .

ولما جاء العصر الأموى وعادت العصبية القبلية ، كثرت الخصومات بين الشعراء وكان هذا دافعا الى البحث فى أقوال الشعراء لكشف مصادرها ، والعناية بأمر السرقات لاتخاذها مادة للتجريح والتشهير بالشاعر ، وتبادل الشعراء أنفسهم تهمة السرق فقال الفرزدق لجرير :

ان استراقك يا جرير قصائدى   مثل ادعائك سوى أبيك تنقل

وقال جرير للفرزدق :

ستعرف من يصير أبوه قينا   ومن عرفت قصائده اجتلابا (٥)

وتناول الرواة والنقاد واللغويون مسألة السرقات بين الشعراء فى مجالس الأدب ، حتى جاء العصر العباسى وازدهرت الحركة العلمية، واشتدت المعارك الأدبية بين أنصار القديم والحديث ، وكثر القول حول سرقة المحدثين من القدماء ، « وأثارت مسألة السرقات حركة نقادية ضخمة توفر عليها النقاد بالبحث والدرس ، وألفت فيها الكتب المتنوعة (٦) .

وأول كتاب ألف فى السرقات « سرقات الكميت من القرآن وغيره » لعبد الله بن يحيى المعروف بابن كناسة والمتوفى سنة ٢٠٧هـ ، وتبعه

---

(٣) مشكلة السرقات فى النقد العربى : ١٢ .
(٤) ينظر المنصف : ٤١ ـ ٤٨ .
(٥) اتجاهات النقد الادبى العربى : ١٩٢ .
(٦) مشكلة السرقات : ٣٠ .

« ابن السكيت » المتوفى سنة ٢٤٠ هـ فألف كتـابه « سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه » ، وجاء الزبير بن بكار القرشي المتوفى سنة ٢٥٦ هـ فألف كتابه « اغارة كثير على الشعراء » (٧) .

وظهرت المعركة الأدبية حول « أبى تمـام » و « البحترى » ، وألفت كتب شتى فى السرقات بعامة وفى سرقاتهما بخاصة ، فألف أحمد ابن أبى طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ « سرقات الشعراء » ، و « سرقات البحترى من أبى تمام » (٨) ، وألف بشر بن يحيى « السرقات الكبير » و « سرقات البحترى من أبى تمام » (٩) ...

وبجانب كتب السرقات تناولت كتب الأدب والبلاغة والنقد مسألة السرقات واهتمت ببحثها كما فعـل « ابن طبطبا العلوى » المتـوفى سنة ٣٢٢هـ فى كتابه « عيار الشعر » (١٠) وأبو بكر الصولى المتـوفى سنة ٣٣٥ هـ فى كتابه « أخبار أبى تمام » (١١) ، والآمدى فى كتـابه « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » (١٢) .

وبرزت المعركة الأدبية حول المتنبى فى الساحة ودارت رحاها بين مؤيديه ومعارضيه ، وألفت كتب فى سرقـاته وأخطـائه ، ومن أهمها كتاب « المنصف » لابن وكيع الذى نهتم بتحليل قضاياه ومسائله .

نظرية " ابن وكيع " فى السرقات :

تعتبر المقدمة التى كتبها « ابن وكيع » عن السرقات ، وصدر بها

---

(٧) السـابق : ٧٦ .
(٨) السـابق : ١٤٥ .
(٩) السابق : ١٤٨ .
(١٠) ينظر عيار الشعر : ١٠ ، ٢٣ ، ٧٦ .
(١١) ينظر أخبار أبى تمام : ٥٣ ، ٧٦ ــ ٨٢ .
(١٢) ينظر الموازنة : ١١٢/١ ، ٣١١ .

كتابه « المنصف » نظرية متكاملة فى السرقات الأدبية ، تحدث فيها عن العناصر التالية :

١ ــ أخذ المحدثين من القدماء •

٢ ــ تفضيل الأخذ من المنثور •

٣ ــ السرقة المحمودة •

٤ ــ السرقة المذمومة •

٥ ــ توارد الخواطر •

٦ ــ المعانى المشهورة المتداولة •

وبين أنه سيتحدث عن ذلك ليكون نهجاً واضحا وأساسا محكما للحكم على سرقات أبى الطيب فقال : وينبغى أن أثبت لك وجوه السرقات محمودها ومذمومها وصحيحها وسقيمها وأعرفك ما يوجب الفضيلة للسارق ، وما يلحقه الرذيلة ليكون ما نورده له وعليه مقيسا على أس قد أحكمناه ونهج قد أوضحناه » (١٣) •

وسنبين وجهة نظر « ابن وكيع » فى كل عنصر من هذه العناصر ، ثم ننتقل بعد ذلك الى التعقيب عليها ، ومناقشة ما يحتاج من آرائه الى مناقشة ونعرض لآراء العلماء والباحثين فيما ذكره فى قضية السرقات الأدبية •

١ ــ أخذ المحدثين من القدماء :

بين « ابن وكيع » أن المتقدمين قد سبقوا المحدثين الى تناول المعانى ، واستولوا عليها ، فقال : ان مرور الأيام قد أنفد الكلام ، فلم يبق لمتقدم على متأخر فضلا الا سبق اليه ، واستولى عليه (١٤) •

---

(١٣) المنصف : ٥ •

(١٤) المنصف : ٧ •

ومادام الأمر كذلك ، فلا مناص من استعانة اللاحقين بالسابقين، واستعارة بعض ألفاظهم ومعانيهم « وهذا ما لا يسلم منه بدوى أو حضرى ، جاهلى أو اسلامى ... وهو يعم جميع القائلين من الأولين والآخرين ... حتى قال الفرزدق : نحن معاشر الشعراء آسرق من الصاغة ... (١٥) .

ومهما اجتهد اللاحقون فى الكف عن معانى السابقين ، فلن يسلم شعرهم من الأخذ والتأثر ، يقول « ابن وكيع » : وما شىء باعجب من وقوع جملة الشعراء فى أمر يشترك فيه قديمهم ومحدثهم : من استعارة الألفاظ والمعانى على مر الزمان : بتحكيك الفحول منهم الشعر، وتنقيتهم اياه ، حتى انهم كانوا يسمون قصائدهم « الحوليات » لأنهم كانوا يعيدون فيها النظر حولا حولا قبل ظهورها ، فلم يعصمهم طول النظر ، وكد الخواطر والفكر ، من أن يلم بعضهم بكلام بعض (١٦) .

وقد سبق « ابن طباطبا » الى ذكر هذه الحقيقة ، والتمس العذر للمحدثين فى استعانتهم بمعانى المتقدمين فقال : والمحنة على شعراء زماننا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم سبقوا الى كل معنى بديع ولفظ فصيح وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة ، فان اتوا بما يقصر عن معانى أولئك ، ولا يربى عليها ، لم يتلق بالقبول ، وكان كالمطرح المملول (١٧) .

---

(١٥) السابق : ٣ .
(١٦) السابق : ٤ .
(١٧) عيار الشعر : ٩ .

٣ ــ تفضيل الأخذ من المنثور :

بين « ابن وكيع » أن الأخذ من المنثور يدل على حذق الشاعر وفطنته ، لأن آخذه سيخفى على الكثيرين ، فقال : فأحذق شعرائنا من تخطى المنظوم الى المنثور،لأن المعانى المستجادة،والحكم المستفادة اذا وردت منثورة كانت كالنوادر الشاردة ، ليس لها شهرة المنظوم السائر على ألسنة الراوين ، المحفوظ على قائله كالتدوين ، فالعارفه بأخذ المنثور قليل ، والجاهل به كثير (١٨) •

والمعانى المنثورة اذا أخذها شاعر وألبسها ثوب النظم ، ازداد رونقها وعظم بهاؤها ، وثبتت لسارقها فضيلة النظم والابداع ، وهذا سبب اخر يفضل الأخذ من المنثور وقد أشار اليه « ابن وكيع » فقال: وقد أبقى قائل الحكم المنثورة لسارقها من فضيلة النظم ما يزيد فى رونق مائها ، وبهجة روائها ، فهى كالحسناء العاطلة : حليها فى نظامها فاذا جلاها النظم ، نسبت الى السارق ، واستحقت على السابق (١٩)•

أما المعانى التىصاغها أصحابها نظما ، فقد برزت فى غايةالحسن، ومن ثم فلا فضيلة لسارقها ، الا بوجه من وجوه الحسن ، يقول « ابن وكيع » : والمعنى اللطيف فى اللفظ الشريف كالحسناء الحالية ، فقد استوفى بالنظام غاية الحسن والتمام ، فقد فاز قائلها بالحظين ، واستولى على الفضلين فلا يشركه السارق فى فضيلة ، ولا البارع فى براعته الا بوجوه أنا ذاكرها ••• (٢٠) •

وهذه الوجوه التى أخذ « ابن وكيع » فى ذكرها هى وجوه حسن السرقة ، التى سنعرض لها بعد قليل •

(١٨،١٩،٢٠) المنصف : ٧ •

واستحسان الأخذ من المنثور قد أشار اليه « ابن طباطبا » قبل ذلك فقال : وان وجد المعنى اللطيف فى المنثور من الكلام ، أو فى الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن،ويكون ذلك كالصائغ الذى يذيب الذهب والفضة المصوغين ، فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه ... (٢١) .

٣ ـ السرقة المحمودة :

قسم « ابن وكيع » السرقة قسمين : محمودة ومذمومة ، وجعل لكل قسم منهما عشرة أوجه ذكرها ومثل لها ، وتناول الأمثلة بالتحليل ، فأوجه السرقة المحمودة هى :

الأول : استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القايل .

كقول طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بما له ... كقبر غوى فى البطالة مفسد

اختصره « ابن الزبعرى » فقال :

والمعطيات خساس بيننا ... وسواء قبر مثر ومقل

فقد شغل صدر البيت بمعنى ، وجاء ببيت « طرفة » فى عجز بيت أقصر منه ، بمعنى لائح ، ولفظ واضح (٢٢) .

ومن ذلك قول « بشار » :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

---

(٢١) عيار الشعر : ٧٧ ، ٧٨ .

(٢٢) المنصف : ٩ .

أخذه « سلم الخاسر » فقال :

من راقب الناس مات غما وفـاز باللـذة الجسـور

فلما سمع « بشار » هذا البيت قال : يعمد الى معانى التى أسهرت فيها ليلى ، وأتعبت فيها فكرى ، فيكسوها لفظا أخف من لفظى ، فيروى شعره ويترك شعرى ، والله لا أكلت اليوم ولا صمت (٢٣) .

فهذا هو الوجه الأول من وجوه السرقة المستحسنة عند « ابن وكيع » وقد رأينا فى المثالين السابقين أن الشاعر السابق قد صاغ المعنى فى ألفاظ طويلة ، فجاء اللاحق وصاغه صياغة محكمة موجزة مع الوضوح ، فنالت الاعجاب واستحقت التقديم ، وقد عبر « بشار » عن ذلك فى تعليقه على بيت « سلم الخاسر » .

الثانى : نقل اللفظ الرذل الى الرصين الجزل .

كقول العباس بن الأحنف :

زعموا لى أنها باتت تحم ابتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكمل ما كانت كما يشتكى البدر اذا ما قيل : تم

هذا معنى لطيف ، أخذه « ابن المعتز » فقال :

طوى عارض الحمى سناه فحالا
وألبسه ثوب السقام هزالا

---

(٢٣) السابق : ١٠ .

كذا البدر محتـوم عليه اذا انتهى
الى غاية فى الحسن صار هلالا (٢٤)

ومما لا شك فيه أن قول « ابن المعتز » رصين جزل ، يجرى فى سهولة وسلاسة ، بخلاف قول « العبـاس بن الأحنف » الذى يلحظ القارىء فيه بعض الثقل ؛ وبخاصة فى البيت الثانى ، بسـبب توالى حرف الكاف فى كلماته •

ومنه قول عمرو بن حازة :

لا تكن محتقرا شأن امرىء ربما كانت من الشـأن شئون
ربما قرت عيـون بشـجى ممرض قد سخنت منـه عيون

أخذه أبو تمام، فحول صيغته فقال :

وحسن منقلب تبدو عواقبـه جاءت بشاشتهمن قبح منقلب(٢٥)

وبيت أبى تمام يجمع مع الرصانة والجزالة زيادة المعنى ، وحسن الطباق ، حتى أصبح بينه وبين قول ابن حازة بون شاسع •

الثالث : نقل ما قبح مبناه دون معناه الى ما حسن مبناه ومعناه، من ذلك قول أبى نواس :

بح صوت المـال مما منـك يشـكو ويصيح
ما لهـذا آخـذ فو ق يديـه أو نصيح ؟

معناه صحيح ، ولفظه قبيح ، أخذه مسلم فقال :

تظلم المال والأعداء من يده لازال للمال والأعداء ظلاما

---

(٢٤) السـابق : ١٣ •
(٢٥) المنصف : ١٣ •

فجود الصنعة ، وجمع بين تظلمين كريمين ، ودعا للممدوح بدوام تظلمه للمال والأعداء ، وكل ذلك مليح جزل ، نقل من ضعيف المبنى(٢٦) •

وأبو نواس يريد أن يقول : ان المال يتظلم من اهانته له بالتمزيق والعطاء والبذل ، فالمعنى حسن ، ولكنه عبر عنه بلفظ قبيح ، وجعل للمال صوتا على طريق الاستعارة المكنية ، ولا مناسبة بين طرفى الاستعارة ، وقد اشترطوا فى حسنها وجود مناسبة بين طرفى التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة(٢٧) •

وقد بين « ابن وكيع » فضل قول « مسلم » بما لا مزيد عليه ، مما يدل على دقة بصره بالشعر ونقده •

الرابع : عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد أن كان هجاء •

ومنه قول البلاذرى :

قد يرفع المرء اللئيم حجابه ضعة ودون العرف منه حجاب

عكسه الآخر فقال :

ملك أغر محجب معروفة لا يحجب (٢٨)

فالمعنى الذى قاله « البلاذرى » فى الهجاء ، والبيت من مقطوعة قالها فى هجاء عبيد الله بن يحيى ، لما ذهب الى بابه فحجبه ومنع عنه المعروف (٢٩) •

---

(٢٦) السابق : ١٣ ، ١٤ •
(٢٧) ينظر بغية الايضاح : ١٦٨/٣ •
(٢٨) المنصف : ١٥ •
(٢٩) ينظر معجم الادباء : ٨٩/٥ •

فجاء الشاعر الآخر وعكس المعنى فجعله ثناء ومدحا ، وبهذا حسن الأخذ .

ومنه قول « ابن الرومى » :

ما شئت من مال حمى   يأوى الى عرض مباح

ثم عكسه فقال :

هو المرء أما ماله فمحلل   لعاف ، وأما عرضه فمحرم (٣٠)

فالبيت الأول فى هجاء وذم أهل الزمان ، والبيت الثانى فى مدح عبيد الله بن عبد(٣١) ، وبذلك عكس المعنى من هجاء الى مدح وثناء .

الخامس : استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه .

ومنه قول أبى نواس فى الخمر :

لا ينزل الليل حيث حلت   فدهر شرابها نهار

احتذى عليه البحترى ، وفارق مقصد أبى نواس فجعله فى محبوب فقال :

غاب دجاها وأى ليل   يدجو علينا وأنت بدر

ومثله قول أبى نواس :

من شراب كأنه كل شىء   يتمنى مخير أن يكونا

---

(٣٠) المنصف : ١٥ ، ١٦ .

(٣١) ينظر ديوان ابن الرومى : ٥١٥/٢ ، ٢١٠٥/٥ .

احتذى عليه حبيب فى صفة ممدوح فقال :

لو صورت نفسك لم تردها　　على ما فيك من كرم الطباع

قوله : « صورت نفسك » يشبه قول أبى نواس : « مخير » فى المعنى (٣٢) .

السادس : توليد كلام من كلام : لفظهما مفترق ، ومعناهما متفق.

وهذا القسم عند « ابن وكيع » من أدل الأقسام على فطنة الشاعر ، لأنه جرد لفظه من لفظ من أخذ منه ، وهو فى معناه متفق معه (٣٣) .

ومن أمثلته قول بعض العرب :

غلام وغى تقحمها فأودى　　وقد طحنته مرادة طحون
فان على الفتى الاقدام فيها　　وليس عليه ما جنت المنون

وولد منه أبو تمام قوله :

لأمر عليهم أن تتم صدوره　　وليس عليهم أن تتم عواقبه

فالمعنى متفق ، واللفظ مفترق ، وهذا المذهب من دقه فطنه السارق (٣٤) .

ومنه قول قيس بن الخطيم :

تصدت لنا كالشمس تحت غمامة　　بدا حاجب منها وضنت بحاجب

---

(٣٢) المنصف : ١٦ .
(٣٣) المنصف : ١٧ .
(٣٤) السابق : ١٧

أخذه أبو نواس فقال فى محبوب أعرض عنه ببعض وجهه :

يا قمرا للنصف من شهرتا   أبدى ضياء لثمان بقين(٣٥)

السابع : توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات •

قال « ابن وكيع » : هذا من أسد الباب وأقله وجودا ، وانما قل وجوده ، لأنه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته ، وكد فيه فكرته•

ومنه قول أبى نواس :

واسـقينها من كميت   تدع الليل نهـارا

واشتق من ذلك قوله :

لا ينزل الليل حيث حلت   فدهر شرابها نهـار

وقال أيضا:

قال ابتغى المصباح قلت له اتئد   حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة   كانت له حتى الصباح صبـاحا

وكل هذه معان متقاربات ، وألفـاظ متناسبات ، مولد بعضـها من بعض (٣٦) •

الثامن : مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام ، وان كان أحق به لأنه ابتدع والثانى اتبع •

من ذلك قـول العكوك فى فرس :

مطرد يرتج من أقطاره   كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

---

(٣٥) السابق : ١٧ ، ١٨ •
(٣٦) السابق : ١٨ •

فذكر ارتجاجه ، ولم يذكر سكونه ، فأخذه ابن المعتز فقال :

فكأنه مـــوج يذوب اذا أطلقته واذا حبست جمد

فجمع بين الصفتين (٣٧) •

ومنه قول ديك الجن :

مشعشعة من كف ظبى كأنما تناولها من خـــده فأدارها

أخذه ابن المعتز فقال :

كأن سلاف الخمـــر من ماء خده وعنقودها من شعره الجعد يقطف

فزاد فى ذلك تشبيها آخر فى الشعر هو من تمام المعنى (٣٨) •

التاسع : مما ثلة السارق والمسروق منه فى كلامه ، بزيـــادته فى المعنى ما هو من تمامه •

من ذلك قول النابغة :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتنـــاولته واتقتنـــا باليـــد

أخذه أبو حية النميرى فقال :

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين : كف ومعصم

فلم يزد النابغة على أخبارنا باتقائها بيدها ، وزاد عليه أبو حية بقوله « دونه الشمس » وخبر عن المتقى بأحسن خبر، فاستحقه (٣٩)•

---

(٣٧) المنصف : ١٩ •
(٣٨) السابق : ٢٠ •
(٣٩) الســـابق : ٢١ •

وقــال بشار :

ولقد جريت مع الهوى طلق الهوى ثم انثنيت فلم أجد لى مركضا

أخذه أبو نواس فقال :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهــان على مأثــور القبيح

« فطلق الجموح » أشعر من « طلق الهوى » ، ولم يخبر بأنه ارعوى ولم يجد مركضا ، وتمم بيته بخبر ثان يليق بالأول(٤٠) •

العاشر : رجحان السارق على المسروق منه ، بزيـادة لفظه على لفظ من أخذ عنه •

من ذلك قول حسان بن ثابت :

ان كنت كاذبة التى حدثتنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبه أن يقاتل دونهم ونجــا برأس طمــرة ولجــام

أخذه حبيب فقال :

ونجا ابن خائنة البعولة لو نجا بمهفهف الكشحين والآطــال (٤١)

فهذه الوجوه العشرة المتقدمة هى وجوه السرقة المحمودة ، التى يغفر فيها ذنب السارق ، ولا يعاب بسرقته ، لأنه تصرف فيها بوجه من الوجوه التى حسنتها وجعلتها مقبولة •

٤ ــ السرقة المذمومة :

وبعد ذكر وجوه السرقة المحمودة فصل ابن وكيع وجوه السرقه المذمومة ، وجعلها عشرة وجوه أيضا هى :

---

(٤٠) السابق : ٢٢ •
(٤١) المنصف : ٢٣ •

الأول : نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير .

من ذلك قول مسلم بن الوليد :

أقبلن فى رأد(٤٢) الضحاء بها   يسترن وجه الشمس بالشمس

أخذه الآخر فقال :

واذا الغزالة فى السماء تعرضت   وبدا النهار لوقتـه يترجل
أبدت لعين الشمس عينا مثلها   تلقى السماء بمثل ما تستقبل

فالمعنى صحيح ، والكلام مليـح ، غير أنه تطويل وتضـمين ، والبيتان جميعا نصف بيت مسلم(٤٣) .

الثانى : نقل الرصين الجزل الى المستضعف الرذل :

ولقد قتلتك بالهجـاء فلم تمت   ان الكلاب طويلة الأعمـار
مازال ينتجفى ليشرف جـاهدا   كالكلب ينبح كامل الأقمـار

أخذه ابن طاهر :

وقد قتلناك بالهجاء ولـ   ـكنك كلب معقف ذنبه

فجمع بين قبح السرقة ، وضعف العبارة ، ولا حـاجة الى ذكر التعقيف فى الذنب ، لأنه غير دال على طول العمر ، وهذا ظاهر(٤٤) .

الثالث : نقل ما حسن مبناه ومعناه الى ما قبح مبناه ومعناه . من ذلك قول امرىء القيس :

---

(٤٢) رأد الضحى : ارتفاعه .
(٤٣) السابق : ٢٧ ، ٨٢ .
(٤٤) السابق : ٢٨ ، ٢٩ .

ألم تريانى كلما جئت طارقا   وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فأتى بما لم يعلم وجوده فى البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيبـــا .

وجاء بمراده فى بيت حسن النظام ، مستوفى التمام .

أخذه « كثير » فطول وضمن ، وقصر غاية التقصير فقال :

فما روضة بالحزن معشـــية الربى   يمج الندى جثجاثها وعرارهـــا
بأطيب من أردان عـــــزة موهنا   وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

فأخبر أن أردانها اذا ابتخرت كالروضة فى طيبها،وذلك مالا يعدم فى أسهك البشر جسما ، وأقلهم تنظفا(٤٥) .

الرابع : عكس ما يصير بالعكس هجاء ، بعد أن كان ثناء .

كقول أبى نواس :

فهو بالمال جواد   وهو بالعرض شحيح

عكسه « ابن الرومى » فقال :

ما شئت من مال حمى   يأوى الى عرض مباح

وكقول حسان بن ثابت :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الأنوف من الطراز الأول

عكسه ابن أبى فنن فقال :

ذهب الزمان برهط حسان الألى   كانت مناقبهم حديث الغـــابر
وبقيت فى خلف يحـــل ضيوفهم   منهم بمنزلة اللئيم الغـــادر

---

(٤٥) المنصف : ٢٩ ، ٣٠ .

سود الوجوه لئيمة أحسـابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر(٤٦)

الخامس : نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه الى ما قبح وثقل على لسان راويه من ذلك قول أبى نواس :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

فأبو نواس زجر عذوله عن لومه بألطف كلام ، وأفاد صدر بيته اغراء اللوم المحب بالحب ، وشغل عجزه بمعنى آخر : بكلام رطب ، ولفظ عذب ، أخذه أبو تمام فقال :

قدك اتئب أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

فزجر عذوله بصعود من الكلام وحدور يصعب على راويه ، ويقبح صدر قوافيه(٤٧) .

ومعنى بيت أبى تمام : حسبك ، استحى ، فقد زدت وغاليت فى لومى وعذلى ، وكثيرا ما تعذلوننى وأنتم أصدقائى .

السادس : حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه .

من ذلك قول عنترة :

فاذا سكرت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

أخذه حسان فقال :

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

فوفى عنترة الصحو والسكر صفتيهما ، وأفرد حسان الاخبار عن

---

(٤٦) السابق : ٣١ .
(٤٧) المنصف : ٣٢ .

حال سكرهم دون صحوهم ، فقبض ما هو من تمام المعنى ، لأنه قد يمكن أن يظن ظان بهم البخل والجبن اذا صحوا ، لأن من شأن الخمر تسخية البخيل وتشجيع الجبان(٤٨) •

ومن ذلك قول امرى القيس :

نظرت اليك بعين جازئة   حوراء حانية على طفل

أخذه المسيب فقال :

نظرت اليك بعين جازئة   في ظل فاردة من السدر

وما لحسن عين الوحشية في ظل السدرة الا مالها في غير ذلك •

ولامرىء القيس فضل السبق والحذق ، وذلك لأنه قال : «حوراء» فأفاد صفة ، ثم قال « حانية على طفل » وفي حنوها على ولدها ما يكسب نظرها بنزوعها عليه وخوفها معنى لا يوجد عند سكونها وآمنها، فقد سرق المعنى « المسيب » وحذف ما هو من تمام الكلام(٤٩) •

السابع : رجحان كلام المأخوذ عنه على كلام الآخذ منه •

من ذلك قول مسلم :

أما الهجاء فدق عرضك دونه   والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت عتيق عرضك انه   عرض عززت به وأنت ذليل

أخذه أبو تمام فقال :

قال لي الناصحون وهو مقال   ذم من كان جاهلا اطراء

صدقوا في الهجاء رفعة أقوا   م طغام فليس عندي هجاء

(٤٨،٤٩) السابق : ٣٣ ؟

فبين الكلامين بون بعيد(٥٠) .

الثامن : نقل العذب من القوافي الى المستكره الجافي .

من ذلك قول أبى نواس :

بشرهم قبل النـوال اللاحق   كالبرق يبدو قبل جـوده دافق
والغيث يخفى وقعـه للرامق   ان لم يجده بدليل البـارق

أخذه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التى ابتدأت   بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالمزنة اســـتؤنفت أولى مخيلتها   ثم استهلت بغرب تابع الديما

فكلام أبى نواس أخصر وأعذب من كلام البحترى(٥١) :

التاسع : نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وفساده

من ذلك قول الأسود بن يعفر :

ولقد أروح الى التجار مرجلا   مذلا بمالى لين الأجياد

وانما له جيد واحد ، وهذا يجوز عند بعض العرب،وعند آخرين غير حميد ولا سديد .

ومنه قول أبى الطمحان القينى :

لما تحاملت الحمول حسبتها   دوما بأيلة ناعما مكموما

فذكر أن الدوم مكموم ، وانما يكمم النخل(٥٢) .

(٥٠) المنصف : ٣٥ .
(٥١) السابق : ٣٦ .
(٥٢) السابق : ٣٧ .

والملاحظ أن « ابن وكيع » لم يذكر فى هذا القسم الأصل المأخوذ منـــه .

العاشر : أخذ اللفظ المدعى هو ومعناه معا .

وهذا القسم أقبح أقسام السرقات . وأدناها ، وأشنعها . فمن ذلك قول امرىء القيس :

وقوفا بها صحبى عـلى مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

أخذه طرفة فقال :

وقوفا بها صـحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد(٥٣)

ومن ذلك قول الخطيئة :

اذا حدثت أن الذى بى قاتلى من الحب قالت : ثابت ويزيد

سمعه جميل فقال :

اذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى من الحب قالت : ثابت ويزيد

وأظن جنايته على الحطيئة فى هذا البيت سـهلت على الفرزدق وكثير مجازاته بمثل ما فعل ، مما أخذا منه(٥٤) .

وبهذا الوجـه ينتهى « ابن وكيع » من بيـان وجوه السرقات المذمومة . وتقسيم السرقات الى محمودة ومذمومة وجعل كل قســم منها عشرة وجوه هو عماد نظرية « ابن وكيع » فى السرقات الأدبية .

٥ ـ توارد الخـواطر :

وهو أن يتفق الشاعران فى بيت أو بعض بيت فى لفظه ومعناه ، ويسمى عند علماء البلاغة « الموارده »(٥٥) .

---

(٥٣) المنصف : ٣٨ .
(٥٤) السـابق : ٣٩ .
(٥٥) خزانة الادب : ٢/٣٨٠ .

وقد تحدث « ابن وكيع » عن هذا الموضوع فى القسم العاشر من السرقة المذمومة ، حيث مثل له ببيتى امرىء القيس ، وطرفه : وقوفا بها صحبى ... ثم قال : وقد زعم قوم أن هذا من اتفاق الخواطر ، وتساوى الضمائر ، وبازاء هذه الدعوى أن يقال : بل سمع فاتبع ، والأمران سائغان ، والأولى : أن يكون ذلك مسروقا ، لانا قد رأينا لهذين الشاعرين ما لم تدع فيه موافقة ، وهو قول امرىء القيس :

وعنس كألواح الاران نسأتها على لا حب كالبرد ذى الحبرات

وقال طرفة :

أمون كألواح الاران نسأتها على لا حب كأنه ظهر برجد

فان جوزوا أن يكون هذا مسروقا فذاك مثله .

ودعوى الاتفاق فى البيتين الأولين تنبغى من حاضر صنعة القصيدتين وقت صنعهما شاعراهما ، مخبر بأن الزمان فى قولهما ، وظهورهما للناس واحد ، وأن المكان الذى حضرا فيه ، وحضر معهما واحد ، والا فما يصل فى دعواه الى ايضاح برهان ، كما لا نقطع نحن عليهما ببطلان(٥٦) .

واستنتاجا من كلام « ابن وكيع » نقول : انه يرى أن توارد الخواطر جائز الوقوع ، ولكن لا يمكن الجزم بوقوعه بين شاعرين الا بشرطين :

١ — أن تكون دعوى اتفاق الخواطر من حاضر صنعة القصيدتين.

٢ — أن يكون مكان وزمان قولهما ، وظهورهما للناس واحدا .

---

(٥٦) المنصف : ٣٨ .

وبدون ذلك لا يمكنه الجزم بتوارد الخواطر •

وبناء على هذا فهو يرجح أن يكون بيت طرفة مسروقا من بيت امرىء القيس لعدم استيفاء الشرطين السابقين ، ولوجود بيت آخر لطرفة مسروق من بيت لامرىء القيس ، ولم يدع أحد أنه من اتفاق الخواطر وتواردها ، فاذا جاز أن يكون هذا مسروقا ، فالبيت الأول مثلـــه •

والشرطان اللذان وضعهما « ابن وكيع » لاثبات توارد الخواطر فيهما قدر كبير من التعسف والشطط ، ولا يمكن تحققهما فى غـــالب الأحوال •

وأرى أنه يكفى لاثبات « توارد الخواطر » : اثبات عدم معرفة الشاعر بما قاله الآخر ، دون اشـــتراط اتحاد زمان ومكان الصـــنعة والظهور الناس ، وحضور المدعى صنعة القصيدتين •

وقد تحدث « ابن رشيق » عن هذين البيتين ، ورجح نفى التوارد بين امرىء القيس وطرفة ، بدليل السبق الزمـــانى لامرىء القيس ، وشهرة شعره ، وسيرورته ، ثم ذكر أن المواردة يمكن أن تقـــع بين شاعرين لم يتحدا فى العصر ، فقال : وأما المواردة فقد ادعاها قوم فى بيت امرىء القيس وطرفة ، ولا أظن هذا مما يصح ، لأن طرفة فى زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين ، وكان امرؤ القيس فى زمان المنذر الأكبر كهلا ، واسمه وشعره أشهر من الشمس ، فكيف يكون هذا مواردة ؟ الا أنهم ذكـــروا أن طـــرفة لم يثبت له البيت ، حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف ، واذا صح هذا كان مواردة ، وان لم يكونا فى عصر ، وسئل أبو عمـــرو بن العلاء : أرأيت الشـــاعرين يتفقان فى المعني ، ويتواردان فى اللفظ ، لم يلق واحد منهما صـــاحبه

ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على موضع الحافر(٥٧) .

٦ ـ المعانى المشهورة المتداولة :

من المعانى ما هو مشهور دائر على ألسنة الناس ، كتشبيه الوجه بالبدر ، والقد بالغض ، والريق بالخمر والماء الزلال وغير ذلك .

وهذه المعانى يعذر الشعراء فى تداولها لشيوعها ، وجريانها على الألسنة ، وقد أشار « ابن وكيع » الى أنه فى بيانه لسرقات المتنبى لن يذكر هذه المعانى التى كثر استعمالها ، وترددت كثيرا على ألسنة الشعراء ، وأنه يعذر آخذ هذه المعانى بشرط أن يزيد فى معناها ، أو يتملح فى ألفاظها ، أو يبرع فى صياغتها فقال : على انى لا أذكر المعانى التى قد كثرت الشعراء استعمالها ، وواصلت استبذالها،وصار موردها قد حصل له اسم السارق ، ولم يظفر بمعنى فائق ، وذلك كتشبيه الوجه بالبدر ، والريق بالخمر المسال ، والماء الزلال ، والقد بالغصن ، وما أشبه ذلك من المتكرر المتردد ، والمألوف المتعود .

وانما أعذر سارق هذه الألفاظ المتداولة والمعانى المتناولة اذا زاد فى معناها أو تملح فى ألفاظها ، كقول ابن المعتز فى صفة القد :

يا غصنا ان هزه مشيه　　خشيت أن يسقط رمانه

هذه الخشية من سقوط رمان الغصن ، وجمعه فى البيت تشبيه الثدى والقد من أملح كلام .

---

(٥٧) العمدة : ٢/٢٨٩ .

وكقول ابن الرومى :

يا طيب ريـــق بات بدر الدجى   يمجـــه بـــين ثنـــاياكا
يروى ، ولا ينهـــاك عن شربه   والمـــاء يرويك وينهـــاكا

فانظر كيف قرن تشبيه الريق بالماء بلفظ مليح ، صار به المألوف غريبا ، والمبتذل عجيبا(٥٨) •

فالتلطف فى صياغة المعانى المشهورة ، أو الزيادة فى معناها،مما يجعل الكلام مليحا ، ويضاعف من حسنه ، ويثبت الفضل لآخذ هذه المعانى المتداولة •

تعقـــيب :

بالتأمل فى نظرية ابن وكيع فى السرقات الأدبية نرى أنها نظرية متكاملةالجوانب قد جاءت مفصلة تفصيلا دقيقا لم نشهده بهذا التنسيق عند سابقيه ممن تحدثوا فى هذا الموضوع •

ولنا عليها بعض الملاحظات : ففى القسم الثـــامن من السرقات المحمودة يوجد تناقض بين عنوانه وأمثلته ، فالعنوان يفيد تســـاوى الآخذ مع المأخذ منه حتى لا يزيد نظم على نظم ، بينما الأمثلة التى ذكرت فى هذا القسم فيها زيادة للآخذ على المأخوذ منه كما هو واضح من تعليق ابن وكيع عليها(٥٩) •

وعلى هذا فينبغى أن تكون هذه الأمثلة من قبيل رجحان السارق على المسروق منه لا من قبيل المساواة •

---

(٥٨) المنصف : ٨٥ ، ٨٦ •

(٥٩) ينظر القســـم الثامن فيمـــا ســـبق ، وفى المنصف : ١٩ وما بعـــدها •

وفى القسم التاسع يوجد تعارض بين أول عنوانه وآخره ، فأوله: مماثلة السارق المسروق منه فى كلامه ، وآخره : زيادته فى المعنى ما هو من تمامه ، فكيف تتحقق المماثلة مع زيادة السارق ما هو من تمام المعنى ؟ ! الصحيح أن يكون هذا من قبيل رجحان السارق على المسروق منه .

ومن ثم نرجح أن اضطرابا وقع فى المخطوطة فى الأقسام الثلاثة الأخيرة من السرقة المحمودة ، يؤيدنا فى ذلك ما جاء فى « نضرة الاغريض » حيث ينقل عن ابن وكيع نقلا مباشرا وقد جاء فيه :

القسم التاسع : المماثلة فى الكلام حتى لا يفضل نظام على نظام قال حسان :

يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

أخذه الحكمى فقال :

الى بيت حان لا تهر كلابه   على ولا ينكرن طول ثوائى

لا فرق بين المعنيين ولا الكلامين فقد تماثلا(٦٠) .

قلت : ويضاف الى ذلك قول جميل :

أريد لا أنسى ذكرها فكأنما   تمثل لى ليلى على كل مرقب

حيث أخذه كثير فقال :

أريد لا أنسى ذكرها فكأنما   تمثل لى ليلى بكل سبيل

فهذا مما تماثل فيه السارق مع المسروق منه ، وبهذا يكمل القسم التاسع .

---

(٦٠) نضرة الاغريض : ٢٠٨ .

قال صاحب النضرة : القسم العاشر : رجحان لفظ الآخذ على المأخوذ منه ، وتفضيل معناه على معنى أصدره عنه . قال النابغة .

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

أخذه أبو حية النمرى فقال :

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم

ونقل تعليق ابن وكيع على هذين البيتين ، وفيه توضيح لزيادة أبى حية عن النابغة(٦١) .

قلت : ويضاف الى ذلك ما جاء فى أمثلة القسم الثامن والتاسع فى المنصف حيث تدخل فى هذا القسم لوجود زيادة للسارق على المسروق منه .

وبهذه الطريقة يستقيم الكلام ، ويخلو من التناقض ، وهو وان كان واردا فى مخطوطة المنصف على غير هذه الصورة ، الا أن ما فيه من تناقض ، ووجود خرم فى هذا الموضع من المخطوطة ، ومخالفة ما جاء فى « نصرة الاغريض » لما جاء فيها ، كل هذا يرجح ما قلناه ، والله أعلم بالصواب .

ولنا ملاحظات أخرى سنبديها فى خلال عرضنا لآراء الباحثين فى هذه النظرية .

موقف النقاد والباحثين :

أبدى عدد من النقاد القدامى والباحثين المحدثين آراءهم فى

---

(٦١) نضرة الاغريض : ٢٠٨ والمنصف : ٢١ ، وينظر حاشية المنصف للمحقق : ٢٣ ، ٢٤ .

نظرية ابن وكيع فى السرقات الأدبية ، وسنعرض فيما يلى آراء بعضهم مع ما لنا عليها من ملاحظات .

ابن رشيق :

وهو من النقاد الذين لم ترق لديهم آراء ابن وكيع فى السرقات، ومن ثم قال فى « العمدة » : وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم ... (٦٢) .

فابن رشيق يحكم على مقدمة ابن وكيع فى السرقات بالتشدد ، بحيث لا يصح لأحد شعر عند تطبيقها .

وأرى أن نظرية ابن وكيع لا تصل الى هذا الحد من التشدد ، ففيها جوانب متعددة للتيسير على الشاعر . كتوارد الخواطر ، والمعانى المشتركة ، والأخذ من المنثور ، والأنواع العشرة للسرقة المحمودة التى لا توجب الذم .

وللنقاد القدامى آراء فى السرقات لا تقل حزما عن آراء ابن وكيع ، فالحاتمى وهو معاصر لابن وكيع يذكر فى كتابه « حليه المحاضرة » تسعة عشر بابا للسرقة هى : الانتحال ، والانحال ، والاغارة ، والمعاني العقم ، والمواردة ، والمرافدة ، والاجتلاب والاستلحاق ، والاصطراف ، والاهتدام ، والاشتراك فى اللفظ ، واحسان الأخذ ، وتكافؤ المتبع والمبتدع فى احسانهما ، وتقصير المتبع عن احسان المبتدع ، ونقل المعنى الى غيره ، وتكافؤ السابق والسارق

---

(٦٢) العمدة : ٢/٢٨١ .

فى الاساءة والتقصير ، ولطيف النظر فى اخفاء السرقة ، وكشف المعنى وابرازه بزيادة ، والالتقاط والتلفيق ، ونظم المنثور •

وأبو هلال العسكرى وهو معاصر لابن وكيع يجعل الأخذ على قسمين حسن وقبيح ، ويضع لكل قسم منهما أنواعا متعددة(٦٣) •

وابن رشيق نفسه ذكر أنواعا متعددة للسرقة وأخذ كثيرا من مصطلحات الحاتمى ، وقسم الأخذ الى حسن وقبيح ، وتناول كل قسم منهما بالتفصيل والتوضيح(٦٤) ولا ندرى لماذا يلوم ابن وكيع على آرائه فى السرقات مع أنه يزيد عليه فى الأقسام والمصطلحات •

ولعل الذى شهر ابن وكيع بالتشدد أنه طبق نظريته على ديوان المتنبى بخلاف غيره من النقاد الذين جاء كلامهم غير مقرون بالتطبيق على ديوان معين ، واحسان المتنبى غير منكر لدى خصومه وأنصاره فالمتعرض لديوانه يكون محط الأنظار ، وقبلة النظار •

د• هدارة :

وعرض د• محمد مصطفى هدارة لنظرية ابن وكيع فى السرقات وحكم عليها أحكاما بعضها لم ينل حقه من التأمل والتدقيق ، وسننقله نصه هنا ثم نقف أمامه مبينين وجهة نظرنا فيه • يقول : ولو أننا فتشنا فى هذه الأقسام العشرين — التى قررها ابن وكيع — عن فكرة جديدة يضيفها الى ما سبق أن قرره النقاد فى السرقات ، ما وجدنا أثرا لها فيما عدا هذه التقسيمات ••• أما ما قرره ابن وكيع بشأن الاختصار فى السرقة الحسنة فقد سبقه القاضى الجرجانى اليه •

---

(٦٣) الصناعتين : ١٩٦ وما بعدها ، ٢٣٩ وما بعدها •
(٦٤) ينظر العمدة : ٢/٢٨١ •

وسبقه القاضى أيضا فى القسمين الثانى والثالث ... وكان على ابن وكيع أن يجعل هذين القسمين قسما واحدا ، وسبقه القاضى أيضا الى القسم الرابع وهو عكس المعنى ، ولا أدرى لماذا حصر ابن وكيع عكس المعنى فى المدح والهجاء فحسب ، أما القسم الخامس من السرقة الحسنة فقد سبقه اليه القاضى الجرجانى أيضا ... والقسم السادس سبقه اليه القاضى أيضا ... والقسم السابع لا يختلف عن السادس فى شىء فهما فى الواقع قسم واحد أما القسم الثامن فلا أدرى لماذا جعله ابن وكيع من السرقة الحسنة مع أن الآخذ يتساوى فيه مع المأخوذ منه ...

... والقسمان التاسع والعاشر هما فى الواقع قسم واحد أيضا، وقد سبق الى تقرير هذا النوع القاضى الجرجانى...هذا كله بالنسبه لأقسام السرقة الحسنة.أما أقسام السرقة القبيحة فيبدو أن ابن كيع أراد أن يعكس كلامه فى أقسام السرقة الحسنة ، فبدا لذلك أكثر تعنتا فى استخراج هذه التقسيمات ، فالقسم الرابع منها ليس فى الواقع من السرقات القبيحة وهو نفسه القسم الرابع من السرقات الحسنة ... والقسمان الخامس والثامن شىء واحد فى الواقع ، أما القسم التاسع فلا وجود له فى الحقيقة لأنه من الممكن أن يضاف الى أى من هذه الأقسام .

وكل ما ذكره ابن وكيع عن السرقة القبيحة سبق اليه أيضا ، ولا تجديد له فى أية فكرة منها ، ولعل أكثر السابقين الذين استفاد منهم ابن وكيع القاضى الجرجانى والحاتمى أيضا ، كما نتبين من كتابه « حلية المحاضرة » بصفة خاصة (٦٥) .

ومن تأملنا فى هذا النص نرى أنه يشتمل على حكم عام وأحكام

---

(٦٥) مشكلة السرقات فى النقد العربى : ١٩٥ ، ١٩٦ .

متفرعة عنه ، فأما الحكم العام فهو أن نظرية ابن وكيع فى السرقات ليست فيها فكرة جديدة تضاف الى ما قرره النقاد فى السرقات ، وأما الأحكام المتفرعة عن هذا فهى : أن بعض أقســام السرقة المحمودة ، وكل أقسام السرقة المذمومة قد سبقه أليها القاضى الجرجــانى ، أو الحاتمى ، وبعض الأقسام يمكن الاســتغناء عنه بدمجه فى الأقســام الأخرى .

وحبنا للمتنبى يجب ألا يحفزنا الى الحط من ابن وكيع واغفال جهوده ، فالرجل تحدث عن نظــرية متكاملة الأجــزاء لم نجدها بهذه الدقة عند من سبقه من النقاد ، بغض النظر عن تشدده فيها ، والقول بأنه لم يأت بجديد قول مبالغ فيه ، وقد سبق « بلاشير » الى الزعم بأن كتاب ابن وكيع كله خال من الجدة(٦٦) ، وهذا لا أساس له من الصحة ودليلنا على ذلك ما اشتمل عليه الكتاب من نظرات نقديــة فى ظلال مسح شامل لديوان المتنبى ، لم يسبق اليه .

والحكم بسبق القاضى الجرجــانى لابن وكيع غير مقبول ، وقد قدمنا فى حديثنا عن المنصف أنه سابق للوساطة ، وبهذا فلا محل للنقد المبنى على هذه الناحية .

وقد بنى الدكتور هدارة حكمه بسبق القاضى الجرجانى على ما ذكره ابن خلكان من أنه توفى ســنة ٣٦٦ هـ ، اذ ذكر ذلك فى الطبعة الأولى من كتابه ، وعاد فى الطبعات التالية فبين خطأ ذلك وغير سنة وفاته الى سنة ٣٩٢ هـ (٦٧) ، وهى الســنة الى توفى فيها القــاضى الجرجانى كما هو ثابت ، ولكنه لم يغير أحكامه التى بناها على تاريخ الوفــاة الخاطىء .

---

(٦٦) ديوان المتنبى فى العالم العربى : ٣١ .
(٦٧) مشكلة السرقات : ١٤٦ ط ٢ .

وتأثر ابن وكيع بالحاتمى غير مجزوم به ، لأنهما متعاصران ، ولم يشر أحدهما الى الآخر ، ولم ترد اشارة فى المنصف الى أى من كتب الحاتمى أو رسائله أو أخباره ، كما وردت اشارات الى غيرها من الرسائل والكتب والأخبار .

وفى نقد الدكتور هدارة لأقسام السرقة المحمودة حكم بجعل القسمين الثانى والثالث قسما واحدا ، وكذلك القسمين السادس والسابع ، والقسمين التاسع والعاشر ، وتعجب من جعل القسم الثامن من أقسام السرقة المحمودة .

وأرى أن القسم الثالث يختلف عن القسم الثانى ، فالقسم الثانى يقوم على نقل الألفاظ الرذلة الى الرصينة الجزلة ، فالفاظ المسروق ضعيفة ، والفاظ السارق قوية (٦٨) . أما القسم الثالث فيقوم على قبح المبنى بصفته التركيبية ، وذلك بوضع ألفاظه موضعا لا يناسبها مع كونها جزلة كما فى قول أبى نواس :

بح صوت المال مما   منك يشكو ويصيح

فجعل للمال صوتا على سبيل الاستعارة المكنية ، ولا مناسبة بين طرفى الاستعارة وقد أشرنا الى هذا فى عرضنا لأقسام السرقة المحمودة .

كما أن القسم السابع يختلف عن القسم السادس ، فالقسم السادس يقوم على افتراق اللفظ واتفاق المعنى ، أما القسم السابع فيقوم على تناسب اللفظ وتقارب المعنى ، كما بين ابن وكيع فى تعليقه

---

(٦٨) ينظر المنصف : ١٢ .

على الأمثلة التى ذكرها فى هذا القسم (٦٩) • وأما القسمين التاسع والعاشر فأرى أن فيهما اضطرابا وخلطا أدى الى تشابههما ، وقد بين محقق الكتاب أن فى القسم العاشر انقطاعا ذهب ببقية حديث ابن وكيع عن القسم العاشر من السرقات المحمودة (٧٠) •

وقد أوضحنا آنفا أن فى عنوان القسم التاسع تناقضا بين أوله وآخره (٧١) ، وهذا يدل على اضطراب المخطوطة فى هذا الموضع •

وأما القسم الثامن الذى لا يدرى لماذا جعله ابن وكيع من السرقة الحسنة ؟! فهو على ما يدل عليه عنوانه لا فضل فيه للسابق على اللاحق من حيث المعنى والنظم ، فهما متساويان فى ذلك ، والحكم بالسرقة غير مقطوع به ، فقد يكون اللاحق أتى بالمعنى دون أن يقع على القول السابق ، فعلى أى أساس نظلمه ونجعل قوله سرقة مذمومة !!

على أن فى هذا القسم تناقضا بين عنوانه وبين أمثلته كما بينا آنفا ، حيث تدل الأمثلة على رجحان اللاحق على السابق لما فى قوله من زيادة ، ولم يلحظ الدكتور هدارة هذا التناقض كما لم يلحظ التناقض الموجود فى القسم التاسع •

وفى نقده لأقسام السرقة المذمومة ذكر أن ابن وكيع أراد أن يعكس كلامه فى أقسام السرقة الحسنة ، فبدا لذلك أكثر تعنتا فى استخراج هذه التقسيمات ••• (٧٢) •

---

(٦٩) ينظر المنصف : ١٨ •
(٧٠) المنصف : ٢٣ ــ حاشية المحقق •
(٧١) يراجع تعقيبنا على نظرية ابن وكيع •
(٧٢) مشكلة السرقات : ١٩٦ •

وهذا ليس على عمومه فالعكس بين الأقسام واقع فى الأربعة الأولى ، فقط . كما يمكن اعتباره بين القسمين الثامن فى السرقات المحمودة ، والسابع فى السرقات المذمومة ، ولا عكس فى باقى الأقسام.

ونتفق مع الدكتور هدارة فى اعتراضه على القسم الرابع من السرقات المذمومة اذ ينبغى أن يكون من السرقات المحمودة ويلحق بالقسم الرابع فيها،لأن قلب المعنى من هجاء الى مديح أو من مديح الى هجاء أو الى أى غرض من أغراض الشعر ينبغى أن يعد من السرقة المحمودة لما فيه من خفاء وتوليد فى المعانى.وقد ذكر ابن رشيق العكس فى أنواع السرقات وقال : وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة (٧٣) .

محيى الدين صبحى :

وقد عرض فى دراسة له بمجلة الفكر العربى لأقسام السرقة عند ابن وكيع وقال : على أن من يتأمل هذه القواعد يجد تكلفا فى تقسيمها وتزيدا فى عددها لا يتماشى مع العرف النقدى ، فقد جرى العرف على تقسيم الأدب الى مبنى ومعنى يمكن على أساسها تقسيم السرق الى قسمين : الأول يتعلق بالبنية اللفظية رجحانا أو تقصيرا فى اختصار الكلام وتجويد الأداء بين الآخذ والمأخوذ منه ، ويشمل القواعد (١ ، ٢ ، ٣ ، ١٠) فى السرقات المحمودة والمذمومة كلتيهما ، والقسم الثانى يتعلق بالمعنى رجحانا أو تقصيرا فى التوليد والتناقض والاستيفاء ، ويشمل المبادىء (٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) فى نوعى السرقات . ونجد القاعدة التاسعة فى الطرفين ملحقة بما قبلها مباشرة فلا داعى لها . وكذلك فان القاعدة الرابعة فى القسمين لا معنى لها ، اذ أن قلب المديح الى هجاء

---

(٧٣) العمدة : ٢٨٩/٢ .

يدخل فى باب التوليد من جهة ، ومن جهة أخرى ما الذى يرجح المعنى فى المديح على نقيضه فى الهجاء حتى يصير قلبه نقيضة يؤاخذ بها الشاعر (٧٤) .

فالباحث لا تعجبه طريقة ابن وكيع فى تقسيم السرقات ، ويعتبر فيما فعله تكلفا وتزيدا فى الأقسام ، وكان الظن به بعد أن عاب ابن وكيع أن يلغى الأقسام أو يقللها تقليلا ملحوظا ، ولكنه أتى بطريقة جديدة فى تقسيم السرقات تزيدها غموضا ، وتشتمل على ستة عشر قسما من أقسام ابن وكيع ، أما الأقسام الأربعة الاخرى فيرى ضمها الى غيرها ، وواضح أنه لم يأت بجديد ولم يقدم فكرة ذات بال .

وهو يرى أن القسم التاسع من السرقات المحمودة والمذمومة ينبغى أن يضم الى ما قبله مباشرة ، وهذا كلام لا يعتد به ، لأن القسم التاسع من السرقات المحمودة يزيد فيه الآخذ على المأخوذ منه ، بينما القسم الذى قبله يتساوى فيه الآخذ مع المأخوذ منه فكيف يضم القسمان ؟ !

والقسم التاسع من السرقات المذمومة يتعلق بالخطأ فى استعمال لفظ فى غير موضعه ، بينما القسم الذى قبله يتعلق بنقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى ، فلا صلة بين القسمين حتى يضما كما يرى الباحث .

---

(٧٤) مجلة الفكر العربى : عدد ١٤/١٧٦ .

المبحث الثانى

فنون البديع

ألف « ابن وكيع » كتابه « المنصف » لغرض أساسى هو : اظهار سرقات المتنبى ونقد شعره ، ومن ثم فحديثه عن فنون البديع ليس مقصدا أساسيا لكتاب ؛ وليس هدفا لصاحبه ، انما تناولها بالبحث فى صدر كتابه كمقدمة يتعرف القارىء من خلالها على أقسام الشعر وفنون البديع فيه ، حتى اذا عرض له لقب من ألقابها كان على دراية به وفهم له ، فيبنى كلامه على أصل ، وينطق فى حكمه بعدل .

وقد أشار « ابن وكيع » الى ذلك عندما تحدث عن سبق المتقدمين الى فنون البديع ، واستكثار المحدثين منه فقال : وقد قسموا البديع أقساما ونحلوه ألقابا ، بك حاجة الى معرفتها ، لئلا يرد عليك بيت لأبى الطيب يحتاج الى مماثلة لهذا النوع فتبنى على أصل ، وتنطق بعدل ، وقد ذكرت من ذلك جملة هى دون الطويل المستكثر ، وفوق القليل المستنزر (١) . وسنتناول فيما يلى فنون البديع التى عرض لها « ابن وكيع » من خلال حديثه عنها .

المقصود بالبديع :

يختلف المقصود بمصطلح « البديع » عند المتقدمين من علماء البلاغة والمتأخرين منهم فالمتقدمون من علماء البلاغة يتوسعون فى مفهوم هذا المصطلح ، فيطلقونه على معظم الفنون البلاغية ، فيدخل فى مفهومه : التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والالتفات وصور الأطناب:

---

(١) المنصف : ٤٩ .

كالايغال ، والتذييل ، والتتميم وغيرها ، بجانب ما عرف بالمحسنات البديعية من طباق ومقابلة وجناس وغير ذلك من صورها الكثيرة •

والمتأخرون منهم يقصرون هذا المصطلح على المحسنات البديعية التى حددها السكاكى والخطيب ومن لف لفهم ، فلا يدخل فى هذا المصطلح عندهم ما كان من مباحث علم البيان ، ولا ما كان من مباحث علم المعانى حسب التقسيم الذى انتهت اليه البلاغة •

وقد تبع المتقدمين فى اتجاههم أصحاب الاتجاه البديعى وأصحاب البديعيات كابن أبى الاصبع المصرى ، وابن حجة الحموى،وصفى الدين الحلى وغيرهم •

ومصطلح البديع عند « ابن وكيع » يشمل الفنون البلاغية التى درسها ، والتى درسها غيره من البلاغيين ولم يعرض لها ، فهو مصطلح واسع المفهوم يتناول الألوان البلاغية على العموم ، « وابن وكيع » فى ذلك لا يخرج عن طريقة سابقية ولا معاصريه من علماء البلاغة ، الذين أطلقوا هذا المصطلح على معظم الفنون البلاغية •

قدم البديع :

وفنون البديع موجودة فى الشعر العربى منذ وجوده ، طرقها الشعراء العرب بفطرتهم ، وجاءت فى شعرهم عفو الخاطر من غير تكلف ولا تعمل ، ودون معرفة بمصطلحاتها ، أو دراية بأسمائها التى أطلقت عليها بعد ظهور علوم العربية ونهضتها (٢) •

وجاء المحدثون من الشعراء فى العصر العباسى فتوسعوا فى فنون البديع ، وأكثروا منها فى أشعارهم ، وادعوا أنهم مخترعون لها

---

(٢) ينظر الصبغ البديعى : ٢٢ ــ ٢٧ •

وسابقون اليها ، ووقف النقاد مدافعين عن أصالة البديع ، ومبينين أنه موجود فى الشعر العربى من قديم .

ولقد أثار « ابن وكيع » هذه القضية فى كتابه « المصنف » ودافع عن قدم البديع وبين أن المحدثين لا فضل لهم فى اختراعه،ولا ابتداعه، وانما أكثروا منه فى أشعارهم ، وتعمدوا الاتيان به ، فظنوا أنهم قد ابتدعوه ، وهم واهمون فى ذلك ، يقول : واعلم أن المحدثين أكثروا العجب بنوع من الشعر سموه البديع ، وظنوا أنهم أول من اخترعه ، وسبق اليه وابتدعه ، ولم يخترعوه ، ولا ابتدعوه ، بل لعمرى قد صيروه كثيرا بعد أن كان نزرا يسيرا ، فتوهموا بكثرته فى أشعارهم أنهم سبقوا اليه ، واستولوا عليه ، وأنا أدل على سبق المتقدمين الى معرفته ، وتقدمهم فى صنعته ... » (٣) .

وللتدليل على قدم البديع وسبق المتقدمين اليه ، جاء « ابن وكيع » فى الفنون البلاغية التى عرض لها بأمثلة من شعر القدماء ، وتلاها بأمثلة من شعر المحدثين ، ليثبت سبق القدماء الى ممارسة فنون البديع ممارسة فطرية ، لا تخضع لعام ، ولا تقوم على تكلف .

و « ابن وكيع » فى هذا يتابع « ابن المعتز » فى موقفه من هذه القضية ، حيث دافع فى كتابه « البديع » عن قدم الفنون البديعية ، فقال : « قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن ، واللغة ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة ، والأعراب ، وغيرهم ، ليعلم أن بشارا ، ومسلما ، وأبا نواس ، ومن تقيلهم وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر فى

---

(٣) المنصف : ٤٨ .

أشعارهم ، فعرف فى زمانهم ، حتى سمى بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه » (٤) •

ولكن « ابن المعتز » كان أكثر اهتماما بهذه القضية ، لأن هدفه فى كتابه هو بيان أصالة البديع وقدمه ، وابطال دعوى المحدثين فى اختراعه وابتداعه •

ومن ثم فقد أكثر فى كتابه من الاستشهاد بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وشعر العرب ، ليثبت بالأدلة الدامغة أصالة البديع، ووجوده فى كلام العرب من قديم •

الفنون البلاغية التى درسها " ابن وكيع " :

عرض « ابن وكيع » لعشرين نوعا من البديع هى على الترتيب الذى جرى عليه فى كتابه : المثل السائر ، والتشبيه ، والاستعارة ، والاشارة ، والمطابقة ، والمجانسة ، ورد الأعجاز على الصدور ، والالتفات ، والتتميم ، والتتبيع ، وحسن التضمين ، والتقسيم ، والمقابلة ، والتسهيم ، والتبليغ ، والاستثناء ، والاستطراد ، والحشو السديد ، والاغراق ، وحسن الخروج •

ولم يدرس « ابن وكيع » هذه الأنواع تحت عنوان واحد ، بل وزعها فى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : جمعها تحت عنوان : أقسام الشعر ، وهى المثل السائر ، والتشبيه الباهر ، والاستعارة التى لفظها باهر (٥) • ثم بعد ذلك عاد وصرح فى حديثه عن الاستعارة بأنها فى البديع (٦) •

---

(٤) البديع : ١ •
(٥) المنصف : ٤٩ •
(٦) السابق : ٥٢ •

والمجموعة الثانية : جعلها في البديع وهى الاشـــارة والمطابقة ، والمجانســـة ، ورد الأعجاز على الصـــدور ، والالتفـــات ، والتتميم ، والتتبيع ، وحسن التضمين .

ثم عقب على ذلك بقوله : وقـــد ذكرنا أصول الشعر من المثـــل الشرود ، والتشبيه السديد ، والاستعارة البديعة فى الألفاظ الرفيعـــة ثم صرنا الى البديع فذكرنا محاسنه من المطابقة والمجانسة والالتفات والتتبيع ... وكذلك الاشارة والتضمين(٧) .

والمجموعة الثالثة : ألوان المحدثين ، وبدأ الحديث عنها بقوله : وقد سمى المحدثون من أدبائنا أسماء فى الشعر ، ولقبوه ألقابا لم يكن يعرفها المتقدمون ، ونحن نذكر منها ما تستدل به على معانيها حتى لا يفوتك شيء مما يتعلق بمعرفة نقد الشعر الا أحكمته (٨) .

وقد درس فى هذه المجموعة التقسيم ، والمقـــابلة ، والتسهيم ، والتبليغ ، والاستثناء ، والاستطراد ، والحشو السديد ، والاغراق ، وحسن الخروج . ولا نسلم « لابن وكيع » تخصيص المجموعة الأخيرة من هذه الفنون بعدم معرفة المتقدمين لأسمائها وألقابها ، فان المتقدمين من العرب لم يكونوا على معرفة بكافة المصطلحات السابقة ، والألقاب المتقـــدمة لأنها كلها ألقـــاب محدثة ظهـــرت مع ظهور علـــوم العربية وتطورها فى القرن الثانى الهجرى وما تلاه من قرون .

وعرض « ابن وكيع » للونين آخرين من البديع فى ثنايا كتابه ولم يذكرهما فى الفنون التى جمعها فى مقدمة كتابه ، وهما : المذهب الكلامى، وتجاهل العارف .

(٨،٧) السابق : ٦٥ .

وسنتناول فيما يلي تحليل الألوان التى درسها « ابن وكيع » من خلال حديثه عنها •

١ ـ المثل السائر :

لم يصرح « ابن وكيع » بأن هذا اللون من فنون البديع ، ولكنه ذكره فى أقسام الشعر ، فقال : أما أقسام الشعر فهى : أما مثل سائر أو تشبيه باهر أو استعارة لفظها فاخر (٩) •

ثم ضرب أمثلة للأمثال السائرة منها قول امرىء القيس :

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ومن الأمثلة التى ضربها لهذا اللون نرى أنه يعنى به : أن يشتمل البيت على مثل نادر أو حكمة جليلة •

وقد أفرد « ابن رشيق » بابا للمثل السائر ، وأتى فيه بكثير من الأمثلة (١٠) • وأدخل أصحاب البديعيات هذا اللون فى فنون البديع وقال عنه « ابن حجة الحموى » : ارسال المثل نوع لطيف فى البديع ، وهو عبارة عن أن يأتى الشاعر فى بعض بيت ما يجرى مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به (١١) •

وضرب « ابن حجة » لهذا النوع أمثلة كثيرة من القرآن الكريم

(٩) المنصف : ٤٩ •
(١٠) العمدة : ١/٢٨٠ •
(١١) خزانة الأدب : ١/١٨٦ •

والحديث الشريف والشعر ، واهتم على وجه الخصوص بأمثال «المتنبى » وحكمه ، وبين فضله فى هذا الباب على ما سواه من الشعراء(١٢) ٠

ودرس « ابن أبى الاصبع » هذا النوع ضمن باب التمثيل ، وأشار الى جهوده فى استخراج الأمثال من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وشعر العرب وذلك فى كتاب سماه « درر الأمثال »(١٣) ٠

وقد سبق « قدامة » الى الحديث عن « التمثيل » وجعله من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى ، وعرفه بقوله : أن يريد الشاعر اشارة الى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير اليه(١٤) ٠

ومن الواضح أن هذا اللون الذى تحدث عنه « قدامة » ليس هو « المثل السائر » ولكنه لون من ألوان الاشارة والكناية ٠

٢ ــ التشبيه :

لم يتناول « ابن وكيع » التشبيه من جوانبه المتعددة ، وانما اهتم ببيان أحسن التشبيهات ، انطلاقا من اهتمامه فى كتابه بالحكم على الآثار الأدبية أكثر من اهتمامه بتأسيس القواعد وتفصيل دقائقها ٠

وأحسن التشبيهات عنده ما حوت أكثر من تشبيه فى وقت واحد ، وقد روى فى ذلك قول « أبى عمرو بن العلاء » و « الأصمعى » :

---

(١٢) السابق : ١٠٢ ــ ١٢٢ ٠
(١٣) ينظر بديع القرآن : ٨٧ ٠
(١٤) نقد الشعر : ١٥٩ ٠

فأحسن التشبيه ما كان فيه تشبيهان فى تشبيهين ، وأحسن ذلك ما قاله امرؤ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

فشبه القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف البالى ، وخص قلوب الطير لأنها أطيبها ، فاذا صادت جاءت بقلوب الطير الى أفراخها، وقال الأصمعى : الجارح لا يأكل قلوب الطير ، وانما خصها دون غيرها لبقائها فى وكر العقاب للعلة التى ذكرها (١٥) .

وذكر استحسان بشار لهذا التشبيه ، ومحاولته النسج على منواله فقال : وقد قال بشار : مازلت مذ سمعت هذا البيت أزاول أن أقارن تشبيهين بتشبيهين فلا أستطيع حتى قلت :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (١٦)

وهذا الأساس الذى وضعه « ابن وكيع » لأحسن التشبيهات ليس دقيقا ، ولا يصلح أن يكون مقياسا عاما لجودة التشبيهات ، فمن المقرر أن التشبيهات المفردة لا تعدم الحسن ، وأن منها ما هو أكثر حسنا من كثير من التشبيهات المركبة .

ولقد كان « ابن طباطبا » أدق فكرا وأبعد نظرا حينما وضع مقياسا لحسن التشبيه فقال : فأحسن التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض ، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، وكون صاحبه مثله مشتبها به صورة ومعنى (١٧) فجعل مقياس الحسن فى التشبيه

---

(١٥) المنصف : ٥٠ .
(١٦) السابق .
(١٧) عيار الشعر : ٢٥ .

راجعا الى قوة الشبه بين المشبه والمشبه به ، بحيث يصح التشبيه عند عكس طرفيه .

حول التشبيهين السابقين :

ورد تشبيه امرىء القيس وتشبيه بشار فى كثير من كتب البلاغة والنقد المتقدمة (١٨) دون اشارة الى الفرق بينهما ، وجاء الامام عبد القاهر فتحدث عن الفرق بين هذين التشبيهين ، فبين أن بيت امرىء القيس ، فيه تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة الا أن أحدهما لا يداخل الآخر فى الشبه ، وليس بينهما اتصال ، وانما هما مجتمعان فى مكان واحد فقط ، ولذلك لو فرقت التشبيه ها هنا فقلت كأن الرطب من القلوب عناب ، وكأن اليابس حشف بال ، لم تر أحد التشبيهين موقوفا فى الفائدة على الآخر ... وليس كذلك بيت بشار لأن التشبيه فيه مركب وموضوع على أن يريك الهيئة التى ترى عليها النقع المظلم ، والسيوف فى أثنائه تبرق وتومض ، وتعلو وتنخفض ، وترى لها حركات من جهات مختلفة كما يجبه الحال حين يحمى الجلاد ، وترتكض بفرسانها الجياد (١٩) .

ومن هنا ندرك الفرق بين التشبيهين ، ونرى أنهما ليسا من واد واحد ، فتشبيه امرىء القيس مبنى على تشبيه شيئين بشيئين على سبيل التعدد والتفريق وقد سماه المتأخرون « المتعدد » كما سموه « الملفوف » وهو ما يؤتى فيه بالمشبهات أولا ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك (٢٠) .

---

(١٨) ينظر : الصناعتين : ١٨٩ . والعمدة ١/ ٢٩٠ .
(١٩) أسرار البلاغة : ١٥٦ ـ ١٥٨ .
(٢٠) الايضاح : ٥/ ٨٧ .

وتشبيه بشار مبنى على تشبيه صورة مركبة من أجزاء بصورة أخرى وقد تضامت الأجزاء فى كل صورة ، فلا يمكن تفريقها والا ضاع المقصود من التشبيه ، وقد سماه البلاغيون « مركبا » .

مقارنة بين تشبيهين :

وذكر « ابن وكيع » تشبيها للنابغة ، وتشبيها للطرماح بن حكيم وقارن بينهما فقال : ومن التشبيه المليح قول النابغة :

من وحش وجرة موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

أخذه الطرماح فقال :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

فملح فى قوله « تضمره » وشبه شيئين بشيئين ، وجود الطباق بقوله « تبدو وتضمره » و « يسل ويغمد » (٢١) .

ومن المتأمل فى البيتين نرى أن النابغة شبه ناقته التى رحل عليها بثور من وحش « وجـرة » هذه الفلاة المعـروفة بوحوشها ، وهذا الوحش قوائمه موشاة بنقط وخطوط سوداء ، وهو طاوى البطن لقلة شربه الماء ، أبيض لامع كالسيف الصقيل الذى لا نظير له فى الجودة .

فأخذ بعض التشبيه من النابغة ، وهو تشـبيه الثور بالسيف ، ولكنـه زاد عليه بأن شبه الثور فى حالين : حال ظهوره وحال اختفائه فهو فى حـال ظهوره كالسيف المسلول ، وفى حـال اختفائه كالسـيف المغمد . وقد أكمل الصورة وجملها بالعنـاصر التعبيرية التى أشـار اليها « ابن وكيع » : فقال : تضمره ، فاستعار الاضمار للاخفاء ، وهذا

---

(٢١) المنصف : ٥١ .

من مليح الاستعارات ، وطابق طباقا بديعـا بين : يبدو وتضـمره ، ويسل ويغمد .

وحمل التشبيه فى بيت الطرمـاح على التركيب أولى من حمـله على التعدد ، لأنه مع التركيب يرسم لنـا منظرا بديعـا يصور فيه الوحش وهو ينتقل بين البلاد فى سرعـة فائقة فيظهر تـارة ويختفى أخرى بصورة السيف الـلامع فى مكان مرتفع يسل فيظهـر ، ويغمد فيختفى . وهذه الصـورة من الصور النـادرة حيث اعتبرت فيهـا الحركة السريعة مع غيرها من الأوصاف كالبياض واللمعان والضمور، واذا اقترنت الحركة بغيرها من الأوصاف أدى ذلك الى جمال التشبيه كما قال الامام عبد القاهر : ان مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات ... »(٢٢) .

٣ ـ الاستعارة :

بدأ « ابن وكيع » حديثه عن الاستعارة بذكر مثال للقياس عليه فقال : قال أبو عمرو ابن العـلاء : كانت فى يد الفرزدق ، فأنشـدته قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود فى الثرى
وساق الثريا فى ملاءته الفجـــر

فقال لى أنشدك أم أدعك ؟ فقلت : بل أنشدنى : قال : ان العود لا يذوى أو يجف فى الثرى ، وانما الشعر : حتى ذوى العود والثرى. ولا أعلم كلاما أحسن من قوله وساق الثريا فى ملاءته الفجـر ، ولا ملاءة له ، وانما هى استعارة (٢٣) .

---

(٢٢) أسرار البلاغة : ١٤٥ .
(٢٣) المنصف : ٥٢ ؛ ٥٣ .

وساق « ابن وكيع » أمثلة للاستعارة من الشعر الجاهلى فقال :
وأول من استعار امرؤ القيس فقال :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

فذكر سدول الليل ، وجعل له صلبا ، وأعجازا ، وكلكلا ، فهذه كلها استعارة(٢٤) .

ولعله يقصد بأولية امرىء القيس فى الاستعارة ، أولية التجويد والكثرةوالا فان الاستعارة موجودة فى الكلام العربى ، من قبل امرىء القيس ، وفى قصيدة « لقيط بن يعمر الايادى » التى تعد من أقدم ما وصلنا من القصائد استعارات لطيفة نلمح بعضها فى قوله :

وقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده
ولا اذا عض مكروه به خشعا

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه
هم يكاد سناه يقصم الضلعا

مسهد النوم تعنيه أموركم
يروم منها الى الأعداء مطلعا

ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره
يكون متبعا طورا ومتبعا (٢٥)

---

(٢٤) السابق : ٥٣ .
(٢٥) الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلى : ١٢٢ .

ومن النماذج التى ساقها للاستعارة قول ابن المعتز :

وقد ركضت بنا خيل الملاهى وقد طرنا بأجنحة السرور

والاستعارة فى قوله : خيل الملاهى ، وقوله : طرنا بأجنحة السرور .

خير الاستعارة :

وخير الاستعارة عند « ابن وكيع » ما كان بعيدا عن الحقيقة ، مع يسر ادراكه من غير لبس ، وقد نقل عنه « ابن رشيق » هذا المرأى فقال : « وقال قوم منهم أبو محمد الحسن بن على بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد ، وعلم من أول وهلة أنه مستعار ، فلم يدخله لبس ، وقد عاب على أبى الطيب قوله :

وقد مدت الخيل العتاق عيونها الى وقت تبديل الركاب من النعل

اذ كانت الخيل لها عيون فى الحقيقة ، ورجح عليه قول ابى تمام :

ساس الأمور سياسة ابن تجارب رمقته عين الملك وهو جنين

اذ كان الملك لا عين له فى الحقيقة (٢٦) :

فابن وكيع يشترط فى الاستعارة الجيدة شرطين :

— أن تكون بعيدة عن الحقيقة .

— وأن تكون سهلة الادراك ، لا لبس فيها ولا غموض .

٤ — الاشارة :

وأول من تحدث عنها حديثا مفصلا « قدامة بن جعفر » وجعلها من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وعرفها بقوله : أن يكون اللفظ

---

(٢٦) العمدة : ١/٢٧٠ .

القليل مشتملا على معان كثيرة ، بايماء اليها ، أو لمحة تدل عليها (٢٧)٠

وقد نقل « ابن وكيع » تعريف قدامة ، وذكر بعض أمثلته وتعليقه عليها فذكر قول امرىء القيس :

على هيكل يعطيك قبل سـؤاله أفانين جرى غير كز ولا وان

ثم قال : تأمل ما اشتملت لفظة « أفانين » مما لو عد كان كثيرا ، وما اقترن بها من جميع أصناف الجودة طوعا من غير طلب ولا مسألة، ثم نفى عنه الكزازة والونى ، وهما أكبر معايب الخيـل التى تربطها الفرسان للمنازلة (٢٨) ٠ وقد نسب « ابن وكيع » تسمية هذا اللـون الى اسحاق الموصلى ، فقال : وقد أدخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى فى البديع شيئا سماه الاشارة فى الشعر ذكر أنها من محاسـنه ، قيل له ما هى ؟ فقال :

جعلنا السيف بين الجيـد منه وبين سواد لحيته عذارا (٢٩)

والشاعر فى هذا البيت يشير الى هيئة الضربة التى أصـابوه بها اشارة لطيفة دلت على كيفيتها ، وهو يريد أنهم ضربوا عنقه ، ولكنه لم يذكر ذلك ٠

ولقد تحدث « ابن رشيق » عن أهمية الاشارة فقال : والاشارة من غرائب الشعر وملحـه ، وبلاغتها عجيبة ، تـدل على بعد المرمى وفرط المقدرة وليس يأتى بها الا الشاعر المبرز والحاذق الماهر » (٣٠)٠

---

(٢٧) نقد الشعر : ١٥٤ ٠
(٢٨) المنصف : ٥٥ ٠ وينظر نقد الشعر : ١٥٥ ٠
(٢٩) المنصف : ٥٤ ٠
(٣٠) العمدة : ٣٠٢/١ ٠

وجعل « ابن رشيق » للاشارة أنواعـا كثيرة منها . التفخيم والايماء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز واللمحة واللغز والحن والتعمية والحذف والتورية »(٣١) •

وجاء السكاكى فجعل الاشارة من أنواع الكناية فقال : الكنـاية تتنوع الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة (٣٢) • والاشارة ما كانت بينها وبين المشار اليه مسافة قريبـة من غير خفـاء فيها كقول أبى تمام يصف ابلا :

أبين فما يزرن سـوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سـعيد

فانه فى افادة أن أبا سعيد كريم غير خاف (٣٣) •

٥١ ـ المطـابقة :

تحدث « ابن وكيع » عن المطابقة فذكر خلاف العلمـاء فى معناها من خلال ما رواه عن الأخفش فقال : قال أبو الحسن على بن سليمان الأخفش ـ وكان من العلماء بالشعر ـ وقد سئل عن الطباق فقال : أجد قوما يختلفـون فى الطباق ، فطائفة تزعم ـ وهى الأكثر ـ أنه ذكر الشىء وضده •••، وطائفة تخالف ذلك وتقول هو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد مثل قول زياد الأعجم :

ونبئتهم يستصرخون بكاهل وللؤم منهم كاهل وسـنام

فقوله « كاهل » للقبيلة ، وقوله « كاهل » للعضو : هو عندهم

---

(٣١) السابق : ٣٠٣ ـ ٣١٣ •
(٣٢) مفتاح العلوم : ١٩٦ •
(٣٣) السابق : ١٩٤ ، والايضاح : ١٧٦/٥ •

المطابقة ، وقال : هذا هو التجنيس ، ومن ادعى أنه طباق فقد ادعى خلافا على الأصمعى والخليل ... » (٣٤) .

وهذا الذى رواه « ابن وكيع » يبين رأيين للعلماء فى معنى المطابقة :

الأول : يرى أن المطابقة هى الجمع بين المعنى وضده فى كلام واحد ، وهذا رأى جمهور العلماء ، أو كما قال أبو هلال : قد أجمع الناس عليه (٣٥) .

والثانى : يرى أنها ايراد لفظتين متشابهتين فى البناء والصيغة ، مختلفتين فى المعنى : وقائله قدامة بن جعفر (٣٦) .

وبذلك أطلق « قدامة » لفظ الطباق على ما عرف عند العلماء باسم « التجنيس » أو « المجانسة » . أما ما عرف عند العلماء بالمطابقة وهو الجمع بين المعنى وضده فى كلام واحد فقد سماه « قدامة » : التكافؤ ، ومثل له بقول العبسى :

حلو الشمائل وهو مر باسل   يحمى الذمار صبيحة الارهاق

فقوله : « مر وحلو » تكافؤ (٣٧) .

وأما مصطلح « المجانس » فقد خصه « قدامة » بما كانت المعانى المتغايرة فيه تشترك فى ألفاظ متجانسة على سبيل الاشتقاق فقط كقول زهير :

---

(٣٤) المنصف : ٥٥ ، ٥٦ .
(٣٥) الصناعتين : ٢٣٨ .
(٣٦) نقد الشعر : ١٦٢ .
(٣٧) السابق : ١٤٧ ، ١٤٨ .

كأن عينى وقد سال السليل بهم وجيرة ماؤهم لو أنهم أمم

« فسال السليل » مشتركان فى الاشتقاق وهذا هو المجانس (٣٨)، وقد اعترض « الآمدى » على قدامة فى هذا الصنيع فقال :

وباب « المطابق » لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر : المتكافىء ، وسمى ضربا من المتجانس : المطابق ... وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبى الفرج ، فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبت ، وكانت الألقاب غير محظورة ، فانى لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل « ابن المعتز » وغيره ممن تكلم فى هذه الأنواع وألف فيها ، اذ قد سبقوا الى التلقيب وكفوه المؤونة »(٣٩) . وقد أيده فى اعتراضه « ابن سنان الخفاجى » وقال : والصواب ما قاله أبو القاسم الآمدى(٤٠) .

ويرى « ابن الأثير » أن تسميه « قدامة » للفظتين المتساوقتين فى البناء والصيغة مع اختلافهما فى المعنى « مطابقة » تسمية مناسبة وواقعة فى موقعها لأنها مأخوذة من طابق البعير فى سيره : اذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدها ، والموضع الذى يقعان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحد ، أما الذين أطلقوا المطابقة على الجمع بين المعنى وضده ، فجاء اطلاقهم لغير اشتقاق ، ولا مناسبة بينه وبين مسماه ، ومن ثم فهو يعجب لذلك (٤١) .

---

(٣٨) نقد الشعر : ١٦٣ .
(٣٩) الموازنة : ١/٢٩١ ، ٢٩٢ .
(٤٠) سر الفصاحة : ١٨٨ .
(٤١) المثل السائر : ٢٨٣ .

وعجب « ابن الأثير » فى غير محـــله ، لأن الذين أطلقوا على هذا اللون مطابقة يرون أن هذا الاطلاق مناسب ، من حيث ان الطباق فى اللغة : الجمع بين الشيئين ، يقولون : طـــابق فـــلان بين ثوبين اذا جمع بينهما(٤٢) ، ولأن انطبق للشىء انما قيل له طبق ، لمساواته اياه فى المقدار اذا جعل عليه ، أو غطى به ، وان اختلف الجنســـان ، وفى المثل : وافق شن طبقه ، وقد فسر قول الله تعـــالى : « لتركبن طبقـــا عن طبق » (٤٣) أى حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما فى نفس المعنى، وانما أراد تساويهما فى المرور عليــكم والتغيير لكم ، فاذا كان هـــذا حقيقة الطباق ، وهو مقابلة الشىء بمثله الذى هو على قدره ســـموا المتضادين اذا تقابلا متطـــابقين (٤٤) • وقد رد ابن أبى الاصبع على ابن الأثير وبين أن ما ذهب اليه خطأ ، واستدل بمعنى الكلمة اللغوى على صحة ما ذهب اليه جمهور البلاغيين (٤٥) •

المطابقة بين ألوان البديع :

وأشار « ابن وكيع » الى قيمة المطابقة بين ألوان البديع فقال : وأحسن محاسن البديع المطابقة ، ويتلوها فى الحسن المجانسة ، وقد سبق العرب الى ذلك ، فمن ذلك قول الفرزدق :

لعـــن الالـــه بنى كليب انهم لا يغدرون ولا يفون لجـــار
يستيقظون الى نهاق حميرهم وتنـــــام أعينهم عن الأوتـــار

والمطابقة فى شـــعر المحدثين كثيرة ، من ذلك قول أبى تمـــام فى الشيب :

---

(٤٢) الصناعتين : ٢٣٨ •
(٤٣) سورة الانشقاق : آية : ١٩ •
(٤٤) سر الفصاحة : ١٩٢ •
(٤٥) ينظر تحرير التحبير : ١١١ •

له منظر في العين أبيض ناصــع
ولكنه في القلب أسود أسفع(٤٦)

وفي بيتي الفرزدق طبـاقان : الأول في قوله : لا يغدرون ، ولا يفون ، حيث طابق بين عدم الغدر وعدم الوفاء ، والثـاني في قوله : يستيقظون ، وتنام أعينهم ، حيث طابق بين الاستيقاظ والنوم .

وفي بيت أبي تمـام طبـاق بين : أبيض وأسـود ، وقد جعل المتأخرون هذا البيت مثالا للون ملحق بالطباق سموه : ايهام التضاد، وهو : ما يجمع فيه بين معنيين غير متقابلين ، ولا يستلزم ما أريـد بأحدهما ما قـابل الآخر ، ولكن عبر عنهما بلفظين يتقـابل معنـاهما الحقيقيان(٤٧) ، والأسود الأسفع في البيت مسـتعار لما يحدثه منظر الشيب في نفسه من الهم والحزن ، وهذا المعنى المجازى لا يقـابل ما قبـله ، ولكن المعنى الحقيقى هو الذى يقـابله (٤٨) ، فالطبـاق بين الأبيض والأسود بمعناه الحقيقى لا بمعناه المجازى المقصود في البيت، ولذلك سمى : ايهام التضـاد .

ومن أمثلة الطباق التى استحسنها « ابن وكيع » قول عمـرو بن كلثـوم :

بأنا نورد الرايات بيضـا ونصدرهن حمرا قد روينـا

وعلق عليه بقوله : ولو قال عمرو :

من الأسل الظماء يردن بيضا ونصدرهن حمـرا قد روينـا

---

(٤٦) المنصف : ٥٧ .
(٤٧) مواهب الفتاح (شروح التلخيص) : ٤/٢٩٥ .
(٤٨) نظر بغية الايضاح : ٤/١٣ .

كان أبدع بيت للعرب فى الطباق ، لأنه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى ، وقد تم هذا لأبى الشيص فقال :

فأوردها بيضا ظماء صدورها   وأصدرها بالرى ألوانها حمر

فصار آخذه مغفورا بكمال معناه (٤٩) .

وكلام « ابن وكيع » يتضمن استحسانا لطباق عمرو بن كلثوم ، ونقدا لبيته باقتراح تغيير فى شطره الأول ليجتمع فى البيت طباقات ثلاثة ، وتفضيلا لبيت « أبى الشيص » الذى أخذ معناه من « عمرو » وزاد عليه فجمع فى بيته بين الطباقات الثلاثة .

وأرى أن بيت عمرو بن كلثوم أفضل من البيت الذى اقترحه ابن وكيع على الرغم من كثرة الطباق فيه وذلك لسببين :

١ ـ أن بيت عمرو متعلق بكلام مذكور فى البيت الذى قبله فى القصيدة وهو قوله :

أبا هند فلا تعجل علينا   وأنظرنا نخبرك اليقينا

فقد جاء البيت مفسرا هذا اليقين ، وموضحا له ، وهو أنهم يوردون أعلامهم الحروب بيضاء ويرجعونها منها حمرا قد رويت من الدماء (٥٠) .

٢ ـ أن عمرا أسند الايراد والاصدار فى بيته الى فاعل واحد هو قبيلته وهذا أقوى فى مجال الفخر باظهار قوتهم وبطولتهم ، مع

---

(٤٩) المنصف : ٥٦ .

(٥٠) ينظر شرح المعلقات السبع : ٩٨ .

بما فيه من تلاؤم وتناسب بين الضمائر ، وفى بيت ابن وكيع أسند الإيراد للأسل الظماء ، والاصدار للقبيلة ، فلم يحصل التلاؤم المذكور ، ولم يعبر عن قوتهم فى مقام الفخر .

٦ ـ المجانسة :

عرفها « ابن وكيع » بأنها كلمة تجانس أختها فى مسموع حروفها دون معناها (٥١) ، وهـذا التعريف قريب من تعريف « ابن المعتز » الذى سمى هذا اللون « التجنيس » (٥٢) وضرب « ابن وكيع » أمثلة للمجانسة من شعر القدماء والمحدثين ، فمن شعر القدماء ، قول امرىء القيس :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه   ليلبسنى من دائـه ما تلبسا

وقول جريـر :

ومازال معقولا عقال عن الندى

ومازال محبوسا عن الخير حابس (٥٣)

والمجانسة فى بيت أمرى القيس بين : طمح والطماح ، ويلبسنى وتلبس ، وفى بيت جرير بين : معقولا وعقال ، ومحبوسا وحابس .. والشاهدان من جنس الاشـتقاق وهو : توافق الكلمتين فى الحروف الأصول مرتبة مع الاتفاق فى أصل المعنى (٥٤) .

ومن الأمثلة التى ضربها من شعر المحـدثين ، قول عبد الله بن طـاهر :

(٥١،٥٣) المنصف : ٥٨ .
(٥٢) البديع : ٢٥ .
(٥٤) المطول : ٤٤٩ .

وانى للثغــر المخوف لكالىء ‏ ‏ ‏ ‏ وللثغر يجرى ظلمه لرشوف(٥٥)

والمجانسة فى هذا البيت بين : ثغر ، وثغر ، فالأولى : الموضــع الذى يخشى اغارة العدو منه ، والثانية : غم المحبوب ٠

والجناس فى هذا البيت جناس تام ، وهو ما تتفق فيه الكلمتان فى أنواع الحروف وعددها وهيئتهــا وترتيبهــا ، مع الاختــلاف فى المعنى (٥٦) ٠

وقد زعم الحــاتمى أن هــذا التجنيس أفضــل تجنيس وقع لمحدث (٥٧) ٠

٧ ــ رد أعجاز الكلام على صدوره :

ذكر « ابن وكيع » أن هذا اللون باب واسع ويلقبه بعض الأدباء « الترديد » وبعضهم يسميه « التصــدير » وقال فى تعريفه : هو أن يبتدىء الشاعر بكلمة فى البيت ثم يعيدها فى عجــزه أو نصــفه ، ثم يردها فى النصف الآخر ، واذا نظم الشــعر على هذه الصــفة تيسر استخراج قوافيه قبل أن تطرق أسماع مستمعيه (٥٨) ٠

ومن أمثلته قول زهير :

من يلــق يوما على علاته هــرما
يلق السماحة منه والنــدى خلقا

(٥٥) المنصف : ٥٩ ٠
(٥٦) الايضاح : ٦/٩٠ ٠
(٥٧) العمدة : ٣٢٣/١ ٠
(٥٨) المنصف : ٦١ ٠

وقول الفرزدق :

أصدر همومك لا يقتلك واردها
فكل واردة يومــــا لها صـــدر

وقول منصور بن الفرج :

يابياضا أذرى دموعى حتى صار منها سواد عينى بياضا (٥٩)

ولابن المعتز فضل السـبق الى تفصيل الحديث فى هـذا الفن وتقسيمه الى ثلاثة أقسام :

١ ــ ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة فى نصـفه الأول كقول الشـــاعر :

تلقى اذا ما الأمر كان عرموما فى جيش رأى لا يفـل عرموم

٢ ــ ما يوافق آخر كلمة منـه أول كلمة فى نصـفه الأول كقول الشـــاعر :

سريع الى ابن العم يشتم عرضـه وليس الى داعى الندى بسريع

٣ ــ ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر :

عميد بنى سليم أقصدته سهام الموت وهى له سهام (٦٠)

ولم يفرق ابن وكيع بين الترديد والتصدير ، وفى أمثلته للتصدير ما يدخل فى الترديد ، وقد فرق بينهما ابن رشيق ، فبين أن الترديد:

---

(٥٩) السابق : ٦٠ ، ٦١ .
(٦٠) البديع : ٤٧ ، ٤٨ .

أن يأتى الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يردهـا بعينها متعلقة بمعنى آخر فى البيت نفسه ، أو فى قسيم منه ، كقول زهير :

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

فعلق « يلق » بهرم ، ثم علقها بالسماحة(٦١) •

والتصدير : هو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره ، وهو مخصوص بالقوافى ترد على الصدور ، والترديد يقع فى أضعاف البيت (٦٢) •

وقد ذكر « ابن أبى الاصبع »هذين اللونين (٦٣) ، وكلامه فى تعريفهما يتضمن ما ذكره ابن رشيق •

٨ ـ الالتفات :

وعرفه « ابن وكيع » بقوله : هو انصرف عن مخاطبة الى اخبار وعن اخبار الى مخاطبة(٦٤) • وهو فى هذا يتابع « ابن المعتز » فى تعريفه الالتفات بالمعنى الأول ، حيث جعل ابن المعتز للالتفات معنيين :

الأول : انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار وعن الاخبار الى المخاطبة وما شابه ذلك •

---

(٦١) العمدة : ٣٣٣/١ •
(٦٢) العمدة : ٣/٢ •
(٦٣) بديع القرآن : ٣٦ ، ٩٦ •
(٦٤) المنصف : ٦٢ •

والثانى : الانصراف عن معنى يكون فيه الى معنى آخر (٦٥) •

وقد سار قدامــة وأبو هــلال فى تعريف الالتفــات على المعنى الثــانى (٦٦) ، وانتهى الأمر الى قصر الالتفــات على المعنى الأول ، وجعل المعنى الثانى لونا من ألوان الاعتراض (٦٧) • واذا كان « ابن وكيع » قد عرف الالتفات بالمعنى الأول فانه اضطرب فى التمثيل له ، حيث ذكر أمثلة للنوع الثانى منه كقول جرير :

أتنسى اذ تودعنــا سـليمى بفرع بشامة سقى البشام

ولم يذكر أمثلة للالتفات من الشعر الجاهلى مع أن فيه التفاتات جديرة بالتأمل والنظر ومن أشهرها قول امرىء القيس :

تطــاول ليــلك بالاثمــد ونام الخلى ولم ترقد
وبات وبــاتت لــه ليــلة كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبــأ جــاءنى وخبرته عن بنى الأسود

وهذه الأبيات فيها التفاتان على رأى الجمهور الأول : من الخطاب الى الغيبة فى البيت الثانى ، والثانى : من الغيبة الى التكــلم فى البيت الثالث ، وفيها ثلاث التفــاتات على رأى الســكاكى ففى البيت الأول التفات عنده حيث تكلم الشاعر بالخطاب فى مقام التكلم (٦٨) •

---

(٦٥) البديع : ٤٨ ـ ٥٩ •
(٦٦) انظر نقد الشعر : ١٥٠ ، والصناعتين : ٣١٠ •
(٦٧) العمدة : ٢/٤٤ •
(٦٨) ينظر المطول : ١٣٢ • ومذهب الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من طرق التكلم الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، والسكاكى لا يشــترط التعبير الأول ، فيتحقق الالتفــات عنده بخــروج التعبير عن مقتضى الظاهر •

٩ ــ التتميم :

قال « ابن وكيع » ومن محاسن الشعر : اعتراض كلام فى كــلام لم يتم معناه ، ثم يعود الشاعر اليه فيتممه مرة أخرى ... ومن أملح ذلك قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفســدها   صوب الربيــع وديمــة تهمى

فقد تمم المعنى بقوله : « غير مفسدها » (٦٩) .

وهو هنا يتحدث عن « التتميم » الا أن حديثه عنه فيــه تفكك واضطراب ، وما أحسن قول « ابن رشيق » فى تعريفه : أن يحــاول الشاعر معنى فلا يدع شيئا يتم به حســنه الا أورده وأتى به ، أما احتياطا واحتراسا من التقصير (٧٠) .

والمتأخرون من البــلاغيين يفرقــون بين التتميم والاحتراس ، فالتتميم : أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد سرا بلاغيا ، كما فى قوله تعالى : « ويطعمون الطعــام على حبه مســكينا ويتيما وأسيرا » (٧١) فقوله « على حبــه » تتميم ، والاحتراس : أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع هذا الايهام كما فى قول طرفة المذكور (٧٢) .

١٠ ــ التتبيع :

ذكر « ابن وكيع » تعريفه وهو : أن يقول الشاعر شيئا من معانيه،

---

(٦٩) المنصف : ٦٣ .
(٧٠) العمدة : ٢/٥٠ .
(٧١) سورة الانسان . آية : ٨ .
(٧٢) الايضاح : ٣/٢٠٨ ، ٢١٢ .

ولا يأتى باللفظ الدال عليه ، بل بلفظ تابع له ، فاذا دل التـابع أبان عن المتبوع ، كقول عمر بن أبى ربيعة :

بعيدة مهوى القرط اما النوفل أبوها وامْ عبد شمس وهاشم

وانما ذهب الى وصف طول الجيد فلم يذكـره بلفظ خاص به ، بل أتى بمعنى هو تابع لذلك بقوله « مهوى القرط » (٧٣) •

ولاريب فى أن هذا اللون يدخل فى الاشـارة والكنـاية ، وصرح « ابن رشيق » بذلك فقال : ومن أنواع الاشـارة التتبيع ، وقـوم يسمونه التجاوز (٧٤) ••

وقد عاد « ابن وكيع » الى الحديث عن هـذا المصـطلح ، وبين أنه قليل الرشاقة ، غير واقع فى موقعـه ، وهو فى بـاب الاشـارة أدخل (٧٥) •

١١ ــ حسن التضمين :

ولم يعرفه « ابن وكيع » وانما مثل له بقول الأخطل :

ولقد سـما للخرمى فلم يقـل بعد الوغى « لكن تضايق مقدمى »

وقول الصولى :

خلقت على باب الأمير كـأننى
«قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل» (٧٦)

---

(٧٣) المنصف : ٦٤ •
(٧٤) العمدة : ٣١٣/١ •
(٧٥) المنصف : ٦٩ ، ٧٠ •
(٧٦) السـابق : ٦٤ •

والبيت الأول فيه تضمين لقول عنترة :

اذ يتقون بى الأسنة لم أحم   عنها ولكنى تضايق مقدمى

والبيت الثانى فيه تضمين لقول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقد أشار « ابن رشيق » الى تعريف التضمين فقال : أن يقصد الشاعر الى البيت من الشعر أو القسيم ، فيأتى به فى شعره كالمتمثل(٧٧) .

١٢ ـ التقسيم :

روى « ابن وكيع » فى تعريفه جواب على بن هارون عندما سئل عنه فقال : هو أن يستقصى الشاعر تفصيل ما ابتدأ به ويستوفيه ، فلا يغادر قسما يقتضيه المعنى الا أورده ، كقول بشار :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه
وتدرك من نجى الفرار مثالبه
فراحوا فريق فى الاسار ومثله
قتيل ، ومثل لاذ بالبحر هاربه

وليس فى أحوال من يقع به الطعن ، ودارت رحى الحرب عليه غير ما ذكر (٧٨) قال ابن رشيق :

فالبيت الأول قسمان : اما موت ، وأما حياة تورثه عار

---

(٧٧) ينظر العمدة : ٢/٨٤ .
(٧٨) المنصف : ٦٦ .

ومثلبة ، والبيت الثانى ثلاثة أقسام : أسير وقتيل وهارب ، فاستقصى جميع الأقسام ، ولا يوجد فى ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر (٧٩) .

وكان على بن يحيى يقول : لا أعرف فى التقسيم أحسن من قول الشـــماخ :

متى ما تقع أرساغه مطمئنة　　على حجر يرفض أو يتدحـــرج

فليس فى صفة الوطء الشديد الا أن يكون الحجر الموطوء رخوا فيرفض ، أو صلبا فيدفع (٨٠) .

وقد درس قدامة هذا اللون تحت عنـــوان : صحة التقســـيم ، وجعله من النعـــوت التى تعم جميع المعـــانى الشعرية (٨١) ، وســـار أبو هلال على نهجه فى التسمية (٨٢) .

١٣ ــ المقـــابلة :

عرفها « ابن وكيع » بتعريف قدامة منســـوبا اليه فقـــال : وذكر جعفر بن قدامة عن أبيه قدامة الكاتب ــ وكان من جهابـــذة الشعر ــ أن المقابلة : هى أن يضع الشاعر معـــانى يعتمـــد التوفيق بين بعضها وبعض ، والمخالفة ، فيأتى فى الموافق بما يوافق ، والمخالف بما يخالف، على الصحة ، أو يشترط شروطا ويعدد أحوالا فى أحد المعنيين فيجب أن يأتى فيما يوافقه بمثل الذى شرط وفيما يخالفه بأضداد ذلك (٨٣) .

---

(٧٩) العمدة : ٢/٢١ .
(٨٠) المنصف : ٦٦ .
(٨١) نقد الشعر : ١٣٩ .
(٨٢) الصناعتين : ٣٦٧ .
(٨٣) المنصف : ٦٧ ، وهذا التعريف فى نقد الشعر : ١٤١ .

ومن أمثلتهـا :

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح وفى ومطـوى على الغل غـادر

فجعل بـازاء « ناصح » قوله : « مطوى على الغل » ، وبازاء « وفى » قوله : « غادر » ومن أمثلتها عنده قول النابغة الجعدى :

فتى تم فيه ما يسر صـديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقد قابل الشاعر بين معنيين : يسر الصديق ، ويسوء الأعادى ، وعنوان هذا اللون عند قدامة « صحة المقابلة »(٨٤) .

١٤ ـ التسهيم :

ذكر « ابن وكيع » أن على بن هارون هو مخترع هذا اللقب ، وأنه سئل عنه فأجاب بما مضمونه : أن صفة المسهم أن يسبق السامع الى قوافيه قبل أن ينتهى اليها راوية » وأحسن ما قيل فى ذلك قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب :

فأقسمت يا عمرو لو نبهـاك اذا نبها منك داء عضـالا
اذا نبهـا ليث عريسـة مفيتـا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجـاوزت مجهولة بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت انهـار به شمسـه وكنت دجى الليل فيه الهلالا (٨٥)

فلما قالت : مفيتا وقابلتها بالنفوس ، قالت مفيدا وقابلتها بالمال ، ولما ذكرت النهار جعلته شمسا ، ولما ذكرت الليل جعلتـه هلالا لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجعلته قمرا (٨٦) .

---

(٨٤) نقد الشعر : ١٤١ .
(٨٥) المنصف : ٦٨ ، ٦٩ .
(٨٦) ينظر العمدة : ٢/٣٢ .

ولم يعجب هذا اللقب « ابن وكيع » وقال ان الملقب لم يقصد غير الاعراب وآثر تسميته « المطمع » أى من يسمعه يطمع فى قول مثله ، وهو من ذلك بعيد (٥٧) • ونسب « ابن رشيق » تسميته « المطمع » الى « ابن وكيع » (٨٨) •

وقد سبق « قدامة » الى دراسة هذا اللون ، وسماه « التوشيح » وجعله من نعوت ائتلاف القافية مع ما يدل عليه البيت ، وعرفه بقوله: أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ، ومعناه متعلقا به ، حتى ان الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها ، اذا سمع أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيته ، كقول الراعى :

وان وزن الحصى فوزنت قومى
وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فاذا سمع الانسان أول هذا البيت استخرج منها لفظ قافيته ، لأنه يعلم أن قوله : وزن الحصى ، سيأتى بعده : رزين ، لعلتين :

احداهما : أن قافية القصيدة توجبه •

والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه ، لأن الذى يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول فى حصاه انه رزين (٨٩) •

وقد سار « أبو هلال » على تسمية « قدامة » ومثل بأمثلته مع زيادة عليها ، ولكنه قال : وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سمى « تبيينا » لكان أقرب(٩٠) •

---

(٨٧) المنصف : ٦٩ •
(٨٨) العمدة : ٣١/٢ •
(٨٩) نقد الشعر : ١٦٧ •
(٩٠) الصناعتين : ٣٠٢ •

وجاء « ابن رشيق » فجعل عنوانه « التسهيم »(٩١) ، وسماه المتأخرون من البلاغيين « الارصاد أو التسهيم » (٩٢) ، وبذلك استقر أمره على التسمية التى لم ترق لدى « ابن وكيع » •

١٥ ـ التبليغ :

وهو ما يسميه أكثر البلاغيين « الايغال »(٩٣) وقد بينه ابن وكيع فقال : هو أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما قبل انتهائه الى قافيته ثم يأتى بها لحاجة الشعر اليها • لأن بها يصير الشعر شعرا ، فيزيد البيت رونقا ، والمعنى بلوغا الى الغاية القصوى • وأبرع ما قيل فى ذلك قـول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية ، لأن عيون الوحش اذا ماتت وتغيرت هيئاتها أشبهت الجزع ، ثم احتاج الى القافية ، فبلغ الأمد البعيد فى التأكيد ، لأنه اذا لم يثقب كان أوقع فى التشبيه(٩٣) •

وقد صاغ الخطيب تعريف الايغال صياغة محكمة فقال : هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ••• وبين أن بعض البـلاغيين لا يقصره على النظم ، وانما يجعله فى النثر أيضا ، كما فى قوله تعالى : « اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون »(٩٤) ، فقـوله « وهم

---

(٩١) العمدة : ٣١/٢ •
(٩٢) الايضاح : ٢٤/٦ •
(٩٣) ينظر نقد الشعر : ١٦٩ ، والصناعتين : ٣٠١ ، والعمدة ٥٧/٢ • وغيرها •
(٩٤) سورة يس • آية : ٢١ •

مهتدون » ايغال ، وفى التصريح به زيادة حث على اتباع الرسل(٩٥) •

وقد ورد مصطلح « التبليغ » عند المتأخرين فى باب « المبالغة » حيث قسموها الى ثلاثة أقسام: التبليغ • والاغراق ، والغلو ، والتبليغ عندهم هو المبالغة الممكنة عقلا وعادة كما فى قول امرىء القيس :

فعادى عــداء بين ثور ونعجة دراكا فلم ينضح بماء فيغسل

فوصف فرسه بأنه أدرك ثورا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد، ولم يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة(٩٦) •

ومن الأمثلــة التى ذكرها « ابن وكيع » ما قاله « الأصمــعى » حينما سأله « التوزى » : من أشعر الناس ؟ قال الأصمعى : من يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا ، أو ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى ، نحو قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليفلقهـا فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم الكلام ، فلما احتــاج الى القافية قال : الوعــل ، فزاد معنى ، فسأله : كيف صار الوعل مفضلا على كل من ينطح ؟ • قال : لأنه ينحط من قلة الجبل على قرونه ، فلا يضيره(٩٧) وقد جــاء هذا الخبر فى « العمدة » و « حلية المحاضرة »(٩٨) •

---

(٩٥) ينظر الايضاح : ٣/٢٠٢ ـ ٢٠٤ •
(٩٦) السابق : ٦/٦١ •
(٩٧) المنصف : ٧١ •
(٩٨) ينظر العمدة : ٢/٥٧ ، وحلية المحاضرة : ١/١٥٦ •

١٦ ـ الاستثناء :

وهو ما سماه « ابن المعتز » تأكيد المدح بما يشبه الذم(٩٩) ، وتبعه فى هذه التسمية كثير من البلاغيين(١٠٠) ، وعليها سار السكاكى ومدرسته(١٠١) .

ومن أمثلتـه قول النابغة الذبيانى :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب(١٠٢)

ومن شعر المحدثين فى هذا قول أبى هفان :

ولا عيب فينا غير أن سماحنا   أضر بنا والبأس من كل جانب
فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم   وأفنى الندى أموالنا غير عائب(١٠٣)

فقوله : ان السماح والبأس أضر بهم ليس بعيب على الحقيقة ، ولكن توكيد مدح ، والمليح كل المليح قوله : غير ظالم ، وغير عائب » فهذا الثانى أعجب من الأول وألطف موقعا(١٠٤) .

١٧ ـ الاستطراد :

وقد نسب « ابن وكيع » هذه التسمية الى أبى تمام ، فقال : حكى محمد بن يحيى الصولى ، قال : سمعت البحترى يقول : أنشدنا أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن ادريس :

---

(٩٩) البديع : ٦٢ .
(١٠٠) ينظر : بديع القرآن : ٤٩ .
(١٠١) المنصف : ٧١ .
(١٠٣) السابق : ٧٢ .
(١٠٤) العمدة : ٢/٤٨ .

وسابح هطل التعداء هتـــان ... على الجراء أمين غير خـوان
أظمى الفصوص وما تظمى قوائمه ... فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى زيم ... تحت السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ـ ان لم تثبت ـ أن حافره ... من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لى : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدرى؟ قال : هذا المستطرد، والاستطراد ، يريك وصف الفرس ، وهو ينوى هجاء عثمان(١٠٥) .

واحتذى هذا البحترى فقال فى قصيدة يمدح بها على بن محمـــد القمى ، ويصف فرسا فقال :

وأغر فى الزمن البهيم محجل ... قد رحت منه على أغر محجل
كالهيـــكل المبنى الا أنـــه ... فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ملك العيون فان بدا أعطيته ... نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو أوردته ... يوما خلائق حمدويه الأحول

وكان حمدويه هذا عدوا للمدوح ، فاستطرد بهجائه(١٠٦) .

وأشار « ابن وكيع » الى لون من ألوان الاستطراد يخـــرج به الشاعر من ذم الى مدح ، أو من مدح الى ذم . فمن الأول قـــول زهـــير :

ان البخيل ملوم حيث كان ولــــكن الجواد على علاته هرم

أراد أن يستطرد بهرم ، وهذا استطراد يخـــرج به من ذم الى مدح ، ومن الثانى قول بكر بن النطاح فى مالك بن طوق :

---

(١٠٥) المنصف : ٧٣ .
(١٠٦) المنصف : ٧٣ .

فأقسم لو أصبحت فى عز مالك وقدرته أعيى بما رمت مطلبى
فتى شقيت أمواله بنواله كما شقيت قيس بأرماح تغلب(١٠٧)

وقد بين « ابن رشيق » أن هذا من قبيل الخروج ، ويسمى « استطرادا » اتساعا ، وفرق بين الاستطراد والخروج فقال : الاستطراد : أن يرى الشاعر أنه فى وصف شيء وهو انما يريد غيره ، فان قطع أو رجع الى ما كان فيه فذلك استطراد ، وان تمادى فذلك خروج • وأكثر الناس يسمى الجميع استطرادا ، والصواب ما بينته(١٠٨) •

وقد سار المتأخرون من البلاغيين على التفرقة بين الاستطراد والخروج والاستطراد عندهم هو : الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ، لم يقصد بذكر الأول التوصل الى ذكر الثانى كقول السموأل :

وانا لقوم ما نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول

فقد أراد الشاعر مدح نفسه فاستطرد الى ذم هاتين القبيلتين •

والخروج عندهم هو التخلص من معنى الى معنى آخر : كالتخلص من النسيب الى المدح أو غيره ، مع التمادى فيما تخلص اليه(١٠٩) • وقد تحدث « ابن وكيع » عن حسن الخروج فى موضع لاحق سيأتى تفصيله •

---

(١٠٧) السابق : ٧٤ ، ٧٥ •
(١٠٨) العمدة : ٣٩/٢ ، ٤٠ •
(١٠٩) ينظر الايضاح : ٣٠/٦ ، ١٥٣ •

١٨ ـ الحشو السـديد :

ذكر « ابن وكيع » هذا اللون تحت عنوان « الحشو السديد فى المعنى المفيد » • وهو ما سماه البلاغيون « الاعتراض »(١١٠) ومن أمثلته قول عبد الملك الحارثى :

فلو بك ما بى ــ لا يكن بك ــ لاغتدى　　وراح اليك البر بى والتقرب

فقوله : « لا يكن بك » حشو مليح(١١١) •

وذكر « ابن وكيع » فى هذا الباب من الأمثلة ما يدخـل فى باب « الايغال » والذى سماه « التبليغ » من ذلك قول امرىء القيس :

جمعت ردينيا كأن سـنانه　　سنا لهب لم يتصل بدخان

فقوله « لم يتصل بدخان » ايغال •

كما ذكر فيه أمثلة تدخل فى باب « التكميل والاحتراس » كقـول ابن المعتـز :

صببنا عليها ظالمين سياطنا　　فطارت بها أيد سراع وأرجل

فقوله : « ظالمين » تكميل واحتراس •

كما ذكر فيه أمثلة للحشو الذى اعتبره البلاغيون معيبا فى الكلام، كقـول أبى العيال الهذلى :

ذكرت أخى فعاودنى　　صداع الرأس والوصب

---

(١١٠) ينظر الصناعتين : ٣١٢ ، والايضاح : ٣/٢١٤ •
(١١١) المنصف : ٧٦ •

وعلق عليه بقوله : فالصداع فى الرأس حشو فارغ(١١٢) •

وهذا الخلط والاضطراب ناتج من أن هذه المصطلحات لم تكن قد حددت تحديدا دقيقا فى عصر « ابن وكيع » ولم تظهر الفروق بينهـا دقيقة جلية الا على يد المتأخرين(١١٣) •

١٩ ـ الاغـــراق :

قال عنه « ابن وكيع » هذا باب يسميه المحدثون « الاغراق » ، ويسمى « الغلو » ويراد به المبالغـــة فى مجىء الشاعر بما يدخـل فى المعدوم ، ويخرج عن الموجود(١١٤) • وبين آراء الأدباء فيه فقال ، وطائفة من الأدباء يستحسونه ويقولون : أحسن الشعر أكذبه ، وقد أبت طائفة من العلماء استحسان هذا الجنس لما كان بخلاف الحقائق، وخارج عن اللفظ الصادق(١١٥) •

ومال « ابن وكيع » الى الرأى الأول حيث قال عن أصحاب الرأى الثانى : انهم ما أتوا بشىء لأن الشعراء لا يلتمس منهم الصـــدق ، وانما يلتمس منهم حسن القول ، والصدق يلتمس من أخبار الصالحين وشـــهود المسلمين(١١٦) •

ولكنه عاد فى موضع آخر من كتابه وأيد المبالغة الممكنة ، وعاب المبالغة المستحيلة فقال : وللشـــعراء مبالغتان : ممكنة ومســـتحيلة ، والممكن أحسن عند كثير من الأدباء من المســـتحيل ، فمن ذلك قـــول أشـــجع السلمى :

منعت مهابتك القلوب كلامها   بالأمر تكرهه وان لم تعلم

---

(١١٢) السابق : ٧٦ ، ٧٧ •

(١١٣) ينظر الايضاح : ١٧٧/٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ •

(١١٤،١١٥،١١٦) المنصف : ٧٨ •

فبالغ وأحسن ، وادعى ممكنا فى الهيبة ، وأراد أبو نواس المبالغة فى الهيبة فقال ما أسرف فيه وهو :

وأخفت أهـل الشرك حتى انه   لتخافك النطف التى لم تخلق

فهذا الكلام وان أمكن المنتصر له أن يقول : قد قيل أحسن الشعر أكذبه ، وانما يريد الشاعر أن يخرج عن حد الموجود الى حد المفقود، ليدرك بوصفه الغاية ويجاوز النهاية ، فأراد أبو نواس أن يدل على أن المخلوق ممن الممدوح على نهاية الخوف ، اذا كان يطلق الخوف على من لم يخلق ، ولا يجوز عليه الأمن والخوف ، قلنا له : هـذه ارادته لا محالة ، ولكن ارادة الشاعر الذى قبله عند من حمد الاقتصـاد ، وفضل هذا الممكن أفضل(١١٧) .

فقد أيد « ابن وكيع » قول الشاعر الأول ووصفه بالحسن،بينما وصف أبا نواس بالاسراف فى قوله ، وبين أن هذا غير مقبول عنـد كثير من الأدباء وساق « ابن وكيع » أمثلة كثيرة للاغراق ، منها قـول مهلهل :

فلولا الريح أسمع من بحجر   صليل البيض تقرع بالذكور

وجعـل هذا من الافـراط ، فبين « حجـر » والوقعة مسـافة بعيدة(١١٨) .

وبين أن وقوع « كأنما » فى الاغـراق يخرجه عن حد المحـال ويجعله مقبـولا وقريبا من الصدق ، وذلك فى مقـارنته بين قـول أبى النجم العجلى ، فى وصف فرس وقول خلف الأحمر فى وصف ثور وحشى فقال : قال بعض الأعراب فى صفة فرس :

---

(١١٧) المنصف : ٩٠ ، ٩١ .
(١١٨) السابق : ٨١ .

جاء كلمع البرق جـاء ماطره
تسبح أولاه ويطفـو آخره
فما يمس الأرض منـه حافره

سرقه خلف الأحمر ، فقال فى ثور وشى :

فكأنما جهـدت أليته ألا تمس الأرض أربعه

وقوع « كأنما » هاهنا يخرجه عن حد المحال ، وهو خبر أن أربعه لا تمس الأرض ، فكأنه أقسم على ذلك ، فهو مجتهد فى أن يبرأ أليته، وكان الشاعر الأول أشد أغراقا ، والثانى أقرب الى الصدق من الأول، وأكثر توقيـا(١١٩) •

ومما تجدر الاشارة اليه أن المتأخرين من البلاغيين يفرقون بين الاغراق والغلو ، فالاغراق : هو الممكن عقلا لا عادة ، ويدخـل فى نطاق المبالغة المقبولة ومنه قول الشاعر :

ونكرم جارنا مادام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

والغلو : هو الممتنع عقلا وعادة كما فى قول أبى نواس :

وأخفت أهـل الشرك حتى انه لتخافك النطف التى لم تخلق

والمقبول منه عد النقاد ما أدخل عليه وقربه من الصحة ، أو ما يتضمن نوعا حسنا من التخييل ، أو ما أخرج مخرج الهزل(١٢٠) •

٢٠ ـ حسن الخروج :

وهو آخر الألوان التى تحدث عنها « ابن وكيع » وقال عنـه :

---

(١١٩) السـابق : ٨٠ •
(١٢٠) الايضاح : ٦/٦٢ ـ ٦٤ •

انه قليل فى شعر القدماء كثير فى شعر المحدثين ، فمن شعر القدماء ، قول حسان :

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام (١٢١)

فحسان فى هذين البيتين قد خرج الى هجاء الحارث بن هشام لفراره من معركة بدر •

وذكر « ابن وكيع » أمثلة من شعر المحدثين ، واستحسن منها قول محمد بن وهيب الحميرى فى حسن الخروج الى النسيب الى المدح اذ قال :

مازال يلثمنى مراشفه ويعلنى الابريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح (١٢٢)

وبهذا اللون البديعى ينتهى « ابن وكيع » من دراسة الفنون البديعية التى عرض لها فى كتابه ، وعقب على ذلك بقوله : وقد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوى به معرفتك بنقد الشعر : فائقه ومقصره، وأطلعتك على سرائر رذله ومتخيره ، لتفاضل بين الشعراء بأصل ، وتنطق بعدل (١٢٣) •

وهو بهذا يؤكد ما سبق أن ذكره فى أول حديثه عن هذه الفنون من أن غرضه بذكرها تعريف القارىء بفنون البديع ليكون على دراية

---

(١٢١) المنصف : ٨٢ •
(١٢٢) السابق : ٨٣ •
(١٢٣) السابق : ٨٥ •

بها وهو يتابع الرحلة معه فى نقده لشعر المتنبى ، لتقوى معرفته بنقد الشعر ، ويستطيع أن يفاضل بين الشعراء عن علم ومعرفة .

المذهب الكلامى :

وهو فن بديعى معناه : أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهـل الكلام(١٢٤) . ولم يذكره « ابن وكيع » ضمن فنون البديع التى عرض لها ، وانما أشار اليه فى ثنايا كتابه ، وبين أن هـذا الفن من تسمية « الجـاحظ » وأنه من ظـاهر التكلف فى الشـعر ، ولذلك أعرض عن ذكره فى فنون البديع .

وتحدث « ابن وكيع » عن المذهب الكلامى عند حديثه عن بيت المتنبى :

ومن جاهل بى وهو يجهـل جهله ويجهل علمى أنه بى جاهل

فقال : هذا مذهب من الشعر يسميه الجاحظ « المذهب الكلامى » ويشـبه قول الخليل :

لو كنت تعـلم ما أقـول عذرتنى أو كنت أعلم ما تقـول عذرتكا
لكن جهلت مقـالتى فعـذلتنى وعلمت أنك جاهل فتركتكا(١٢٥)

وهذا الجنس قبيح التعسف ، بين التكلف ، وفيه تعب وكد وبلاء وجهد ، وبالجملة فان قول أبى الطيب أخصر من هذا وأقل طـولا ،

---

(١٢٤) الايضاح : ٦/٦٥ .

(١٢٥) روى البيتان هكذا :

لو كنت تعلم ماأقول عذرتنى أو كنت أجهـل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعـذلتنى وعلمت أنك جاهـل فعـذرتكا

وهــو أحق بما قال • ومن هــذا الجنس قــول ابراهيم بن العبــاس الصــولى :

وعلمتنى كيف الهوى وجهلتــــه وعلمنى صبرى على ظلمكم ظلمى
وأعلم ما لى عندكم فيميــل بى هوادى الى جهلى فأعرض عن علمى

وقد كان ينبغى أن أدخل هذا الفن فى فنون البديع ، ولكنه ثقل مثله فى الشعر ولاسيما فى شعر أبى الطيب ، ولا أختار له أن يسلك مسالك من ركب هذا الطريق ، فلذلك تركته(١٢٦) •

وبهذا بين « ابن وكيع » وجهة نظره فى المذهب الكلامى وأوضح السر فى عدم ذكره فى فنون البديع التى تحدث عنها فى كتابه •

وهو فى هذا يردد ما ذكره « ابن المعتز » عندما تحدث عن هذا الفن فى كتابه ، اذ قال : وهذا باب ما أعلم أنى وجدت فى القرآن منه شيئا ، وهو ينسب الى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(١٢٧) •

والمتأخرون من البلاغيين لا يرون فى هذا الفن هذا الرأى ، ومن ثم اهتموا بشرحه ، ومثلوا له بشواهد من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »(١٢٨) ، كما مثلوا له بأبيات للنابغة الذبيانى لا تكلف فيها ولا تعسف ، وهى قوله يعتــذر الى النعمــان :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبــــة وليس وراء الله للمــرء مطلب

---

(١٢٦) المنصف : ١٩٠ ، ١٩١ •
(١٢٧) البديع : ٥٣ •
(١٢٨) الأنبياء : ٢٢ •

لئن كنت قد بلغت عنى خيـــانة ... لمبلغك الواشى أغش وأكــذب
ولكننى كنت امرءا لى جـــانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتــهم ... أحــكم فى أمــوالهم وأقتــرب
كفعلك فى قوم أراك اصــطفيتهم ... فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا(١٢٩)

والذى أراه ان هذا اللون يجنح الى الفكر والعقل أكثر من غيره من فنون البلاغة ، ومع هذا فلا يصح أن نحكم عليه بالتكلف والتعسف جملة واحدة وانما نحكم عليه من خــلال موقعه فى كل عمــل أدبى على حدة ، فان كان مســتوفيا شروط البلاغة كان حســنا ، والا كان متكلفا قبيحــا •

تجــاهل العارف :

أشار ابن وكيع لهذا اللون من البديع فى ثنايا كتابه ، ولم يذكره فيما جمعه من فنون البديع وسماه « التبله » وقد عرف عند البلاغيين بتجاهل العارف وهو : اخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيــه ليزداد الكلام تأكيدا(١٣٠) • وسماه السكاكى : سوق المعلوم مساق غيره ، وكره تسميته بالتجاهل لوقوعه فى القرآن الكريم(١٣١) •

وقد عرض له ابن وكيع فى موضعين :

أولهما : عند نقده لبيت المتنبى :

جللا كما بى فليك التبريــــح ... أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

---

(١٢٩) الايضاح : ٦/٦٥ ، ٦٦ •
(١٣٠) الصناعتين : ٣٩٦ •
(١٣١) مفتاح العلوم : ٢٠٢ •

حيث ذكر في خلال تحليل طويل أن هذا سؤال أبله أو متباله ، واستدعاء أعلام بما هو عالم به ، وهو كقول العريني :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وفضل « تباله » العريني على « تباله » المتنبي لمعناه الرطب ولفظه العذب(١٣٢) :

وثانيهما : عند نقده لقول المتنبي :

لجنية أم غادة رفع السجف   اوحشية ؟ لا ، ما لوحشية شنف !

حيث قال : معلوم أن هذا الكلام سؤال متباله يسأل من أى الجنسين هى ؟ ...

وقد أنشدني أبى — رحمه الله — لابن دريد :

أعن الشمس عشاء   كشفت تلك السجوف
أم على ليتى غزال   علقت تلك الشنوف

فسأل هل كشفت السجوف عن الشمس ؟ وهل تعلق الشنوف على ليتى الغزل ؟ لتشابه المعنيين عنده ، فهو تباله مليح مع علم ، ليدل على قوة الشبه بين المشبهين(١٣٣) .

فبين أن سؤال المتنبي وسؤال ابن دريد على سبيل التباله ، وأشار الى السر البلاغي فى ذلك وهو الدلالة على قوة الشبه بين الشيئين .

---

(١٣٢) المنصف : ٢٩٠ ، ٢٩١ وقد عرضنا لهذا البيت بالتفصيل فى حديثنا عن التناسب والتلاؤم .

(١٣٣) المنصف : ٤١٤ .

نظرة فيما سبق :

عرضنا فى هذا المبحث لألوان البديع التى درسها « ابن وكيع » وبينا حدود دراسته لها ، ووجهة نظره فيها • ونقف فى نهاية هذا المبحث لنرصد النتائج التالية :

١ — أن « ابن وكيع » درس فى كتابه عشرين نوعا من البديع ، غير المذهب الكلامي وصنفها الى ثلاث مجموعات ، وقد تقدم الحديث عن ذلك في أول هذا المبحث •

وتقسيم « ابن وكيع » لهذه الفنون غير واضح المعالم ، وهو يجرى فيه على غير قاعدة ، مما يرجح أنه تقسيم غير مقصود ، ولكنه تابع فيه النقاد والرواة حيث كانوا يذكرون فنون البديع ، فيدخل بعضهم فيها فنا ، ويخرج بعضهم منه فنا آخر، وقد سبقه «ابن المعتز» الى تقسيم هذه الفنون فى كتابه « البديع » فدرس تحت عنوان البديع خمسة أنواع هى : الاستعارة ، والتجنيس والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى • ودرس ثلاثة عشر نوعا تحت عنوان محاسن الكلام والشعر ، وبين أن صنيعه هذا غير ملزم لغيره ، وأن الأنواع كثيرة متعددة(١٣٤) •

٢ — أن دراسة « ابن وكيع » لهذه الفنون دراسة مختصرة، وان أكثر فى بعض الفنون من الأمثلة — ولا يعاب صاحبنا بهذا الاختصار، لأنه يتلاءم مع مقصده من ذكر هذه الفنون ، وهو التعريف بها قبل الدخول فى موضوعه الأساسى ، ليكون القارىء على دراية بها وبألفتها إذا التقى بشىء منها ، وليكون على بصيرة عند النقد والمفاضلة •

---

(١٣٤) البديع : ٥٧ ، ٥٨ •

وهو بهذا يبين حاجة الناقد الأدبي الى معرفة هذه الفنون البلاغية كي يحكم على ما جاء منها في الشعر حكما صائبا صادرا عن علم ومعرفة (١٣٥) •

٣ - يغلب على دراسته الجانب النقدي ، حيث تحتوى على كثير من المفاضلات والموازنات ، وتتبع الشعراء في الأخذ من سابقيهم ، والمفاضلة بين قول الآخذ وقول المأخوذ منه ، مع الاعتراف بالفضل للمجيد (١٣٦) •

ويظهر هذا الجانب أيضا في نقده لبعض المصطلحات البلاغية كما نرى في دراسته « للتسهيم » حيث قال معترضا على هذا اللقب : لكن هذا اللقب غير دال على معناه ، وأرى الملقب لم يقصد غير الاغراب به،وهذا النوع الذي ذكر : هو ما كان معناه الى قلبك أسرع من لفظه الى سمعك ، ويسمى « المطمع » أي من يسمعه يطمع في قول مثله ، وهو من ذلك بعيد ••• ومثل ذلك في قلة الرشاقة لقب «التتبيع» وقد ذكر الملقب أن معناه : أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له ، فاذا دل التابع أبان عن المتبوع ••• ولا أرى ذلك واقعا في موقعه ، وهو في باب الاشارة أدخل(١٣٧) •

٤ - اهتمامه بالرواية عن النقاد المتقدمين ، كالأصمعي ، وأبي عمرو ، وحماد(١٣٨) ، وغيرهم ، ومن ثم برزت في دراسته الناحية الأدبية ، وخلت من الجفاف الذي يشيع في بعض كتب البلاغيين •

---

(١٣٥) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٢٩٧ •
(١٣٦) ينظر المنصف : ٥١ ، ٥٦ ، ٧٩ •
(١٣٧) السابق : ٦٩ ، ٧٠ •
(١٣٨) ينظر المنصف : ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ •

الفصل الثانى

بيـــان سرقات المتنبى

عرضنا فى الفصل السابق نظرية «ابن وكيع» فى السرقات الأدبية وقلنا ان أســـاس هذه النظرية هو تقســـيمه السرقات الى محمـــودة ومذمومة ، وجعله لكل قسم منها عشرة وجوه :

ولما كان الهدف الأول « لابن وكيع » هو بيان سرقات أبى الطيب المتنبى ، فقد قام بتطبيق نظريته فى السرقات على شعر أبى الطيب من أوله الى آخره ، فبدأ بأول شعر قاله المتنبى ، وسار معه فى كل قصيدة صاغها حتى نهاية شعره مبينا ما ظهـــر له فيه من السرقات المحمـــودة والمذمومة ، والوجه الذى جاءت عليه طبقا لنظريته فى السرقات •

وسنبين فى هذا الفصـــل سرقات المتنبى ووجـــوهها كما ذكرها « ابن وكيع » ، ثم نعرض لموقفه العام من سرقات المتنبى •

خطـــة « ابن وكيع » :

رسم « ابن وكيع » لنفســـه خطة يسير عليهـــا فى بيان سرقات المتنبى تشتمل على عدة نقاط هى :

١ ــ الدلالة عـــلى اســـتعمال القدماء والمحـــدثين أخذ المعـــانى والألفـــاظ(١) ، ومن ثم ذكر نظريته فى السرقات ومثـــل فيها بسرقات القدماء والمحدثين وأشـــار فى خلال حديثـــه عن سرقات المتنبى الى سرقات غيره من الشعراء •

---

(١) المنصف : ٤ •

٢ ــ تنخل شعر أبى الطيب ومعانيه ، واثبات ما يجده فيه من سرقات لا يمكن فيها اتفاق الخواطر ، ولا تساوى الضمائر(٢) • وفى سبيل ذلك تتبع شعر أبى الطيب قصيدة قصيدة من أوله الى آخره ، ودل على ما فيه من سرقات محمودة ومذمومة ظهرت له •

٣ ــ أنه لن يشرح مما أخذه أبو الطيب الا ما يقــع فيه المعنى الذى لو كان له ، وقع بمثله جماله ، وحسن به مقاله ، وما قارب ذلك• أما الأبيات الفارغات والمعانى المكررات المرددات فلن يشتغل بايرادها، ولن يطيل الكتاب باعتمادها ، ولكنه سيحتاج الى ايراد شىء منها خوفا من أن يظن به غفلة عنهــا ، أو عجز عما قدر عليه غــيره ، أو جهــل بما علمه سواه »(٣) •

٤ ــ الانصاف للسارق والمسروق منه ، فما استحقه أبو الطيب على قائله سلمه اليه ، وما قصر فيه لم يدع التنبيه عليــه ، لئلا يظن الناظر فى كتابه خورا فى قصد أو تقصيرا فى نقد ، ولن يأتى فى كل ما يذكره الا ما ينسب به الى العدل ، ويقتنع شاهده العقل(٤) •

ويعنى « ابن وكيع » بالانصاف ، تطبيق نظريته فى السرقات حيث قدم بها كتابه لتكون أساسا للحكم الصحيح على المتنبى أوله ، بعيدا عن الحيف والجور(٥) •

٥ ــ أنه لا يقضى على أبى الطيب بأن جميع كلامه مســلوب ، ولا كل فضله مغصوب ، ومن ثم اذا جاء البيت الذى لم يبلغه من أين أخذه مما يستحسن ، سلمه اليه ، حتى يوجد له استخراج سرقة(٦) •

---

(٢) السابق : ٤ •
(٣) المنصف : ٨٥ ــ ٨٧ •
(٤) السابق : ٤ ، ٤٨ •
(٦) السابق : ٤٨ •

وعبارته الأخيرة تشير الى أنه يسىء الظن بالأبيات التى يسلمها للمتنبى ، فهو يسلمها له مؤقتا حتى تكتشف سرقتها ويعرف مصدرها .

٦ ــ عدم ادعاء الاحاطة بجميع سرقات أبى الطيب ومعرفة جملة ما اغتصبه ، لأنه لا يدعى رواية جميع الأشعار ، ولكل عالم زيادة على ما أورد أن يورد منها ما أغفله غير طاعن عليه ، ولا ناسب تقصيرا اليه لأن كل واحد منهما حفظ ما لم يبلغ الآخر(٨) .

هذه هى خطة « ابن وكيع » فى بيان سرقات المتنبى ، وهى خطة لم يشر اليها فى موضع واحد من كتابه ، ولكنه فرق عناصرها فى ثلاثة مواضع منه وقد اجتهدنا فى جمعها وتنظيمها مع الاشارة الى موطن كل عنصر منها .

وسنرى من خلال مسيرتنا معه فى شرح سرقات المتنبى مدى التزامه بالخطة التى رسمها لنفسه ، والنظرية التى وضعها فى السرقات .

سرقات المتنبى :

قدمنا أن « ابن وكيع » قسم السرقات الى محمودة ومذمومة ، وجعل لكل منها عشرة وجوه ..وقد طبق فى دراسته لسرقات المتنبى هذا الأساس ، وحكم من خلاله على سرقاته ، فما كان منها داخلا فى أقسام السرقة المحمودة كان محمودا ، وما كان منها داخلا فى أقسام السرقة المذمومة كان مذموما ، وسنمضى معه فى رحلته التطبيقية مكتفين ببعض الأمثلة .

---

(٧) السابق : ٤٨ .

(٨) السابق : ٥ ، ٤٨ .

أولا : السرقات المحمودة :

١ ــ مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام مع أحقية الأول لأنه مبتدع والثانى متبع •

هذا هو القسم الثامن من أقسام السرقة المحمودة ، ولعل من يمن الطالع لأبى الطيب أن تكون أولى سرقاته التى تحدث عنها « ابن وكيع » من السرقة المحمودة ، اذ تدخل فى هذا القسم الذى ذكرناه •

قال « ابن وكيع » : أول شعر قاله أبو الطيب قوله(٩) :

بأبى من وددته فافترقنا   وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولا فلما التقينا   كان تسليمه على وداعا

البيت الأول هو الفارغ الذى قلت لا ألتمس له استخراج سرقة، والبيت الثانى هو بيت المعنى ، وهو مأخوذ من قول أبى الحسن جحظة(١٠) •

زائر نم عليه حسنه   كيف يخفى الليل بدار طلعا ؟
راقب الغفلة حتى أمكنت   ورعى الحارس حتى هجعا
ركب الأهوال فى زورته   ثم ما سلم حتى ودعا !

ولا أعرف فى بيت أبى الطيب زيادة يفضل بها من سرق منه ، وهذا الجنس من مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام ، فالسابق أولى ببيته(١١) •

---

(٩) شرح العكبرى : ٢٧٩/٢ •
(١٠) ذكر العكبرى البيت الثالث من هذه الأبيات ونسبه الى على ابن جبلة : ٢٧٩/٢ ، وتبعه البرقوقى : ٢١/٣ •
(١١) المنصف : ٨٨ •

فنرى أن « ابن وكيع » أهمل التعليق على البيت الأول لأنه من المعانى المكررة الفارغة ، وقد وعد بعدم الاشتغال بها ، وحكم على البيت الثانى بأنه مأخوذ من « جحظة البرمكى » وقد تساويا معا فى الكلام • وللسابق فضل السبق والابتداع •

وهو وان لم يحكم على السرقة بأنها محمودة الا أن نظريته تنطق بذلك ، حيث جعل هذا القسم من أقسامها(١٢) •

وأرى أن فى بيت أبى الطيب معنى لطيفا ، هو أنه جعل سلام اللقاء هو نفسه سلام الوداع وهذا أدل على قصر وقت اللقاء من قول « جحظة » الذى جعل سلام اللقاء شىء والوداع شىء آخر •

ويشيع قسم المساواة فى كتاب « ابن وكيع » بصورة كبيرة اذ يبلغ ١٨٣ سرقة تقريبا ، جعلها ابن وكيع من قبيل المساواة مع تفضيل السابق بابتداعه للمعنى ، ومن أمثلته هذا القسم قول المتنبى(١٣) :

بكف جواد لو حكتها سحابة لما فاتها فى الشرق والغرب موضع

قال ابن وكيع أخذه من قول ابن الرومى حيث يقول :

خرق يعم ولا يخص بفضله كالغيث فى الاطباق كل مكان

فجعل الغيث يعم ولا يخص ، وجعله يعم كالغيث فى اطباقه ، وكذلك قال :

أبو الطيب : ان سحابه لو حكت كفه لكانت عامة غير مختصة،وهذا يدخل فى باب المساواة والسابق أولى به(١٤) •

ولا يخفى على الناظر سلاسة بيت المتنبى وجودة سبكه ، وقوة

(١٢) ينظر السابق : ١٩ •
(١٣) شرح العكبرى : ٢/٢٤٥ •
(١٤) المنصف : ١٨١ •

معناه حيث جعل السحابة تحكي كف الممدوح ، بخلاف بيت ابن الرومي ففيه تفكك واضطراب حيث فصل فيه بين الفعل « زعم » ومفعوله « كل مكان » بكلام طويل • وجعل الممدوح كالغيث وهذا شائع في المدح بالجود ولا مبالغة فيه •

ومن أمثلة المساواة • قول المتنبي(١٥) :

ان التي سفكت دمي بجفونها لم تدر أن دمي الذي تتقلد

قال ابن وكيع وهذا من قول النابغة :

في أثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

أراد أن التي سفكت دمه لم تدر بسفكه،وأصابت هذه قلبه من غير أن تقصد له ، فالمعنى لا يزيد على المعنى ، وهو داخل في باب المساواة والأول أحق بما قال(١٦) • وعندي أن في بيت أبي الطيب زيادة في المعنى ، فقد سفكت دمه وتقلدته غير دارية بما فعلت ، وليس في بيت النابغة أنها تقلدت دمه ، وشيء آخر أشار اليه محقق الكتاب حيث قال : في حاشية بخط مغاير : القول الذي يصدر بغير قصد،ليس من صفات من له عقل ، بخلاف الجهل بأثر القول ، فلا تخفى زيادة بيت أبي الطيب على بيت النابغة(١٧) •

ومن المساواة عند ابن وكيع قول المتنبي :

وذكي رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فتفوح(١٨)

---

(١٥) شرح العكبري : ١/٣٢٨ •
(١٦) المنصف : ٢٢٨ •
(١٧) السابق : حاشية : ٢٢٧ •
(١٨) الحيا : المطر • شرح العكبري : ١/٢٥٥ •

قال ابن وكيع وقال ابن الرومى :

سأثني بنعماك التي لو جحدتها لأثنت بها منها شواهد لا تخفى
هب الروض لا يثنى على الغيث نشره أمنظره يخفى مآثره الحسنى ؟

فجعل هذا رائحة الروض تقوم مقام الثناء عليه ، وجعل هذا منظره يقوم مقام الثناء عليه ؛ وكل متقارب ، والأول أحق بما قال ، والتساوى يشملهما (١٩) .

والمتنبى يريد أن يقول : ان الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ، تحاول أن تثنى على المطر الذى أحياها ؛ فتسطع رائحتها ، فتكون بذلك قد أثنت على المطر (٢٠) .

ونلحظ هنا أن ابن وكيع يحاول اثبات التساوى مع ظهور الخلاف بين المعنيين ، وتفوق أبى الطيب فى الصياغة وجودة السبك والايجاز ، ووجود تكرار مؤد لبعض الثقل فى بيت ابن الرمى الأول .

وذكر الشيخ يوسف البديعى أن الأصل فى قول المتنبى قول ابن الرومى :

شكرت نعمة الولى على الوسـ ـمى ثم العهاد بعد العهاد
فهى تثنى على السماء ثناء طيب النشر شائعا فى البلاد
من نسيم كأن مسراه فى الأر واح مسرى الأرواح فى الأجساد (٢١)

وهذا أقرب مما قاله ابن وكيع .

---

(١٩) المنصف : ٣٠٤ .
(٢٠) شرح البرقوقى : ١/٣٧٩ .
(٢١) الصبح المنبى : ٢٧٢ . والولى : المطر بعد المطر ، والوسمى : مطر الربيع الأول ، والعهاد : أول مطره .

ويجتهد ابن وكيع فى اثبات المساواة ولو أدى ذلك الى أن يبخس المتنبى حقه ، وعلى سبيل المثال يقول : قال المتنبى(٢٢) :

طلعن شموسا والغمود مشارق ... لهن وهامات الرجال مغارب

أخذه من ابن المعتز :

متردیا نصلا اذا ... لاقى الضريبة لم يراقب

فكأنه فى الحرب شمس ... والرءوس لها مغارب

وهو المعنى ، والزيادة فيه من ذكر المشارق والمغارب معلومة ، لأن ما له مشرق فله مغرب ، فلا زيادة له يستحق بها ما أخذه بل يدخل مع من أخذ منه فى قسم التساوى ، واذا دخل فى المساواة فالفضل للسابق(٢٣) .

فقد حاول اثبات المساواة مع ظهور زيادة المتنبى فى المعنى مقررا بأن هذه الزيادة معلومة ، وهذا حيف على المتنبى وطمس لمحاسنه .

ومن غرامه باثبات المساواة أنه يجعل ميزة فى مقابل ميزة أخرى حتى تتحقق المساواة ولا يثبت للمتنبى فضل ، ومن أمثلة ذلك ما قاله فى قول المتنبى (٢٤) :

فقد حرن فى بشر فى تاجه قمر ... فى درعه أسد تدمى أظافره

هذا من قول أبى نواس :

واذا مج القنا علقا ... وتراءى الموت فى صوره

راح فى ثنيى مفاضته ... أسد يدمى شبا ظفره

كلام أبى نواس أجزل ، غير أن أبا الطيب جمع صفات لم يجمعها

---

(٢٢) شرح العكبرى : ١٠٧/١ .

(٢٣) المنصف : ٣١٨ .

(٢٤) شرح البرقوقى : ١٦٩/٢ .

أبو نواس فبازاء جزالة لفظ أبى نواس ما جمعه أبو الطيب من متفرق الصفات حتى دخل ذلك فى قسم المساواة (٢٥) •

ونرى أن قول أبى الطيب لا تنقصه الجزالة بجانب ما فيه من زيادة فى صفات الممدوح ، وتشطير بديع أسبغ على البيت وقعا موسيقيا أخاذا ، ففى حكم ابن وكيع بالمساواة جور ظاهر •

وما قاله فى قول المتنبى(٢٦) :

عجنا فأذهب ما أبقى الفراق لنا   من العقول ومارد الذى ذهبا

ما طلب البلقى لم يرد الماضى ، وفى هذا الشعر تشبيه بما أنشدنيه أبى — رحمه الله — قال : أنشدنا أبو الحسين جحظة :

يا كبدا أفنى الهوى جلها   منه بالذاع واحراق
حتى اذا نعشها ساعة   كرت يد البين على الباقى

وكأن البين أخذ ما بقى فيها فهو يقارب المعنى ، والكلام أعذب من الكلام ، وان كان أبو الطيب قد اختصر وجاء ببيتين فى بيت ، فنحن نجعل عذوبة اللفظ بازاء الاختصار ، والسابق أولى به (٢٧) •

وهكذا يجعل شيئا فى مقابل شىء طلبا للمساواة ، وكأنه يزن فى المحسوسات ويقدر فى الماديات ، وفاته أن الجزالة شىء والمعنى شىء آخر ، ولا يقابل هذا بهذا •

ولا ندرى ما سر غرامه بقسم المساواة مما جعله يحكم على كثير من سرقات المتنبى بأنها من باب المساواة ، علما بأن ذلك مما يقوى مركز

---

(٢٥) المنصف : ٢١٠ •
(٢٦) شرح العكبرى : ١/١١٠ •
(٢٧) المنصف : ٣٨٨ •

المتنبى فى سرقاته ولا يذم بها حيث جعل « ابن وكيع » قسم المساواة من أنواع السرقات المحمودة ٠

فهل يصدق فيه ما كتبه معلق على حاشية المخطوط وأثبتـه محقق الكتاب : ما لم يساعد المؤلف ذهنه على تكلف عيب فيه ، جعله من باب المساواة ، والأمر خلافه » (٢٨) ٠

٢ ـ استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القليل :

وهو القسـم الأول من وجـوه السرقات المحمودة ، وقد حكم « ابن وكيع » على سبع وأربعين سرقة بأنها من هذا القسم ومن أمثلة ذلك قول المتنبى (٢٩) :

راميات بأسـهم ريشها الهـد ب تشق القلوب قبل الجلـود

وهذا مسروق من قول أبى الشيص :

يرمين ألباب الرجال بأسهم قد راشهن الكحل والتهديب

وأما قوله « تشق القلوب قبل الجلود » فمن قول ابن الرومى :

يذكرنى الشباب سهام حتف يصبن مقاتلى دون الاهاب

والبيتان جميعا ينوب عنهما بيت أبى الطيب فهو باختصار الطويل فى الموجز القليل أولى بما قال (٣٠) ٠

ففضل أبا الطيب بالايجـاز ، وأرى أن المعنى الـذى قاله ابن الرومى غير ما قاله المتنبى فالسهام تصيب المقاتل دون الجلد عند ابن

---

(٢٨) المنصف : حاشية : ٢٢٧ ٠
(٢٩) شرح العكبرى : ١/٣١٤ ٠
(٣٠) المنصف : ١٤٦ ٠

الرومى ، والسهام تشق القلوب قبل الجلود عند المتنبى والفرق بين المعنيين واضح .

ومن أمثلة الايجاز قول المتنبى(٣١) :

ألفت مسامعه الملام وغـادرت سمة على أنف اللئـام تلوح .

فصدر هذا البيت من قول أبى نواس :

فاعذر أخاك فانه رجـل مرنت مسامعه على العذل .

وعجزه أشار اليه المتلمس فى قوله :

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرانين ميسـما

لأن المياسم تجعل باليد لا بالمسامع ، ولم يشرح لم ألفت مسامعه الملام وغادرت سمة على أنوف اللئام ، ولكن قد اختصر فى بيت واحد ما جاء فى بيتين ، فجاء بالطويل فى الموجز القليل ، فغفر ذنب الأخذ من غيره ، واستحق ما قال » (٣٢) .

وابن وكيع ينتقص المتنبى لأنه لم يشرح لم ألفت مسامعة الملام، وغادرت سمة على أنوف اللئام ، بيد أنه لو شرح ذلك لطـال الكلام . وفاتته فضيلة الاختصار التى كانت سببا فى استحقاقة المعنى كما حكم ابن وكيع .

ويتتبع « ابن وكيع » المعنى عند عدد من الشعراء ، ويحكم لأبى الطيب بفضيلة الاختصار والايجاز ، ويجعله أحق بالمعنى من سابقيـه، ومن أمثلة ذلك قوله : قال المتنبى (٣٣) :

وما ماضى الشباب بمسترد ولا يوم يمـر بمسـتفاد .

---

(٣١) شرح العكبرى : ٢٥١/١ .

(٣٢) المنصف : ٣٠١ .

(٣٣) شرح العكبرى : ٣٥٦/١ . وقافية البيت فيه : بمستعاد .

قال عدى بن زيد :

أمسك أمس قد مضى فانقضى ... فليس لما مضى منه لقـــاء

وقال أبو العتاهية :

لا يستعاد اليوم ان ولى ولا للأمــس ردا

وقال البحترى :

فهل عتب الزمان يعدن فينا ... بيوم من الفائت مستفاد ؟

فكل هذه المعانى متســاوية ، وهى اخبار بما لا يجهل ، ولكنــه كالتوجع والتفجع ، غير أن أبا الطيب اختصر الكثير الطويل فى الموجــز القليل ، وذلك أنه خبر أن ماضى الشباب لا يسترد ، وأن يوما يمر غير مستفاد ، فخبر عن الشباب والزمان ، وأفرد غــيره بالاخبار اما عن الشباب واما عن الزمان ، وكان بيت أبى الطيب ينوب عن أبياتهم فهو أحق به (٣٤) .

فتتبع « ابن وكيع » المعنى عند خمسة من الشــعراء ، وذكر أن معانى هذه الأبيات متساوية ، وبين الغرض البلاغى من الاخبار فيها ، فهى تفيد التوجع والتفجع والتحسر ، ثم دل على فضل أبى الطيب حيث جمع بين شيئين : الاخبار عن الشباب وعن الزمان ، بخلاف ســابقيه الذين أخبروا عن الزمان وحده ، أو عن الشباب وحده ، فكان أبو الطيب أكثرهم معنى ، وأخصرهم عبارة ، وبهذا أنصف المتنبى ، وان كان لم ينظر الى ما يتميز به بيته من جودة السبك ، وحلاوة الجرس .

ويقف « ابن وكيع » ازاء بعض سرقات المتنبى ، ويخير الناظر فيها

---

(٣٤) المنصف : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

يبين أن يجعله من باب المساواة ، أو من باب نقل الطويل الى الموجز، ويوجه كل اختيار منهما بما يناسبه ، فيقول : قال المتنبى (٣٥) :

انصر بجودك ألفاظا تركت بها   فى الشرق والغرب من عاداكمكبوتا
فقد نظرنك حتى حان مرتحل   وذا الوداع فكن أهلا لما شيتا

معناه : فكن أهلا لما شئت من الاحسان أو ضده ، وقد قيل غيره هو فى هذا المعنى ، ممن هو أرفع قدرا ممن مدحه أبو الطيب وهو طاهر ابن الحسين ، ما هو أكثر تهددا وأعظم توعدا ، قال ابن الجهم :

أ «طاهر» انى عن خراسان راحل   ومستخبر عنها فما أنا قائل ؟
أأهجوك أم أثنى عليك فأيما   تخيرت أدته اليك المحافل

وقال ابن الجهم فى مثله :

عندى خياران فاختر والخيار بمن   فى مثل رأيك ألا يقبل الغبنا
واعلم بأنك ما أسديت فى حسن   الى أو سيىء وفيتك الثمنا

فقد خبر أبو الطيب فى قوله « ما شئت » ولكنه كلام مجمل غير مشروح ، ولعلى شرح واضح وان طال ، فكلاهما محسن ، وبازاء المختصر : المشروح ، واذا جعلنا المختصر بازاء المشروح دخل هذا الشعر فى باب المساواة ، ولو شاء الناظر فيها لأدخلها فى قسم نقل الطويل الكثير الى الموجز القصير ، فصار أبو الطيب أرجح كلاما من غيره (٣٦) .

فبين « ابن وكيع » أنه يمكن جعل فضيلة الاختصار فى قول المتنبى بازاء فضيلة الشرح والاطناب عند ابن الجهم ، فيدخل فى باب المساواة،

---

(٣٥) شرح العكبرى : ١/٢٢٣ .
(٣٦) المنصف : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

ويمكن الاغضاء عن فضيلة الشرح وجعل قول المتنبى من باب نقل الطويل الى الموجز القصير فيكون أرجح كلاما وأحق بما قال من غيره •

والبلاغيون يرون أن الاطناب والشرح فضيلة اذا اقتضاه المقام، كما أن الاختصار والايجاز فضيلة اذا اقتضاه المقام ، وبناء عليه يكون شرح ابن الجهم مساويا لاختصار المتنبى اذا كان المقام يتطلبه ، والا كان تطويلا مستغنى عنه •

ويعود « ابن وكيع » فيبين أن نقل الطويل الكثير الى الموجز القصير وان كان يجعل الآخذ أحق بما أخذ الا أنه لا يمحو فضيلة السبق الى المعنى عن السابق اليه ، فيعتد اعتدادا كبيرا بالتقدم والسبق ، نرى ذلك فى قوله : قال المتنبى (٣٧) :

أسد فرائسها الأسود يقودها   أسد تصير له الأسود ثعالبا

صدره من قول ابن المعتز :

أسد فرائسها الأسود ولا تطا   الا على الآساد يوم حروبها

وعجزه من قول المريمى :

كم من عدو كان قبلك ضيغما   حتى اذا ما جئت عاود ثعلبا

وقد ألم المريمي ببيت ابن الرومى فى قوله :

ليث اذا زأر الليث الهزبر له   لم يحسب الليث الا ثعلبا ضبحا

وكأن بيت أبى الطيب يجمعه معنى بيت ابن المعتز وابن الرومى والمريمى فى قوله : فقد استوفى الطويل فى الموجز القليل ، فصار بذلك أحق بما أخذ ، وكل ما أخذه أبو الطيب من هذا المعنى وقلت انه أولى بما أخذ فقد بقى فضل السبق عليه (٣٨) •

---

(٣٧) شرح العكبرى : ١٢٨/١ •
(٣٨) المنصف : ٤٣٧ •

فبعد أن أثبت للمتنبى أحقيته بما أخذ بسبب ايجازه واختصاره، أشار الى أن هذه الفضيلة لا تمحو فضيلة السبق والتقدم •

٣ ـ استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه •

وهذا هو القسم الخامس من أقسام السرقات المحمودة ، وقد جعل « ابن وكيع » أربعين سرقة من هذا القسم ، ومن أمثلة ذلك قوله : قال المتنبى :

فلم تلق ابن ابراهيم عنسى   وفيها قوت يوم للقراد (٣٩)

هذا معنى ينظر الى قول الحطيئة :

سناماً ومحضاً أنبت اللحم فاكتست
عظام امرىء ما كان يشبع طائره (٤٠)

أى او وقع عليه طائره ما كان يشبع طائره من لحمه ، فجعل الناقة مكان الرجل ، وجعل القراد مكان الطير ، وهذا من استخراج معنى من احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه (٤١) •

ومعنى بيت المتنبى : أن ناقته لم تصل الى هذا الممدوح الا بعد أن أضناها السير حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القراد (٤٢) ، وقد بين ابن وكيع استخراج معنى أبى الطيب من معنى الحطيئة مع الفرق فى المقصد والغرض •

---

(٣٩) العنس : الناقة الصلبة ، والقراد : حشرة تلتصق بالابل ونحوها • شرح العكبرى : ٣٥٧/١ •

(٤٠) المحض : اللبن الخالص الذى لم يخالطه ماء •

(٤١) المنصف : ٣٥٠ •

(٤٢) شرح البرقوقى : ٧٨/٢ •

ومن أمثلته قول المتنبى يصف البحيرة :

فهى كماوية مطوقة جرد عنها غشاءها الأدم(٤٣)

هذا مولد من قول بعض الأعراب :

كأن هلاله مرآة قين لها شطر يلوح من الغلاف

وهذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه ، شبه المتنبى البحيرة بالمرآة ، والروض بغشاء الأديم، وشبه هذا الهلال الذى هو دون كمال ببعض مرآة تبدت من غلافها ، وكلاهما تشبيه حسن (٤٤) .

والمتنبى يشبه البحيرة وما يحدق بها من البساتين بالمرآة وقد جردت مما تغلف به من الجلد (٤٥) ، وهذا التشبيه فى نظرى بعيد عن تشبيه الأعرابى ولا صلة له به ، الا اذا كان ابن وكيع يعتد فى السرقات بمجرد تشابه لفظين ، وهذا تشدد لا يدع لشاعر معنى مبتكر ، ولا يترك لقائل فكرة مبتدعة .

ومن أمثلته قول المتنبى (٤٦) :

كأن الفجر حب مستزار يراعى من دجنته رقيبا

قال ابن المعتز :

فى ليلة ما راعنى فيها سوى شبه النجوم بأعين الرقباء

(٤٣) الماوية : المرآة . شبهت بالماء لصفائها . شرح العكبرى : ٦٨/٤ .

(٤٤) المنصف : ٣٨٦ .

(٤٥) شرح البرقوقى : ١٨٩/٤ .

(٤٦) شرح العكبرى : ١٣٩/١ .

وهذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه ، ولفظ المتنبى أرجح ، لأنه لما ذكر الحبيب ذكر الرقيب(٤٧) .

وابن وكيع يحكم هنا بتفوق المتنبي في ألفاظ بيته على ابن المعتز، وهو حكم صائب .

ويقف « ابن وكيع » ازاء بعض سرقات المتنبي فيجعلها راجحة بالنسبة الى قول ، وداخلة في استخراج معنى من معنى بالنسبة الى قول آخر ، نرى ذلك في قوله قال المتنبى (٤٨) :

اذا بدا حجبت عينيك هيبته   وليس يحجبه ستر اذا احتجبا

فذكر أنه يحجب العيون عن رؤيته بالهيبة ، ولا يحجبه الحجاب لنور وجهه ، وقد قال مسلم :

حجب العيون فما تكاد تبينه   من وجهه الإهلال والتكبير

فما زاد على ذكر الهيبة ، ولأبى الطيب رجحان بذكر معنى النور، وقد ولد هذا البحترى فقال :

فان أتى دونه الحجاب فما   تحجب عنا آلاءه حجبه

فلبحتري يقول : انه محتجب غير محتجب الآلاء ، وذكر أبو الطيب أنه محجوب بالهيبة غير محجوب لنور وجهه ، فهذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه(٤٩).

فبين أن بيت أبى الطيب راجح على بيت مسلم بزيادة هي : ذكر

---

(٤٧) المنصف : ٦٠٨ .
(٤٨) شرح العكبرى : ١١٣/١ .
(٤٩) المنصف : ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

معنى النور ، وأن بيت أبى الطيب فى مقابل بيت البحترى يعتبر من قبيل : استخراج معنى من معنى احتذى عليه وان فارق ما قصد به اليه .

وذكر الحاتمى أن بيت أبى الطيب مأخوذ من بيت لأبى نواس اذ يقول فى رسالته موجها كلامه الى أبى الطيب : وقال أبو نواس :

ترى ضوءها من ظاهر الكأس ظاهرا
عليك ولو غطيتها بغطاء

فأخذته أخذا طريفا ونقلته الى المدح فقلت :

اذا بدا حجبت عينيك هيبته
وليس يحجبه شىء اذا احتجبا (٥٠)

ويشير « ابن وكيع » الى أن هذا القسم من السرقات يحتاج الى فطنة وحذق ولا يهتدى اليه الا الناقد الجيد ، فيقول : قال المتنبى (٥١) :

لبس الثلوج بها على مسالكى فكأنها ببياضها سوداء

نبهه على هذا المعنى الديك فى قوله :

مشيب فى العيون له بياض ولكن فى القلوب له سواد

فهذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه،نقل المشيب الى الثلج وكلاهما أبيض،وذكر أنوا ببياضها سوداء (٥٢) ، وهذا من فطنة الشاعر الحاذق ، ولا يفطن له الا كل جيد النقد للشعر (٥٣) .

---

(٥٠) الرسالة الموضحة : ١١٥ .
(٥١) شرح العكبرى : ١/١٩ .
(٥٢) عبارة المنصف : وذكر أن بياضهما فى عيونهما اسود ، ولا يستقيم المعنى بها .
(٥٣) المنصف : ٤٧٩ .

ومعنى بيت المتنبى : أن الثلوج فى جبال لبنان أخفت عليه طرقه فلم يهتد لكثرتها وبياضها ، فكأنها اسودت اسوداد الليل اذ ضل فيها، لأن الأسود لا يهتدى فيه (٥٤) •

وقد دفع الحذق « ابن وكيع » الى أن يعتبر هذا المعنى الجيد من قبيل السرقة ، والمتأمل يرى بعد ما بين معنى المتنبى ومعنى ديك الجن •

٤ ـ مماثلة السارق المسروق منه فى كلامه مع زيادته فى المعنى ما هو من تمامه •

وهذا هو النوع التاسع من أقسام السرقات المحمودة ولم أعثر عليه من سرقات المتنبى بهذا العنوان كاملا الا فى موضع واحد وعبر عنه ابن وكيع فى باقى المواضع بقوله : فزاد فى المعنى ما هو من تمامه ، أو بقوله : فزاد فى كلامه ما هو من تمامه ، ونحو ذلك • وقد ذكر « ابن وكيع » قريبا من ست عشرة سرقة من هذا القسم ، من ذلك قوله: قال المتنبى (٥٥) :

الا يشب فلقد شابت له كبد شيبا اذا خضبته سلوة نصلا

وهم أبو العباس النامى المصيصى أنه سرق هذا من أبى تمام فى قوله :

شاب رأسى وما رأيت مشيب الر أس الا من فضل شيب الفؤاد

هذا يذكر أنه قد شاب رأسه من شيب فؤاده بهمومه ، والمتنبى يذكر أنه لم يشب،فلقد شابت كبده من الهموم،وشيب الرأس معنى ويمكن أن يكون غريزة أو لسن ، وشيب الكبد استعارة ، وزاد أبو الطيب فى

---

(٥٤) شرح البرقوقى : ١/١٤٧ •
(٥٥) شرح العكبرى : ٣/١٦٤ •

الكلام من ذكر خضاب السلوة ونصول شيب فؤاده ، وهذا يدخل في مماثلة السارق المسروق منه في كلامه مع زيادته في المعنى ما هو من تمامه ، ولولا أن أبا العباس النامي ذكر أن هذا مأخوذ من هذا لكان بعيدا منه (٥٦) .

فبين المعنى الذي اشترك فيه الشاعران ، والزيادة التي زادها أبو الطيب وأشار الى الاستعارة في قول المتنبي : شابت له كبد ، ولم يحكم عليها .

وقد حكم « البديعي » بقبح هذه الاستعارة لبعدها وعدم جريانها على شبه قريب ولا بعيد ، وانما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة (٥٧) .

وذكر القاضي الجرجاني قول أبي تمام السابق ، وحكم بقبح استعارته : شيب الفؤاد ، وقال : ان أبا الطيب نقل شيب الفؤاد الى الكبد (٥٨) .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبي :

فتاة تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الدري في الحسن والنظم

ساوى بين عقدها وكلامها ومبسمها ، وقال الخبزرزي :

بغناء يبث درا نظيما وكلام يبث درا نظيما

فما خرج عن صفة واحدة من المنظوم والمنثور ، وجاء أبو الطيب بثلاثة أوصاف ، فزاد في كلامه ما هو من تممه ، فهو أحق بما أخذه (٦٠) .

---

(٥٦) المنصف : ١٣٥ .
(٥٧) الصبح المنبي : ٣٧٣ .
(٥٨) الوساطة : ٢٥٤ .
(٥٩) شرح العكبري : ٤/٤٩ .
(٦٠) المنصف : ٣٣١ .

فبين « ابن وكيع » زيادة المتنبى التى بهـا يستحق ما أخـذه ، وبالنظر نرى أن بيت الخبزرزى لا يرقى الى بيت المتنبى ، وفيه تكرار لا طائل تحته ، ولا أدرى كيف حكم على بيته المتنبى بأنه مأخوذ من بيت الخبزرزى !!

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى (٦١) :

وبسمن عن برد خشـيت أذيبه   من حر أنفاسى فكنت الذائبا

أخذه من قول ديك الجن :

تضاحك عن بـرد مشرق   ناحيته من بين جلاسى

فلم قبلتـه خفت أن   يذوب من نيران أنفاسى

فالمعنى المعنى ، ولكن لأبى الطيب زيادة ، وهى من تمام الكلام ، وهى قوله : فكنت الذائبا ، وهى مليحة يستحق بها ما أخذ (٦٢) .

وابن وكيع هنا يهمل الحديث عن اختصار المتنبى وايجازه ، وهو ظاهر فى بيته الذى جمع معنى البيتين وزاد عليه ، مع جزالة الألفاظ ، وجودة السبك .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى (٦٣) :

كل حلم أتى بغير اقتدار   حجة لاجىء اليها اللئام

معنى هذا البيت : أن الحلم عند القدرة ، سبقه اليه سلم الخاسر فى قـوله :

---

(٦١) شرح العكبرى : ١٢٣/١ .

(٦٢) المنصف : ٤٣٠ .

(٦٣) شرح العكبرى : ٩٣/٤ .

وأحلم الناس عند مقدرة   وانما الحلم حين يقتدر

ومثله قول الآخر :

وما الحلم الا العفو من بعد قدرة   على أن يمر فى الأمور وأن يحلى

وقال ابن المعتز :

والحلم يذهب باطـلا   الا لـدى السطوات

وأبو الطيب قد أتى بمعنى هذه الأبيات ، وزادنا أن ادعاء الحلم من غير قدرة من حجج اللئـام ، فزاد فى كلامـه ما هو من تمامـه ، فاستحقه (٦٤) .

٥ ـ رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظه على لفظ من أخذ عنه .

وهذا هو القسم العاشر من أقسام السرقات المحمودة ، وقد ذكر ابن وكيع ثلاثا وأربعـين سرقة من هذا القسـم ، ومن ذلك قـول المتنبى (٦٥) :

حجبتها عن أهل أنطـاكية   وجلوتها لك فاجتليت عروسا

هذا المعنى موجود فى قول للحسن بن وهب ، وقد أنشده أبو تمام :

كفى وعاك فاننى لك قـال   ليست هوادى عزمتى بتوالى

فقال له : لقد أهديت الينا منها عروسا يا أبا تمام ، وقام فاعتنقه ، فقال أبو تمام : لو أنها من الحور العين لكان قيامك أفضل مهورها ، وقد قال البحترى :

---

(٦٤) المنصف : ٥٦٩ .

(٦٥) شرح العكبرى : ٢٠١/٢ .

هذى القصائد قد أتتك حسانها تسعى اليــك كأنهــن عرائس

ولم يزد على أن شبه قصائده بالعرائس ، ولأبى الطيب من ذكر الحجاب والجلوة ما يقتضيه ذكر العروس وأنها مضنون بها على غــير الأكفاء من الممدوحين ومن أكفائها الممدوح ، فرجح كلامــه ، فصــار أولى بما أخذ (٦٦) .

فابن وكيع يرى أن المعنى الذى قــاله المتنبى موجود فى قــول الحسن بن وهب .

ولقد أهديت الينا منها عروسا،وموجود فى قول البحترى ، ولكن أبا الطيب زاد فى بيته عنهما فذكر الحجاب ، والجلوة ، والضن بها على غير الممدوح ، فرجح كلامه على كلام من أخذ منهما فاستحق ما أخذ .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى (٦٧) :

كيف أكافى على أجــل يد من لا يرى أنها يد قبلى ؟

قال ابن وكيع : لم يهمز أكافى على غير قياس ، وما أكثر ما يسقط الهمز من أبواب النحو ، وأنت ترى ذلك كثيرا فى شعره . ومعنى كلام أبى الطيب : أن الممدوح لا يرى يدا يسديها يدا ، وأبيات حسان فى آل جفنة فى قوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللــوم
يعطى الجزيل ولايراه عطية الا كبعض عطيــة المذموم

أبلغ وأرجح لفظا ، لأنه ما رضى الا بأن جعل الممدوح يعــطى الجزيل ويراه كبعض عطية المذموم ، ولم يجعلها كل عطيــة المذموم ، ولكن أبا الطيب قد جعل يد الممدوح أجل يد نالتــه ، وأن المـــدوح

---

(٦٦) المنصف ٢٧٢ .

(٦٧) شرح العكبرى : ١٧٣/٣ .

لا يراها يدا (٦٨) أصلا لا لممدوح ولا لمذموم،فقد نقصت مبالغة حسان ورجحانه لمبالغة أبى الطيب ، فصار أولى بما أخذ على من أخذ منه (٦٩)

فابن وكيع فى هذا المثال يعيب على المتنبى اسقاط الهمز من لفظ « أكاف » وأصله « أكافىء » وجعل اسقاط الهمز عيبا عاما فى شعره لأنه كثيرا ما يسقط الهمز فيه .

وتغاضى ابن وكيع عن نفس هذا الملحظ فى قول حسان ، فقد اسقط الهمز من لفظ « اللـوم » وأصـله « اللـؤم » ، وكان مقتضى الانصاف أن يشير اليه مثلما أشار اليه فى قول أبى الطيب ، ولكن يبدو أنه يكيل بكيلين .

وبين ابن وكيع أن معنى أبى الطيب مأخوذ من قول حسان ، ولكن أبا الطيب بالغ فى أداء المعنى ، وأخرجه اخراجا قويا ، فرجح كلامـه على كلام حسان ، وصار أولى بما أخذ .

ومما يدخل فى هذا القسم قول المتنبى (٧٠) :

يغشى الطعان فلا يرد قناته   مكسورة ومن الكماة صحيح

وهذا يشبه قول الفرزدق :

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم   ولم تكثر القتـلى بها حين سلت

وقد قال البحترى :

ألوى اذا طعن المدجج صكه   ليديـه أو نثر القنـاة كعوبـا

فأبو الطيب يذكر أنه لا يردها مكسورة ومن الكمـاة صـحيح ،

---

(٦٨) عبارة الكتاب : أبدا ، ولا يستقيم بها المعنى .
(٦٩) المنصف : ١٥٨ .
(٧٠) شرح العكبرى : ٢٥٢/١ .

والبحترى يقول ان كسر القرن والا كسر القناة ونثرها كعوبا ليدل على قوته ، وقول أبى الطيب أبلغ وأرجح ، وممدوحه أشجع وأمدح ، فهو أحق بما أخذ (٧١) .

ومعنى بيت أبى الطيب : أن ممدوحه يخوض الحرب فلا يرد رماحه الا بعد ألا يبقى من الأبطال صحيح (٧٢) . وهذا المعنى أقوى وأبلغ مما نحا اليه البحترى ، وبهذا استحق أبو الطيب المعنى وصار جديرا به .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى (٧٣) :

يبكى عليه وما استقر قراره　　　فى اللحد حتى صافحته الحور

هذا معنى أخذه من الوائلى فى قوله :

ان تكن مفردا بغير أنيس　　　فعسى قد أنست أنت وحور

فأبو الطيب يذكر أنه ما استقر قراره فى قبره حتى صافحته الحور محققا قاطعا بذلك ، والوائلى يترجى أنه قد أنس ، وتنكير الحور هاهنا غير مطبوع ، فكلام أبى الطيب أمدح وأرجح ، فهو أولى بما أخذ (٧٤) .

فبين ابن وكيع ما تميز به بيت المتنبى على بيت الوائلى ، فكلام المتنبى قائم على القطع والتحقيق ، وكلام الوائلى مبنى على الرجاء ، وأشار الى أن تنكير لفظ « الحور » فى قول الوائلى يدل على صنعة ظاهرة ، وهذا النقد من اللفتات الجيدة عند ابن وكيع .

---

(٧١) المنصف : ٣٠٢ .
(٧٢) شرح البرقوقى : ١/٣٧٥ .
(٧٣) شرح العكبرى : ٢/١٣٢ .
(٧٤) المنصف : ٣١٤ .

٦ ـ توليد كلام من كلام ، لفظهما مفترق ومعناهما متفق .

وهذا هو القسم السادس من السرقات المحمودة عند ابن وكيع ، وقد أرجع اليه ست سرقات ، ومن أمثلة ذلك قوله : قال المتنبى (٧٥) :

بجسمى من برته فلو أصارت   وشاحى ثقب لؤلؤة لجالا

نبهه على هذا أبو تمام فى قوله :

من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت   لها وشحا جالت عليها الخلاخل

جعل أبو تمام الخلخال اذا كان وشاحا لها كان جائلا ، وصير أبو الطيب ثقب اللؤلؤة لو كان وشاحا لها لجال ، وهذا من توليد كلام من كلام ، معناهما متفق ولفظهما مفترق ، قد ولد كلامه ابن الرومى فقال :

من الهيف لو شاءت لقامت بكأسها   وخاتمها فى خصرها متختم

والمعنى يفتح المعنى (٧٦) .

والمتنبى يصف دقته ونحوله ويقول : أفدى بجسمى من هزلته ، حتى لو جعلت وشاحى ثقب لؤلؤة لو سعنى حتى يدور على اذا شئت أن أديره (٧٧) .

وقد ذكر ابن وكيع أنه ولد هذا المعنى من قول أبى تمام ، وابن الرومى ، فالمعنى متفق واللفظ مفترق .

وبين ابن وكيع أن هذا القسم من السرقات المحمودة ربما يخفى على ضعيف النقد نظرا لاختلاف الألفاظ ، بين السارق والمسروق منه ،

---

(٧٥) شرح العكبرى : ٣/٢٢٣ .
(٧٦) المنصف : ٥١٥ .
(٧٧) شرح البرقوقى : ٣/٣٣٩ .

وأشار الى أن هذا اللون من السرقة يستحقه السابق ما دامت المعانى والمبانى متساوية ، فقال فى قول المتنبى (٧٨) :

ما دار فى خلد الأيام لى فرح أبا عبادة حتى درت فى خلدى

هذا من قول أبو تمام :

رأيت الليالى قد تنكر عهدها فلما تراءى لى رجعن الى العهد

وأصله من قول ابن هرمة :

ولى خليل ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمى

وربما ظن ضعيف النقد اذا تجردت الألفاظ المسروقة من ألفاظ السارق لها أنها غير مسروقة منها ، وليس كما ظن . هذا توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق ، والأبيات متساوية فى حسن المبنى والمعنى ، فالسابق أولى بها (٧٩) .

وأرى أن المعانى ليست متقاربة بالدرجة التى جعلت ابن وكيع يحكم عليها بالاتفاق ويقضي على بيت المتنبى بأنه مأخوذ من قول أبى تمام .

وذكر البرقوقى أن معنى المتنبى ينظر فيه الى قول الشاعر :

ان دهرا يلف شملى بسلمى لزمان يهم بالاحسان (٨٠)

وهذا أبعد فى المعنى من البيتين اللذين ذكرهما ابن وكيع .

---

(٧٨) المنصف : ٢٨٥ .
(٧٨) شرح العكبرى : ١/٥٠ .
(٧٩) المنصف : ٢٨٥ .
(٨٠) شرح البرقوقى : ٢/٧٢ .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبي (٨١) :

ردي الوصال سقى طلولك عارض ... لو كان وصلك مثله ما أقشعا

يقال : أقشع السحاب وأقلع . وخبر بالاقشاع عن الوصل ، وكان الأحسن في الصنعة أن يقول : لو كان وصلك مثله لم تهجري ، أو كان يقول : لو كان مثل هجرك ما أقشع ، وقد ألم بهذا المعنى من قول أبي تمام :

ذكرتكم الأنواء ذكرى بعضكم ... فبكت عليكم بكرة وأصيلا

دعا لهم أن تذكرهم الأنواء كذكره بعضهم ليكون بكاؤها متصلا ، وهذا من استخراج معنى من معنى نظمهما مخترق ، ومعناهما متفق ، وفي بيت أبي الطيب مطعن ، وكلام أبي تمام لا مطعن فيه ، فهو أحق بقوله (٨٢) .

وابن وكيع في هذا المثال يتناول بيت المتنبي بالنقد ، ويبين أن إخباره عن الوصل بالاقشاع غير سديد ، وأن حسن الصنعة كان يقتضي منه أن يقول : لو كان وصلك مثله لم تهجري ، أو يقول : لو كان مثل هجرك ما أقشع . وهذا المأخذ جعل بيت المتنبي ضعيفا في مقابلة بيت أبي تمام ، فاستحق أبو تمام المعنى .

وذكر الحاتمي أن المتنبي أخذ هذا المعنى من البحتري في قوله :

شقائق يحملن الندى فكأنه ... دموع التصابي في خدود الخرائد

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت ... تليها بتلك البارقات الرواعد (٨٣)

---

(٨١) شرح العكبري : ٢/٢٦١ .

(٨٢) المنصف : ٤٥٣ .

(٨٣) الرسالة الموضحة : ٤٥ .

٧ ـ توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات .

وهو القسم السابع من السرقات المحمودة عند ابن وكيع ، ولم أعثر الا على مثالين لهذا القسم فى المنصف أولهما قول المتنبى(٨٤) :

يسبى النجيع عليه وهو مجرد من غمده فكـأنما هو معمـد

قال ابن وكيع : قال البحترى :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسـلبوا

وهذا يدخل فى توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات (٨٥).

وثانيهما قول المتنبى (٨٦) :

وكأنهـا شـجر بـدا لكنها شجر جنيت الموت من ثمراتها

قال ابن وكيع : نبهه على هذا المعنى وأشار اليه أبو نواس بقوله :

لا أذود الطـير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

وقال الحصنى :

تخيروا ثمرات غير زاكيـة لقد جنى ثمر المكـروه جانيها

وهذه معان مستحسنات فى معان مختلفات (٨٧) .

ونلحظ فى التعليق على المثال الثانى التعبير بمعان مختلفات ، بدلا من ألفاظ مختلفات كما هو عنوان القسم ، ولعل هذا سهو من النساخ والصحيح فى ألفاظ مختلفات حتى تستقيم العبارة .

---

(٨٤) شرح العكبرى : ٣٣٧/١ .
(٨٥) المنصف : ٢٣٩ .
(٨٦) شرح العكبرى : ٢٢٦/١ . وفيه : « بدت » بدل « بدا » و « المر » بدل « الموت » .
(٨٧) المنصف : ٥٩٧ .

٨ ـ نقل اللفظ الرذل الى الرصين الجزل .

وهو القسم الثانى من السرقات المحمودة وقد ذكر ابن وكيع منه عشر سرقات ، ففى قول المتنبى (٨٨) :

ملك اذا امتلأت مالا خزائنه اذاقها طعم ثكل الأم للولد

يقول : هذا من قول أبى نواس :

الى فتى أم مـاله أبـدا تسعى بجيب فى الناس مشقوق

الا أن بيت أبى نواس أمدح من بيته بقـوله « أبدا » لأن ذلك يدل على تفريقه المال فى كل حين بغير زمان محدود ، وأبو الطيب قال: اذا امتلأت مالا خزائنه . فحدد وخبر أنها لا تفرق الا عند امتلائها ، فقد صار لتفريقه زمان دون زمان . ولعله لا يسخو بالتفرقـة الا اذا كثر ماله ، فاذا ضاق منع منه ، ولكن كلام أبى الطيب أجزل ، فصار لنقله الرذل الى الجزل أحق بما أخذ (٨٩) .

فيبين أن قول المتنبى مأخـوذ من قول أبى نـواس ، وبيت أبى نواس أفضل من حيث المبالغة فى المدح حيث جعل الممدوح يفرق المال فى كل وقت ، وجعله المتنبى يفرقه اذا امتلأت خزائنه ، ومع هذا فبيت المتنبى يمتاز بقوة اللفظ وجزالته ، فهو أفضل من هذه الزاويـة وبها يستحق ما أخذ لنقله الكلام الرذل الى الرصين الجزل .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى(٩٠) :

وشـبه الشىء منجذب اليه وأشـبهنا بدنيـانا الطغام

---

(٨٨) شرح العكبرى : ٣٥١/١ .

(٨٩) المنصف ، ٢٨٦ .

(٩٠) شرح العكبرى : ٧١/٤ .

وهذا يقرب من قول القائل :

دنيا تحيد عن الكريم وتنثنى　　نحـو اللئيم الســاقط الوغد
ان ساعــدته فانها أهل لــه　　والقرد مســلوك مع القرد

وكلام المتنبى جزل ، وهذا الكلام رذل ، فهو أحق بالبيت (٩١) .

ومعنى بيت المتنبى : أن الشيءيميل الى شبهه ، والدنيا خسيسة فلذلك ألفت الخساس ، لأنهم أشباهها فى اللؤم والخسة ، والشكل الى الشكل أميل (٩٢) .

وقد صاغ المتنبى هذا المعنى صـياغة محكمة فى ألفــاظ جزلة ، وبذلك استحق المعــنى وصار أولى به ، وهذا ما ذكــره ابن وكيع .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى :

له أياد على قد سلفت (٩٣)　　أعــد منها ولا أعددهــا

ملح فى قوله : أعد منها ولا أعددها ، وقد جاء بهذا فى قصــيدة أخرى فشرح وأوضح فقال :

فاغفر فدى لك واحبنى من بعدها　　لتخصنى بعطية منهــا أنا

والمعنيان مأخوذان من قول الجماز :

لا تنتقنى بعد أن رشتنى　　فإننى بعض أيا دريــكا

وكلام أبى الطيب أجزل فهو يستحق ما قال بالجزالة (٩٤) .

---

(٩١) المنصف : ٤٠٤ .
(٩٢) شرح البرقوقى : ١٩٢/٤ .
(٩٣) صدر البيت فى الديوان : له أياد الى سـابقة . السـابق ،
(٩٤) المنصف : ١٠٠ .

ويذكر القاضي الجرجاني أن قول المتنبي مأخــوذ من قــول أبى العتــاهية :

هب لي أمين الله من بعض ما ملكك الرحمــن من نفسى (٩٥)

وعلى كل فكلام أبي الطيب أجزل ، وبالجزالــة يســتحق المعنى الذى أخذه • ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى :

لما تقطعت الحمول تقطعت نفسى أسى وكأنهن طلوح

وهذا من قول طرفة :

فى سلف أرعــن متعنجر يقدم أولى ظعن كالطلوح (٩٦)

وبيت طرفة قليل الماء ، ناقص الرواء ، وبيت أبى الطيب أرجح لفظا منه وأجزل ، فقد استحقه بالجزالة (٩٧) •

فعاب ابن وكيع بيت طرفة ، وفضل عليه بيت المتنبى لجزالة لفظه ، وجودة سبكه وقوة معناه •

٩ ـــ عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد أن كان هجاء •

وهذا هو القسم الرابع من أقسام السرقات المحمودة فى نظرية ابن وكيع ، ولم أقف فى كتاب المنصف الا على مثال واحد بهذا العنوان فى سرقات المتنبى ، يقول ابن وكيع :

قال المتنبى :

غمام علينا ممطر ليس يقشع ولا البرق خلبــا حين يلمــع

(٩٥) الوساطة : ٣٢٣ •

(٩٦) السلف : الذين يتقدمون الظعن فينفضون الطريق ، أرعن : عظيم ، متعنجر : متدفق فى سيره • حاشية المنصف : ٢٩٤ •

(٩٧) المنصف : ٢٩٤ •

أخذه من قول المعتصم :

فليست جهاماً للعفاة سحابة ... وليست بروق الجود فيها بخلب

وقد قال البحترى قبلهما :

رأيتك أن منيت منيت موعداً ... جهاماً وان أبرقت أبرقت خلبا

والمتنبى يقول : هو غمام يمطر علينا العطايا دائما وليس كالغمام الذى يمطر تارة وينقشع أخرى ، واذا رجوناه بلغنا منه أولى ما نرجو ، واذا وعد أنجز الوعد ، فليس كالبرق الخلب الذى يخلف ولا مطر فيه (٩٩) •

وهذا المعنى عكس لما قاله البحترى حيث يقول:ان ما يمنى به لا يتحقق وما يعد به لا يصدق فيه فهو كالسحاب الجهام الذى لا ماء فيه ، وكالبرق الذى يلمع ولا مطر فيه •

فالبحترى يقصد الهجاء وقد جاء المتنبى فأخذ المعنى وجعله مدحا وثناء ، وهذا من أنواع السرقات المحمودة كما حكم ابن وكيع •

ولم يصرح ابن وكيع بعنوان هذا القسم الا فى المثال الذى ذكرناه ، وأورد أربع سرقات أخرى وأطلق عليها أنها من المعكوس دون أن يبين نوع العكس فيها (١٠٠) •

وبهذا القسم ينتهى حديثنا عن السرقات المحمودة التى استخرجها ابن وكيع من شعر أبى الطيب المتنبى •

---

(٩٨) المنصف : ١٧٩ •

(٩٩) ينظر شرح البرقوقى : ٢/٣٥١ •

(١٠٠) ينظر المنصف : ٣٤٠ ، ٤٤٦ ، ٥١٧ ، ٥٩٧ •

وهذه الأقسام التسعة التى قدمناها مع بعض أمثلتها هى ما تحدث عنه ابن وكيع من أقسام السرقات المحمودة فى مسيرته مع سرقات المتنبى ، وبذلك يبقى من أقسامها على حسب نظريته قسم واحد هو :

نقل ما قبح مبناه دون معناه الى ما حسن مبناه ومعناه .

ونترك الحديث فى هـذا الجانب لننتقل الى الجانب الآخر وهو السرقات المذمومة فى شعر أبى الطيب المتنبى .

ثانيا : السرقات المذمومة :

١ — نقل اللفظ القصير الى الطويل الكبير .

وهذا هو القسم الأول من السرقات المذمـومة ، وقد أدخل ابن وكيع اثنتى عشرة سرقة فى هذا القسم ، ومن ذلك قول المتنبى (١٠١):

وخفـوق قلب لو رأيت لهيبه   ياجنتى لرأيت فيـه جهنمـا

قال : أخذه من قول خالد الكاتب :

فى النـار قلبى وعينى   فى الروض من وجنتيـه

وهو من نقل اللفظ القصير الى الطويـل الكثير ، فصاحبه أحق ، لأن أبا الطيب أجمل المعنى فى الجنة والنار ولم يشرح ، وهذا قد أبان موضع النار من قلبه والجنة فى عينيه ، فهو أولى من أبى الطيب (١٠٢).

وذكر العكبرى أن بيت أبى الطيب فيه نظر الى قول ابن الدمينة:

غدت مقلتى فى جنة من جمالها   وقلبى غدا من حبها فى جهنم (١٠٣)

---

(١٠١) شرح العكبرى : ٢٨/٤ .

(١٠٢) المنصف : ١٢١ .

(١٠٣) شرح العكبرى : ٢٨/٤ .

وأرى أن بيت أبى الطيب أقرب الى قول ابن الدمينة من قـــول خالد الكاتب •

وقد عاد ابن وكيع فى موضع آخر من كتابه الى بيت خالد الكاتب هذا ، وحكم على بيت آخر لأبى الطيب بأنه مأخوذ منه ، فقـــال : قال المتنبى (١٠٤) :

حشاى على جمر ذكى من الهوى   وعيناى فى روض من الحسن ترتع

أخذه من خالد الكاتب حيث يقول :

بأى ذنب اليــه   أطــال حزنى عليــه
قالوا نراك سقيما   فقلت مــن مقلتيــه
فى النار قلبى وعينى   فى الروض من وجنتيه

وهذا من نقل القصير الى الطويل الكثير ، ومثله لبعض المحدثين :

وكأن طرفى منــه فى جنة   وكأن قلبى منه فى نـــار

وما زاد فى المعنى ما يستحقه ، والمتقدم أولى به (١٠٥) •

ولم ينظر ابن وكيع الى ما فى بيتى أبى الطيب من جمال الصنعة وجزالة الألفـــاظ ، وانما اهتم بالنظر الى المعنى وعـــدد الألفاظ التى صيغ فيها •

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى (١٠٦) :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى   مســودة ولمــاء وجهى رونق

---

(١٠٤) شرح العكبرى : ٢/٢٣٥ •
(١٠٥) المنصف : ١٧٥ •
(١٠٦) شرح العكبرى : ٢/٣٣٦ •

حذار عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق

هذا يشبه قــول القائل :

كنت أبكى دما وأنت ضجيعى حذرا من تشتت وفراق

وهذا يدخل فى نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير ، لم يبلـغ مراده الا فى بيتين ، وأتى به من سـبقه فى بيت ، فالأول أولى بما قال(١٠٧) .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى فى أول قصيدة(١٠٨) :

انى لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وان حرصت غرور

وقال بعـده :

ورأيت كلا ما يعلل نفسـه بتعلة والى الفنـاء يصـير

وهذا معنى مسـتعمل ، لفظه مستبذل ، والبيتان جميعا يدخـل معناهما فى بيت لابن الرومى وهو :

ومن يرجو مسالمة الليالى فمغرور يعلل بالأمانى

فقد جاء ابن الرومى بأوجز القليـل ، وأتى أبو الطيب به فى اللفظ الطويل ، فابن الرومى أحق بشعره(١٠٩) .

٢ ــ نقل الرصين الجزل الى المستضعف الرذل :

وهو القسم الثانى من أقسام السرقة المذمومة وقد ذكر ابن وكيع من هذا القسم اربع سرقات منها قول المتنبى(١١٠) .

(١٠٧) المنصف : ١٦٤ .
(١٠٨) شرح العكبرى :٢/١٢٨ .
(١٠٩) المنصف : ٣١٠ .
(١١٠) شرح العكبرى : ٣/١٧٢ .

أرجو نداك ولا أخشى المطال به   يا من اذا وهب الدنيا فقد بخلا

والدنيا لا يقدر البشر أن يملكوا أكثر منها ، والبخل انما يكون ممن فى يده شيء لم يسمح به ، ولا أرى لأحد ملكا على الآخرة ، فبأى شيء بخل ؟!

وهذه مبالغة مستحيلة ، أصح منها قول أبى العتاهية :

ولو كانت له الدنيا   لأعطاها وما بالى

وهذا من نقل الجزل الى الرذل على ما فيه من الاحالة .

وأجزل من قول أبي العتاهية قول ابن الحاجب :

والله لو ملك الدنيــا لما امتنعت   كفاه أن تهب الدنيا بما فيها(١١١)

فابن وكيع تناول بيت المتنبى بالنقد وبين أن فيه مبالغة مستحيلة لا يقدر على مثلها البشر ، وأثنى على بيت أبي العتاهية وبين أنه أجزل من بيت المتنبى ، وأقرب الى الواقع لخلوه عن الاحالة .

ومن هذا القسم قــول المتنبى(١١٢) :

شمس اذا الشمس لاقته على فرس   تردد النــــور فيها من تردده

قال ابن وكيــع : فقوله : على فــرس ، كلام سخيف ، ونســج ضعيف ، لأنه جعله شمسا يتردد النور فيها من تردده ما كان على فرس ، ويسقط هذا الوصف عنه عند نزوله عنه ... ولابن الرومى ما هــو أجزل من هذا ، وهو قوله :

عجبت للشمس لم تكسف لمهلــكه   وهو الضياء الذى لولاه لم تقد

---

(١١١) المنصف : ١٤٤ .

(١١٢) شرح العكبرى : ٨١/٢ .

وهذا من الأقسام المذمومة ، لأنه نقل جزلا الى رذل(١١٣) .

فبين ابن وكيع ما فى بيت المتنبى من ضعف بسبب قوله « على فرس » لأنه حشو لا فائدة منه الا اضعاف المعنى ، وأشار الى سبق ابن الرومى الى هذا المعنى مع جزالة لفظه وقوة نسجه .

٣ — رجحان كلام المأخوذ على كوم الآخذ منه .

وهو القسم السابع من أقسام السرقات المذمومة وهو كثير جدا فى سرقات المتنبى حيث ذكر منه ابن وكيع ٢٨٠ سرقة تقريبا،من ذلك قوله : قال المتنبى(١١٤) :

يا ذا الذى يهب الكثير وعنده أنى عليه بأخذه أتصدق

أخذه من زهير من أحسن لفظ ، وهو :

تراه اذا ما جئتــه متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فأتى بما لا زيادة عليه فى الحسن ، وأخذه أبو الطيب أخذا قبيحا، وجعل مكان المعطى المتصدق ، ومن شأن النفوس الأبية الفرح بالعطايا السنية فأما أخذ الصدقة فلا تفرح بها .

وهذا يدخل فى باب رجحان المأخوذ منه على من أخذ عنه(١١٥) .

فبين ابن وكيع أن المتنبى أخذه معناه من زهير ، وأن بيت زهير أرجح من بيت المتنبى ، وأظهر ما فى بيت المتنبى من ضعف ، وهو مصيب فى حكمه تمام الصواب .

---

(١١٣) المنصف : ٩٣ .
(١١٤) شرح العكبرى : ٣/٣٣٩ .
(١١٦) شرح العكبرى : ١/١١١ .
(١١٥) المنصف : ١٧١ .

ولم ينظر ابن وكيع الى ما فى بيت زهـير من جزالة الألفـاظ ، وجودة السبك ، وقوة المدح ، وهـذا كله مما يفضل بيتـه على بيت المتنبى .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى(١١٦) :

كأنها الشمس يعيى كف قابضه　　شعاعها ويراه الطرف مقتربا

هذا مأخوذ من جماعة منهم ابن عيينة ، قال :

وقلت لأصحابى هى الشمس ضوؤها　　قريب ولكن فى تناولها بعـد

وقال آخـر :

فأضحت مكان الشمس ضوؤها　　ويا بعدها عن ملمس المتناول

وقال آخـر(١١٧) :

هى الشمس يغشانى سناها وضوؤها　　ويعجز لمسى حين يطلبها لمسى

وقال البحتـرى :

دان على أيدى العفـاة وشاسع　　عن كل نـد فى الورى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضـوؤه　　للعصبة السارين جد قـريب

وأعـلى المعنى فقال :

دنوت تواضعا وبعدت قدرا　　فشأناك انحـدار وارتقـاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى　　ويدنو الضوء منها والشعاع

وجميع هؤلاء فى هذا المعنى أشعر من أبى الطيب ، لأن جميعهم جعل القرب للضوء والشعاع ، والبعد للجرم ، يقرب ضوؤها ويبعـد

---

(١١٧) فى المنصف أنه للمتنبى ، وليس له كما ذكر محقق الكتاب ينظر حاشية المنصف : ٣٩١ .

لمسها ، والضوء عــرض والشمس جرم ، واللمس لا يقــع الا على الأجســام •

وأبو الطيب تعجب من عجز القابض بشعاعها • ومن توهم أن الشعاع مما يمكن قبضه فهو مختل • وهذا من رجحان كلام المسروق منه على من أخذ عنه(١١٨) •

فابن وكيع فى هذا المثال يطلعنا على ملكته ويدلنا على قدرته فى تتبع المعانى الشعرية لدى الشعراء حيث ذكر قول المتنبى ، وبــين تداول معناه عند عدد من الشعراء ، وذكر أنهم جميعــا يفضلونه فى صــحة المعنى ، واستقامته على الحقائق العقلية ، وبذلك رجــح كلامهم على كلامــه •

وقدرة ابن وكيع على تتبع المعانى لدى الشعراء لا تظهر فى هذا المثال وحده ، ففى المنصف عشرات الأمثلة التى تثبت هذه القــدرة ، ومنها ما يدخل فى هذا القسم من السرقة كالمثال الذى سنسوقه يقول ابن وكيع : قال المتنبى(١١٩) :

تمثلوا حاتما ولو عقلوا　　　لكنت فى الجود غاية المثل

اقتصر فى التشبيه على حاتم فى معنى واحد من المدح ، وأبو تمام أشــعر منه فى قوله :

اقدام عمرو فى ســماحة حاتم　　　فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

فأتى فى ذلك بأربع صفات ، ذكر أن الممدوح يساوى فيهــا من فوقه ، ثم لم يرض بذلك حتى استدرك ذلك بأن قال :

---

(١١٨) المنصف : ٣٩١ ، ٣٩٢ •

(١١٩) شرح العكبرى : ١٧٢/٣ •

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

فهذا كلام فائق ، ومعنى رائق ، يقع كلام أبى الطيب منه بعيدا، ورجحانه لا خفاء به ، وقد قال البحترى :

لا تقيسن حاتم الجود فى الجو ... د اليه فحاتم فيه عبده

وهذا يقرب من معنى أبى الطيب ، لأنه اذا كان عنده غاية المثل فى الجود صلح أن يكون فى الجود عبده بالقياس ، فأما قول ابن الرومى :

أعطى الذى لو سيم حا ... تم أخذه يوما لهابه

فجعل حاتما يهاب أن يأخذ ما يعطيه من مدحه .

وقول أبى تمام يدخل فى رجحان الكلام المأخوذ عنه على كلام الآخذ منه ، وكذلك كلام ابن الرومى ، فهما أحق بما سبقا اليه(١٢٠) .

فبين ابن وكيع أن معنى أبى الطيب سبقه اليه أبو تمام وابن الرومى والبحترى ، ووازن بين أقوال هؤلاء الشعراء ، ورجح منها قول أبى تمام وقول ابن الرومى .

٤ ـ نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى .

وهو القسم الثامن من أقسام السرقات المذمومة فى نظرية ابن وكيع ، وقد جعل منه أربع عشرة سرقة من ذلك قوله(١٢١) :

بئس الليالى سهدت من طربى ... شوقا الى من يبيت يرقدها

---

(١٢٠) المنصف : ١٥٧ .
(١٢١) شرح العكبرى : ٢٩٨/١ .

الطرب : خفة تعترى عند الفرح وعند الحزن جميعا ، والمراد بها هاهنا الحزن ، والمعنى للبحترى فى قوله :

يكفيك أنك لم تذق ‏ ‏ سهرا وأنى لم أنم

وهذا أعذب لفظا ، وهو من نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى ، والسابق الى اللفظ الرطب والمعنى العذب أولى بما سبق اليه (١٢٢) .

فبين ابن وكيع أن المتنبى مسبوق الى هذا المعنى بالبحترى الذى استعمله فى لفظ عذب ، ثم أخذه المتنبى وجاء به فى لفظ مستكره ناب .

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى(١٢٣) :

فتى ألف جزء رأيه فى زمانه ‏ ‏ أقل جزىء بعضه الرأى أجمع

قال ابن وكيع : هذا كلام ظاهر التعسف ، بين التخلف ، وهو ينظر الى قول أبى تمام :

لو تراه يا أبا الحسن ‏ ‏ قمرا أوفى على غصن
كل جزء من محاسنه ‏ ‏ فيه أجزاء من الفتن

وهذا يدخل فى نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى ، وأبو تمام أولى بما قال(١٢٤) .

ولا ريب أن بيت أبى الطيب فيه تكلف وتعسف مما ميز عليه بيت أبى تمام .

---

(١٢٢) المنصف : ٩٨ .
(١٢٣) شرح العكبرى : ٢/٢٤٢ .
(١٢٤) المنصف : ١٧٩ .

وقد حكم الحاتمى على بيت المتنبى بأنه من غث الكلام ومستكرهه، ولم يشر الى ما فيه من سرقة(١٢٥) •

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبى(١٢٦) :

وأسعد من رأينا مستميح ينيل المستماح بأن ينالا

قال ابن وكيع : هذا البيت صعود وحدور ، وسهول وغور، معناه بيت فضله مشهور هو قول زهير :

تراه اذا ما جئته متهـللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وهذا من نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى ، ولو كان بعد أبي الطيب لاستحق قوله عليه(١٢٧) •

ه ـ نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصـير وفساد :
وهو القسم التاسع من السرقات المذمومة ولا يزيد ما ذكر منه عن مثلين أحدهما قول المتنبى(١٢٨) :

واذا سحابة صد حب أبرقت تركت حلاوة كل حب علقما

قال ابن وكيع : ليس هذا البيت من ألفاظ حذاق الشـعر ، لأن ذكر السحابة والابراق لا يليق بذكر الحلاوة والمرارة ، ولو كان قال:

واذا سحابة صـد حب أبرقت مطرت عيون العاشقين بها دما

أو ما شاكل ذلك مما يليق بذكر السـحابة والابراق ، أو كان يقول :

(١٢٥) الرسالة الموضحة : ٣٧ •
(١٢٦) شرح العكبرى : ٢٣٠/٣ •
(١٢٧) المنصف : ٥٢٧ ، ٥٢٨ •
(١٢٨) شرح العكبرى : ٢٨/٤ •

وإذا مرارة صد حب أبرقت   تركت حلاوة كل حب علقما

فجمع بين الصد والوصل ، والحلاوة والمرارة فى العلقم ، لتصح الأقسام ، ويعتدل الكلام كان أليق بصنعة الشعر ، ألا ترى أن الخبزرزى أصح أقساما منه لقوله :

ومن طاعتى اياه يمطر ناظرى   اذا هو أبدى من ثناياه لى برقا

فجاء بما يشاكل بعضه بعضا ويتعلق اللفظ به .

وهذا مما يصير على الانتقاد الى تقصير وفساد(١٢٩) .

فابن وكيع عاب بيت أبى الطيب بسبب فساد الأقسام وعدم التلاؤم بين الصفات المذكورة ، فذكر السحابة والابراق لا يتلاءم مع ذكر الحلاوة والمرارة ، واقترح تعديلا للبيت على صورة من صورتين فيهما تناسب وتلاؤم وتصحيح للأقسام ، واعتدال للكلام .

ثم بين أن المعنى مأخوذ من قول الخبزرزى الذى جاء بيته صحيح الأقسام متلائم النسج ، وذكر أن سرقة المتنبى هذه تدخل فى القسم الذى يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وفساد .

والثانى قول المتنبى(١٣٠) :

يا ليت بى ضربة أتيح لها   كما أتيحت له محمدها
أثر فيها وفى الحديد وما   أثر فى وجهه مهندها
فاغتبطت اذا رأت تزينها   بمثله والجراح تحسدها

قال ابن وكيع : هذا كلام عجيب ومعنى غريب ، وذلك أنه تمنى ضربة تقع منه مثل ضربة الممدوح ، ولا أعلم هذا مما يتمنى .

---

(١٢٩) المنصف : ١٢١ .
(١٣٠) شرح العكبرى : ٣٠٧/١ .

فان احتج محتج فقال : أراد بهذا مذهب من اذا رأى مكروهـا بانسان قال : ياليت فى ذلك دونك ؟ كما قال قائل :

أنا مذ خبرت بالعلـــة والله عليـل
ليت حماك بجسمى ولك العمر الطويل

قلنا له : هذا مستعمل لولا ما يليه من قوله : أنه أثر فى الحديد والضريبة ، ولم يؤثر فيه ، وذكر أنها مغتبطة بتزينها به ، وما لم يكسب ألما ولا شيئا فليس للصفدى منه فائدة فى الفدية ، ولا فى تمنى حمل مكروه عنه ، الا أن يكون قوله : يا ليت بى ضربة ، على وجه الحسد له على ما لم تؤثر فيه أثرا ولا أكسبته ألما ، وللضربة فيه زينة . مما اجاز له أن يحسد الممدوح على ما زين الضربة ، وهو مختار لتزينها ، فما يحسن أن ينفس عليه بما اختاره . وما أعلم أن بشرا يوصف بأن السيوف لا تستعمل ولا تؤثر فى جلده وتنبو عنه ، ولو استعمل هذا مستعمل فى وصف رجل وقح على المبالغة كان أحسن من دخوله فى المديح كما قال الشاعر :

اللئم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
لو أن حافر برذونى كأوجههم بنى الزوانى لما أنعلته أبـدا

فهذا وما أشبهه فى الهجاء أبلغ وأسوغ منه فى المديح ، وقوله : أثر فيها وفى الحديد ، احالة نذكرها ، وهو أن التأثير لا يقع الا فى الصور وانما التأثير يقع فى صورته أو صورة الحديد ، فأما أن يؤثر فى الضربة فلا يجوز ، لأن الضربة عرض فلا يصح فيها التأثير .

وهذا من القسم الذى يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وفساد(١٣١) .

---

(١٣١) المنصف : ٢ ٠١ ـ ١٠٥ .

ونلحظ أن ابن وكيع قد أطال في نقد هذا البيت وتفتيشـــه حتى يظهر ما فيه من تقصير وفساد ، واحالة في المعنى لا تصح . وهذا يدل على براعته في النقد ، وتمكنه من صنعة الشعر ، وان كانت لنا وجهـــة نظر في نقده لقول المتنبى هذا سنوردها في موضعها .

ح — أخذ اللفظ المدعى هو ومعناه :

وهو القسم العاشر من السرقات المذمومة ، ويعتبر أقبح السرقات على الاطلاق في نظر ابن وكيع وقد ذكر له ست عشرة سرقة تقريبـــا منهـــا قول المتنبى(١٣٢) .

سقى الله ابن منجية سقاني   بدر ما لراضعه فطام

قال ابن وكيع : وهذا من قول ابن الرومى :

وقالوا : ما فواضله ؟ فقلنا   عطاء ما لراضعه فطام

فهذا يقارب اللفظ المدعى هو ومعناه معا ، فهو من أقبح أقسام السرقـــات(١٣٣) .

ولما كان هذا القسم من أقبح السرقات ، تندر ابن وكيع بالمتنبى لوقوعه في مثل هذا اللون القبيح من السرقة،فقال:قال المتنبى(١٣٤):

غصن على نقوى فلاة نابت   شمس النهار تقل ليلا مظلما

وقال ديـــك الجن :

دعص يقل قضيب بان فـــوقه   شمس النهار تقل ليلا مظلما

فأخذ بيت ديك الجن بكماله ، وهذا هو اللفظ المدعى هو ومعنـــاه

(١٣٢) شرح العكبرى : ٧٤/٤ .
(١٣٣) المنصف : ٤٠٦ .
(١٣٤) شرح العكبرى : ٢٨/٤ .

معا ، ومع ذلك فتقسيم السابق أصح ، لأنه ذكر من آخره الى أوله على ترتيب صحيح ، فبدأ بردفه ، وقده ، ووجهه ، وشعره ، وهذا بدأ بقده ثم بردفه ثم رجع الى وجهه وشعره،فترتيبه مخلط وان كانت شجاعته التى يذكرها عن نفسه فى اللقاء كشجاعته على سرقة هذا البيت ، انه لشجاع(١٣٥) •

فبين أن المتنبى أخذ اللفظ والمعنى من ديك الجن ، وأظهر ما فى بيت المتنبى من خلط فى الترتيب والتقسيم ، وتندر بالمتنبى وتهكم به بسبب وقوعه فى هذه السرقة القبيحة ، فعيره بادعائه الشجاعة فى لقاء الأعداء ، ولو كانت شجاعته فى لقائهم بلغت مبلغ شجاعته فى سرقة هذا البيت لكان شجاعا حقا ، وكفى بهذا سخرية •

واستعمل ابن وكيع هذا الاسلوب الساخر فى عرضه لمثال آخر من هذه السرقة القبيحة فقال : وقال المتنبى :

كفل الثناء له برد حياته   لما انطوى فكأنه منشور

وهذا يدخل فى اللفظ المدعى هو ومعناه معا ، وقد كان يدعى الشجاعة ، ولم تظهر لى منه الا على الشعراء ، فانهم موتورون ، وفى ألفاظهم مساوبون ، قال أبو فراس الحمدانى وقد جرى ذكر المتنبى : ما رأينا له بياض سيف قط فى غزاة ، ولكنه كان شجاع اللفظ(١٣٦) •

فنرى كيف تهكم ابن وكيع وسخر من المتنبى من جراء وقوعه فى مثل هذا النوع القبيح من السرقة ، وما كان يليق به وهو الشاعر الفحل أن يقع فى مثل هذا •

---

(١٣٥) المنصف : ١٢٣ •
(١٣٦) السابق : ٣١٣ •

وقد شاع الحكم بسرقة هذا البيت عند كثير ممن ألفوا في سرقات المتنبى(١٣٧) وهذا يدل على ظهور سرقته له وانكشاف أمرها •

وبلغ من سخرية ابن وكيع بأبى الطيب أن جعله يستحق القطع على مثل هذه السرقة ، فقال : قال المتنبى(١٣٨) :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدوا له ما من صداقته بد

سرق لفظه سرقة قبيحة يستحق عليها القطع ، وذلك قول اسحاق ابن ابراهيم الموصلى :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدوا فيرضى أن يقول : صديق

ولفظ اسحاق أوضح ، لأن معناه : يرضى أن يسميه — اذا سئل عنه — صديقا ، وتلك التسمية هى المداجاة (١٣٩) •

وأرى أن بيت المتنبي أقوي من بيت اسحاق علي الرغم من السرقة الظاهرة •

وقد سخر « ابن وكيع » من المتنبى على وقوعه في هذا النوع من السرقة فى مواضع أخرى(١٤٠) ، وهذا يدل علي مدي قبح هذا القسم من السرقات فى نظره •

وقد أشار الحاتمى فى رسالته الي هذه السرقة ولكنه لم ينسب

---

(١٣٧) ينظر : الابانة : ٣٦ • والوساطة : ٣٤٠ ، وشرح العكبرى ١٣١/٢ ، والصبح المنبى : ٢٩٢ •

(١٣٨) شرح العكبرى ٣٧٥/١ •

(١٣٩) المنصف : ٦١٠ •

(١٤٠) ينظر السابق : ٣٤٦ •

البيت الى اسحاق الموصلى كما ذكر أبياتا أخرى تناولت هـذا المعنى لابن المبارك والمريمى(١٤١) •

٧ — حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه •

وهو القسم السادس من السرقات المذمومة ، ولم يذكره ابن وكيع فى سرقات المتنبى بنفس هذا العنوان ، ولكنه درج على أن يقـول : زاد فلان فى كلامه ما هو من تمامه ، وهذا يعنى أن أبا الطيب حـذف من كلامه ما هو من تمامه ، أو لم يذكر فى كلامه ما هو من تمامه،وهذا هو القسم المذكور • وقد ذكر أربعا وعشرين سرقة من هذا القسـم ومنها قول المتنبى(١٤٢) :

والشمس فى كبد السماء مريضة والأرض واجفة تكاد تمور

قال ابن وكيـع : فخبر بمـرض الشمس ورجيف الأرض • قال ابن الرومى :

عجبت للأرض لم ترجف جوانبها وللجبال الرواسى كيف لم تمـد
عجبت للشمس لم تكسف لمهلـكه وهو الضياء الذى لولاه لم تقد

فتعجب ابن الرومى أصدق من اخبار أبى الطيب بكون ذلك•وفى بيت ابن الرومى معنى مليح من قوله : وهو الضـياء الذى لولاه لم تقد • وقد زاد فى كلامه ما هو من تمامه فهو أولى بشعره(١٤٣) •

واذا كان ابن وكيع نظر الى زيادة ابن الرومى وفضل شعره بها ، فقد فاته أن ينظر الى ايجاز المتنبى واتيانه باللفظ الطويل فى الموجز القليل ، مع الاستعارة الجيدة فى كبد السماء •

---

(١٤١) الرسالة الموضحة : ١٣٥ •
(١٤٢) شرح العكبرى : ٢/١٣٠ •
(١٤٣) المنصف : ٣١١ ، ٣١٢ •

ومن أمثلة هذا القسم قول المتنبي(١٤٤) .

سقيته عبرات ظنها مطرا ... سوائلا من جفون ظنها سحبا

قال ابن وكيع : الربع لا ظن له ولا يقين ، ولكنها استعارة ، والمعنى من قول أبي تمام :

مطر من العبرات خدى أرضه ... حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

فذكر الدموع وموقعها ، وأين تقع . فوفى الكلام أقسامه ، ولم يذكر أبو الطيب الا العبرات والجفون ، فدل على المورد ولم يذكر المصدر . وهذا ذكر المورد والمصدر فرجح كلامه ، وزاد في المعنى ما هو من تمامه(١٤٥) .

ومن أمثلته قول المتنبي(١٤٦) :

لهون المال أفرشه أديما ... وللتفريق يكره أن يضيعا

أى لهوانه عليه بسطه تحته أنطاعا ليهينه على عفاته وطالبى عرفه . وقوله : وللتفريق يكره أن يضيعا . أى لأنه يكره ضياع المال ليس لادخاره لنفسه ، ولكنه يجمعه ليفرقه كما قال ابن الجهم :

ولا يجمع الأموال الا لبذلها ... كما لا يساق الهدى الا الى النحر

فخبر بنظير خبر أبي الطيب بكلام سهل ولفظ جزل ، ثم مثل المال بالهدى الذي يعني بسوقه الى النحر ، فزاد في كلامه ما هو من تمامه، واستحق شعره على من أخذ عنه(١٤٧) .

---

(١٤٤) شرح العكبرى : ١/١١٠ .
(١٤٥) المنصف : ٣٨٨ .
(١٤٦) شرح العكبرى : ٢/٢٥٤ .
(١٤٧) المنصف : ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

وقد نظر ابن وكيع الى التشبيه الزائد فى بيت ابن الجهم ، ولم ينظر الى الشطر الأول فى بيت المتنبى ، ومعناه غير موجود فى بيت ابن الجهم فكل منهما انفرد فى بيته بمعنى ليس عند الآخر • ومع هذا فلا ننكر أفضلية بيت ابن الجهم على بيت المتنبى بجزالته وجودة مضمونه •

وبهذا القسم ينتهى حديثنا عن سرقات المتنبى المذمومة التى استخرجها ابن وكيع حسب نظريته • ومما قدمناه نرى أنه ذم المتنبى بسبعة أنواع من السرقة •

نظرات فى تطبيقات ابن وكيع :

١ ـ احصاء أنواع السرقات :

رأينا فيما سبق تطبيقات ابن وكيع لنظريته على سرقات المتنبى ، وقد قمنا باحصاء قريب من الدقة لشعر المتنبى فى كتاب المنصف جاء على النحو التالى :

ذكر ابن وكيع فى كتابه حوالى ١٠٨٥ بيتا من شعر المتنبى موزعة كما يلى :

٣٥٢ بيتا من السرقة المحمودة مفصلة على تسعة أقسام :

١ ـ مساواة الآخذ والمأخوذ منه فى الكلام	١٨٣ سرقة
٢ ـ استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القليل	٤٧ سرقة
٣ ـ رجحان السارق على المسروق منه	٤٣ سرقة
٤ ـ استخراج معنى من معنى احتذى عليه	٤٠ سرقة
٥ ـ مماثلة السارق المسروق منه فى كلامه	١٦ سرقة
٦ ـ نقل اللفظ الرذيل الى الرصين الجزل	١٠ سرقات

٧ ــ توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق ٦ سرقات
٨ ــ عكس المعنى ٥ سرقات
٩ ــ توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات سرقتان

٢٨٠ بيتا من السرقة المذمومة مفصلة على سبعة أقسام :

١ ــ رجحان كلام المأخوذ عنه على كلام الآخذ منه ٢٠٨ سرقة
٢ ــ حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه ٢٤ سرقة
٣ ــ أخذ اللفظ المدعى هو ومعناه ١٦ سرقة
٤ ــ نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى ١٤ سرقة
٥ ــ نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير ١٢ سرقة
٦ ــ نقل الرصين الجزل الى المستضعف الرذل ٤ سرقات
٧ ــ نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وفساد سرقتان

٢٦٤ بيتا لم يبين نوع سرقتها ، واكتفى ببيان الأصل الذي أخذت عنـــه .

١٦١ بيتا لم يذكر أنها مأخوذة من أحد ولم يشر فيها الى سرقة.

٢٨ بيتا ذكر أن معانيها فارغة لا تستحق النظر فيها ولا بيان سرقتها .

وقد اهتم عموما بنقد الأبيات التى ذكرها وبين ما فيها من عيوب غطت بكثرتها على الحسنات القليلة التى أشار اليها .

وانما قلنا ان هذا احصاء تقريبى لصعوبة عمل احصاء تام الدقة عن الكتاب نظرا لأن ابن وكيع يذكر فى بعض المواضع بيتين أو أكثر للمتنبى ، وتكون السرقة فى بيت واحد منها . ولعدم التزامه فى بعض الأحيان بنفس العناوين التي وضعها في نظريته ، واســتعماله بعض

الألفاظ التى يصعب معها تمييز نوع السرقة ، كأن يقول : لفظه أعذب، ومعناه أرطب ، وهذا أرجح وأجزل ونحو هذا •

وتخريجه بعض أبيات المتنبى على نوعين من السرقات ، على حسب مشيئة الناظر فى السرقة(١٤٨) • وجعل بعضها مسروقا من شاعرين مع اختلاف نوع السرقة بالنسبة الى كل منهما وعلى سبيل المثال فى قول المتنبى(١٤٩) :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى مسودة ولماء وجهى رونق
حذرا عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق

يقول ابن وكيع : هذا يشبه قول القائل :

كنت أبكى دما وأنت ضجيعى حذرا من تشتت وفراق

وهذا يدخل فى نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير ••• ويشبه قول ابن الأحنف :

قد كنت أبكى وأنت راضية حذرا من الصدود والغضب
ان تم ذا الهجر يا ظلوم — ولا تم — فمالى فى العيش من أرب

وهو مما احتذى عليه وان فارق ما قصد به اليه (١٥٠) •

فجعل قول المتنبى بالنسبة الى قول الأول من السرقة المذمومة ، لأنه من نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير • وبالنسبة الى قول ابن

---

(١٤٨) ينظر المنصف : ٢٠٦ وينظر قسم نقل الطويل الى القصير فى السرقات المحمودة فى هذا الفصل •
(١٤٩) شرح العكبرى : ٣٣٦/٢ •
(١٥٠) المنصف : ١٦٤ بتصرف يسير •

الأعنف من السرقة المحمودة ، لأنه من قبيل استخراج معنى من معنى احتذى عليه ، وان فارق ما قصد به اليه .

وعلى الرغم من أن هذا الاحصاء تقريبى الا أنـه يدلنا على أن أكثـر سرقات المتنبى من الأنواع المحمـودة وأقلهـا من الأنـواع المذمومة .

٢ ـ الحكم فى القضية قبل نظرها :

كان الانصاف يقتضى من ابن وكيع أن يبدأ معركتـه مع المتنبى خالى الذهن من الأحكام المسبقة ، لكنه بدأها وذهنه مطبق على حـكم روجه خصوم المتنبى وقد اقتنع به وعمل على اثباته وهو أن المتنبى كثير السرقات ، وأكثر شعره مسروق ! ؟

يدلنا على ذلك : أنه من أول سطور خطها فى مقدمة كتابـه وهو ينـفى بشدة أن يكون المتنبى قد سـلم من السرقة ، ويرد على من يدعون : أنه ليس له معنى نادر ولا مثل سائر الا وهو من نتاج فكره، فيقول:وهبنا أغضينا لهم عن تفضيلهم اياه على من لا يشق غباره،ولا يعشر مقداره ، مع علمنا فى ذلك أن مذهبهم أوضح فسادا من أن نطلب لهم المعارضة ، أو نتكلف من أجلهم المناقضـــة ، فكيف بالاغضاء عن نفيهم عنه ما لا يسلم منه بدوى أو حضرى ، جاهلى أو اسلامى ، من استعارة الألفاظ النادرة ، أو الأمثال السائرة ، واذا كانت الألفـاظ مستعملة فى جميع أشعار الناظمين من القدماء والمحدثين ،وسلمنا لهم نفيهم عن أبى الطيب ذلك ، كنا قد سلمنا لهم أنه أفضل أهل الشعـر فى كل أوان وعصر ؟ ! وهذه دعوى لابد من كشف أسرارها واظهارهـا وهى بالعناية أولى من الأولى ، لأن تلك دعوى خصت طائفة ، وهـذه تعم جميع القائلين من الأولـين والآخرين ، ولقـد ادعى قائلها افكا

واسعا ... لأنه ادعى وقوع جميع الشعراء فيما سلم أبو الطيب منه ، ... وهذه صفة تتجاوز الصفات وتكاد تشبه المعجزات .. (١٥١) .

فبين أنه ان أغضي لأنصاره عن تفضيلهم اياه على غيره من الفحول مع علمه ببطلان ذلك وفساده ، فلا يمكن أن يغضى لهم عن دعواهم سلامة شعره من السرقات ، فهي افك واسع ، يجب كشفه واظهاره .

ولا ينتظر ابن وكيع الى أن يكشف بطلان هذه الدعوى بالبراهين، بل يجهر برأيه عقيب قوله السابق فيجعله قد بلغ فى السرقة مبلغا كبيرا وتكامل فى هذا العيب كمالا لم يلحقه أحد فيه ، فيقول : ثم لا يرضى مقرظ أبى الطيب حتى يدعى له السلامة الكاملة من عيب لم يتكامل فى أحد قط تكامله فيه ، وأني له بالسلامة من ذلك ، وقد جاء على ساقة أهل الشعر ، بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ونفعه وضره ؟! وهذا الظلم الواضح ، والافك الفاضح (١٥٢) .

فاذا ما تقدمنا مع ابن وكيع بضع صفحات فى كتابه ، وهو لا يزال فى مقدماته رأيناه يذكر أبياتا لابن الرومى فى ذم البحترى بالسرقة ويعلق عليها قائلا : انظر الى استشناع ابن الرومى من سرقة البحترى، ومطالبة من له قدرة بعقوبته أو قتله عليها ، والى أنس أبى الطيب بها حتى غلبت على شعره ؟ (١٥٣) .

فيحكم على المتنبي بأنه يأنس بالسرقات ، ويستريح لها ، ومن ثم غلبته على شعره فأصبح أكثره مسروقا .

---

(١٥١) المنصف : ١ ، ٣ .
(١٥٢) السابق : ٤ .
(١٥٣) السابق : ٤٦ .

ويقـارن بين سرقات البحترى وسرقات أبى الطيب أثر قولـه السابق فيقول : والشاعر الذى لم يرض له ابن الروهى الا بالقتـل والصلب ، ذكر محمد بن الجراح أنه ذكر له أحمد بن أبى طاهر : أنه أخرج له ستمئة بيت سرقة ، منها أربعمائة بيت للطائى ، فافتخر أحمد أنه قدر على اخراج مثل ذلك واستكثره ، وشعر البحترى أكثر ، فليت أبا الطيب رضى بمثل هذه العدة من السرقة،ولكنه ظن أنه لا يهتدى الى استخراج ما قال من السرقة غيره ، وأن سـارق الشعر يسـتحقه بالسرقة (١٥٤) •

فأشار الى أن أحمد بن طاهر استكثر سـتمائة بيت مسروقة فى شعر البحترى وشعره أكثر ، ولكن أبا الطيب لم يقنع بمثل هذا العدد من السرقة ، وظن أن سرقته ستخفى على غيره ، وأنه بسرقته للشـعر يستحقه •

ويعرض لبعض سرقات أبى نواس ، ويذكر أن السرقة تبطل فضيلة الاحسان ويقول : وان كانت قد سهلت على أبى الطيب حتى كثرت فى شعره (١٥٥) •

فهذه النصوص التى سقناها ذكرها ابن وكيع فى مقدمات كتابه من قبل أن يعرض لشعر المتنبى بالتحليل والنقد ، وقد حكم عليه فيها بأنه كثير السرقات ، يأنس بها ويستريح لها ويستسهلها حتى ملأت شعره وغلبت عليه ، وهذا دليل واضح على أنه بدأ معركته مع المتنبى غـير متجرد من الملابسات التى تعوق مسيرة الانصاف ، اذ بدأها وهو مسلم بالحكم الذى يريده ويهدف اليه من رحلته مع شعر المتنبى ، غير منتظر

---

(١٥٤) المنصف : ٤٦ •

(١٥٥) السابق : ٤٨ •

لنتيجة يصل اليها دن تفخل شعرة وتتبع مصادره ، كما تقتضى قوانين العدالة وقواعد الحكم •

ويخطر ببالنا سؤال • أكان ابن وكيع يشك فى شعر المتنبى كلـــه وينسبه الى السرقة ؟

ويجيبنا ابن وكيع على هذا السؤال نافيا عن نفسه ذلك فيقول : على أننى لا أقضى على أبى الطيب بأن جميع كلامه مسلوب ، ولا كل فضله مغصوب (١٥٦) •

ولكنه يتبع ذلك بقوله : واذا جاء البيت الذى لم يبلغنى من أين أخذه مما يستحسن سلمته اليه ، حتى يوجد له استخراج سرقة (١٥٧)•

وهذا يوحى بشكه فى بعض دا يسلمه له من أبيات مستحسنة لـــم يبلغه من أين سرقها ؟ ومن ثم فهو على أمل أن يوجد لها اســـتخراج سرقة •

ونرى ما يدعم هذا فى تعليقه على قول المتنبى (١٥٨) :

ولو لم يعـــل الا ذو محل　　تعالى الجيش وانحط القتام

اذ يقـــول : هذا المعنى لم يبلغنى من أين أخـــذه ، ولكن فتحه له ابن الرومى بقوله :

يا زمنا عكست أحـــكامه　　فسروج الخيل تعلوها اللبود

فقوله : هذا المعنى لم يبلغنى من أين أخذه،يكاد ينطق بما فى نفس ابن وكيـــع من أن بيت المتنبى مسروق ؛ ولو لم يصرح بهـــذا وصرح بخلافـــه •

(١٥٦،١٥٧) السابق : ٤٨ •

(١٥٨) شرح العكبرى : ٤/٧٢ •

٣ ـ عدم تسمية المسروق منه :

دأب ابن وكيع فى كثير من المواضع على عدم تسمية المسروق منه ، فنراه يذكر بيت المتنبى ويعلق عليه ان كان له تعليق ، ثم يقول : وهذا مأخوذ من قول القائل ، أو أخذه من قول بعض المحدثين ، أو هذا مثل قول الأول ، أو مأخوذ من قول الشاعر ، أو قال بعض أهل البادية ، أو هو يشبه قول القائل ، أو هذا من قول بعض الأعرابيات (١٥٩) ، وما أشبه هذا من عبارات من غير أن يذكر اسم القائل .

ويقف أمام بعض أبيات المتنبى قائلا صدر هذا البيت من قول القائل ، وعجزه من قول القائل ، دون أن يسمى واحدا من القائلين ، وعلى سبيل المثال ، فى مطلع قصيدة المتنبى (١٦٠) :

نرى عظما بالبين والصد أعظم   ونتهم الواشين والدمع منهم

يقول ابن وكيع : صدره من قول القائل :

شكوا بالصـدود هجاء الفراق   فأنسى الجوارح نار الصدود

وعجزه من قول القائل :

فان يك سر قلبك أعجميا   فان الدمع تمام فصيح

ذكر أبو الطيب أن الدمع من الوشاة به ، والواشى والنمام بمعنى واحد ، ولكنه قد اختصر من الكلام الطويل ما جاء به فى الموجز القليل، واكتفى ببيت من بيتين فهو أولى بما أخذ (١٦١) .

---

(١٥٩) تنظر هذه العبارات على الترتيب فى المنصف : ٩٧ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ٣٠٥ ، ٤٠٥ وهذا قليل من كثير يجـده القارىء للمنصف .

(١٦٠) شرح العكبرى : ٨١/٤ .

(١٦١) المنصف : ٤٤١ ، ٤٤٢ .

وحكم ابن وكيع فيه تحامل واضح ، فالتشابه بين معنى بيت المتنبى ومعنى البيتين بعيد ، وليس هذا من غرضنا الآن ، فقد سقنا المثال شاهدا على عدم ذكر اسم المسروق منه ، ولكى يكون الحكم حقيقا والكلام موثوقا به كان على ابن وكيع أن يسمى الشاعر المسروق منه ، ولا يتهاون فى هذه الناحية ، ليطمئن القارىء الى صحة دعواه اذا ما عرف اسم القائل ، وسبقه الزمنى للمتنبى •

أما دعوى السرقة من غير تعيين المسروق منه ، فتحمل فى طياتها بواعث الشك فيها ، حينما يسائل القارىء نفسه • ومن القائل ؟ ومن أى عصر هو ؟ أسابق على المتنبى أم معاصر له أم متأخر منه؟ وما المانع أن يكون البيت مصنوعا لغرض اثبات السرقة وفضح السارق ؟ وما أشبه هذا من تساؤلات •

وقد رفض ابن وكيع رأى ابن قتيبة حين ذكر أبياتا لبعض الأغفال وأشار الى أن أبا نواس أخذ منها وقال : ان من جهل قائله جهل زمانه، والأجمل أن تكون الأبيات لمتأخر أخذ من أبى نواس (١٦٢) •

فأنكر حكم ابن قتيبة ودافع عن أبى نواس بحجة أن قائل الأبيات مجهول ولا يعرف زمانه وقد يكون متأخرا عن أبى نواس ، وليته طبق هذا القياس على سرقات المتنبى التى لم يشر الى قائلها ولم يدلنا على تقدم زمانه أو تأخره ، على أنه من الانصاف أن نشير الى أنه شك فى سرقة دله عليها بعض خصوم المتنبى لعدم ثقته فى روايته للبيت المسروق ، ففى قول المتنبى :

كأن العيس كانت فوق جفنى ... مناخات فلما ثرن سالا

(١٦٢) المنصف : ٤٠ •

يقول : ... وقد أنشد بعض المتعصبين على أبى الطيب بيتا زعم أنه لمتقدمى الزمان ، لم يذكره لى قال :

ان الجمال على جفونى برك   فاذا أثرن أقمت المحبوسا

ولست على ثقة من روايته لظهور عصبيته ، فان كان صادقا فقول أبى الطيب أحسن لأن مبناه أعذب ومعناه أصــوب ... (١٦٣) وهذا الموقف وان كان من حسنات ابن وكيع الا أنه يدل على أن خصــوم المتنبى ربما اختلقوا شعرا لم تثبت روايته للتشنيع عليه بالسرقة ، لذا كان على ابن وكيع ألا يذكر البيت الا منسوبا لقائلة ، فكثير من الأبيات التى لم ينسبها ابن وكيع لم يهتد محقق الكتاب الى قائليها ، على الرغم من كثرة مصادره وتنوع مراجعه ، مما يعزز التساؤلات السابقة .

وقد يعثر محقق الكتاب على مصدر ذكر فيه البيت غير منسوب ، مع وجود اختلاف فى روايته عن رواية ابن وكيع . وعلى سبيل المثال، فى قول المتنبى(١٦٤) :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل   لــولا مخاطبتى اياك لم ترنى

ويقول ابن وكيع : أخذه من قول القائل :

ترى ضنى لم يدع منى سوى شبحى
لو لم أقل ها أنا للنــاس لــم أبن

ولا فرق بين اللفظين والمعنيين ، وهذا من باب مساواة الآخــذ المأخوذ منه ، وصاحب الـبيت الأول أولى به ، وقد قال آخر :

ها فانظرونى سقيما بعد فرقتكم   لو لم أقل ها أنــا الناس لم أبن

---

(١٦٣) السابق : ٥١٣ ، ٥١٤ .
(١٦٤) شرح العكبرى : ١٨٦/٤ .

فلو أن ابرأة رفـــاء أكلفهــا   جريت فى ثقبها من دقة البدن (١٦٥)

فذكر ابن وكيع بيتا لقائل ، وبيتين لقائل آخر ، ولم يسم واحدا منهما ، فاذا ما نظرنا الى حاشية المحقق وجدناه يقول : ان البيت المفرد والبيت الأول من البيتين وردا على أنهما قطعة واحدة فى كتاب «الموشى» مع اختلاف فى الرواية ، ثم قال : جاء فى « الموشى » فى باب ما وجد على الزنانير والتكك والمناديل : كفتبت « سلم » جارية « لمم » الى فتى كانت تحبه فى منديل دبيقى بالذهب :

ها أنا يسقطنى للبـــلى   عن فرشى أنفاس عوادى
لو يجد السلك على دقة   خلقا لأضحى بعض حسادى

فكتب اليها فى منديل آخر :

لا تسألى كيف حالى بعد فرقتكم   ها فانظرى وأجيلى طرف ممتحن
ترى بلى لم يدع منى سوى شبح   لو لم أقل: هاأنا للناس لم أبن (١٦٦)

أبلغ الهوان بالمتنبى أن يسرق شـــعره مما كتب على المناديـــل والتكايا ؟؟ .. ان أبياتا مصدرها المناديل المتبادلة بين حبيبين مجهولين لا ندرى كيف يسرق منها المتنبى معناه !! أكان عامل بريد ينقل الرسائل المنديلية بين المحبين ، أم وجد المناديل ملقاة على قارعة الطريق؟؟! .

٤ ــ التعبير بما يدل على عدم قطعه بالسرقة :

كثيرا ما يستخدم ابن وكيع فى تعبيره عن السرقة عبارات تدل على ضعف دعوى السرقة ، وتشير الى عدم تحققه من وقوعهـــا ، كقوله : هذا البيت يقرب من قول فلان ، وهذه أبيات متقاربات فى المعنى ، وهذا

(١٦٥،١٦٦) المنصف : ٩١ .

يشبه قول فلان ، ونبهه على هذا المعنى فلان ، وهو ينظر الى قول القائل ، وألم فى بيته بمعنى فلان ، ومما يشبه ذلك (١٦٧) .

وقد يستعمل فى بعض المواطن « كأن » الدالة على الشك وعدم التيقن ، ففى قول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

يقول ابن وكيع : يشبه قول ابن الرومى :

قد عودوا مس الهوا   ن فكلهم بهج بمسه

وكأن عجزه ينظر الى قول البحترى :

أقول : أزيد من سقم فؤادى   وهل يزداد من قتل قتيل !؟(١٦٨)

فجعل قول المتنبى يشبه قول ابن الرومى ، وهذه عبارة واهنة فى الدلالة على السرقة ، وجعل عجزه كأنه ينظر فيه الى قول البحترى، وهى عبارة أوهن من سابقتها ، وكل من العبارتين تدل على عدم قطع ابن وكيع بالسرقة .

وقد تغاضى ابن وكيع عما فى بيت المتنبى من الجزالة والقوة والاعتدال لفظا ومعنى وصياغة ، وكان الجدير به أن يشير الى هذا ، والبيت من أمثاله السائرة ، ومن ثم قال فيه العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ولو خرس بعده لكفاه (١٦٩) .

---

(١٦٧) تنظر هذه العبارات فى المنصف : ١٠١ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٣٨٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ . وغيرها .

(١٦٨) المنصف : ٥٦٩ ، وينظر : ٤٣٧ .

(١٦٩) شرح العكبرى : ٤/٩٤ .

ودليلنا على أن هذه التعبيرات تشير الى ضعف دعــوى السرقة وعدم قطعه بها ثلاثة أمور :

١ ــ ما ذكره فى قول المتنبى :

ان كان لا يدعى الفتى الا كذا   رجلا فسم الناس طرا اصبعا

حيث قال : ••• وقد ذكر بعض النحويين أنه مأخوذ من قول العجاج :

او كان خلق الله جنبا واحــدا   وكنت من جنب لكنت زائــدا

وكان ينبغى أن يقول : ينظر الى قول العجاج • وأظنه توهم أن مقصد العجاج جنب الانسان فقال : جنبــه واصــبعه جزء منه ، وما أحسب أنه مقصده ، وانما مقصده : لو كان خلق الله فى جنب واحد من الأرض ، وكنت فى جنب آخر لكنت زائدا عليهم ••• (١٧٠) •

فالندوى ــ ولعله ابن جنى فكثيرا ما يتعقبه ــ عبر عن السرقة بقوله : مأخوذ من قول العجاج ، ولما كان المعنيان متباعدين مما يشير الى عدم الأخذ عليه ابن وكيع على هذه العبارة ، وقال : كان ينبغى أن يقول : ينظر الى قول العجاج • وهذا دليل على أن تعبير ابن وكيــع عن السرقة يختلف تبعا لقوتها أو ضعفها •

٢ ــ أنه حينما يعبر بهذه العبارات يكون التشابه بين الأبيات ضعيفا، أو غير موجود الا بتمحل شديد ، كما نرى فى المثال السابق ، وكما فى قول المتنبى :

هو البين حتى ما تأنى الحــزائق   ويا قلب حتى أنت ممن أفــارق

اذ يقول ابن وكيع : عجزه يشبه قول العباس بن الأحنف :

تفرق قلبى من مقيم وظاعــن   فلله درى أى قلبى أتبــع

---

(١٧٠) المنصف : ٤٦٠ ، ٤٦١ •

ويقرب من قول القائل :

كأن أرواحنا لم ترتحل معنا
أوسرن فى أول الحى الذى سارا (١٧١)

وبيت المتنبى مطلع قصيدة فى مدح الحسين بن اسحاق التنوخى، والحزائق : الجماعات ، والمعنى : البين هو المفرق كل واحد ، حتى لا تتمهل الجماعات أن يتفرقوا اذا جرى فيهم حكمه ، ثم خاطب قلبه بقوله : يا قلب كل أحد يفارقنى حتى أنت (١٧٢) .

والتشابه بعيد بين بيت المتنبى والبيتين الذين ذكرهما ابن وكيع ، وقد عبر عن السرقة بقوله : يشبه ويقرب ، وكأنه غير مقتنع بوقوع السرقة .

وفى قول المتنبى (١٧٣) :

والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

يقول ابن وكيع : ينظر الى قول أبى تمام :

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل ولكن يرى أن العيون المقاتل

وينظر أيضا الى معنى أبى الطيب قول أبى تمام :

مثل الموت بيت عينيه والعا ر وكلا يراه خطبا عظيما
ثم سارت به الحمية قدما فأمات العدا ومات كريما (١٧٤)

---

(١٧١) المنصف : ٣١٩ .
(١٧٢) ينظر شرح العكبرى : ٣٤١/٢ .
(١٧٣) شرح العكبرى : ٢٤٢/٣ .
(١٧٤) المنصف : ٣٥٨ .

والمتأمل فى الأبيات يرى أنه لا تشـابه بينها ، والحكم بالسرقة هنا لا دليل عليه ، ومن ثم عبر ابن وكيع عنها بقوله « ينظر » ، وكأنه به يسخر من المتنبى حين جعل قول أبي تمام الثـانى ينظـر الى قول المتنبى .

٣ ـ أنه حينما تكون دعوى السرقة قوية للتقارب الجلى بين الأبيات يستخدم عبارات صريحة فى التعبير عن السرقة كقوله : سرق هذا من فلان ، أو أخذه من فلان ، أو أخذ فضح وغصب واضح ، أو هذه سرقة توجب القطع ، أو هذه الأبيات تتساوى فى المبنى والمعنى (١٧٥) ... وما أشبه ذلك .

وما قلناه من أنه يعبر عن السرقة تارة بعبارات صريحة ، وأخرى بعبارات غير صريحة تبعاً لدرجة السرقة ليس منهجا صرح ابن وكيع بالتزامه ، ولكنه خط غلب فى كتابه .

وكان ينبغى على ابن وكيع عدم ذكر السرقة ما دامت غير ثابتـة لديه ، وشواهدها ضعيفة .

٥ ـ سرقة المتنبى من الطائيين وانكاره ذلك :

اهتم ابن وكيع بابراز سرقات المتنبى من أبى تمام والبحترى : وذلك ردا على ما نسب اليه من انكاره معرفتهما ، وروى مقولة بلغته عن المتنبى ينكر فيها معرفة أبى تمام وأطال فى تفسيرها ، وعلق عليها تعليقات ساخرة فقال : قد عرفنى من أثق به من أهل الأدب أنه قيل له أنت تأخذ من شعر أبى تمام ، فقال : قلت الشعر وما أعرف أبا تمام ؟ وهذا الكلام يحتمل الصدق ، لأنه ذكر أنه قال الشعر فى المكتب وهو

---

(١٧٥) ينظر المنصف : ١٥٨ ، ١٧٥ ، ٢٣٥ ، ٣٦٤ ، ١٧٦ وغيرها

صبى ذو وفرة ... فغير منكر أن يحركه طبعه على قول شيء من الشعر وهو لا يعرف الشعراء ، ثم يعرفهم ويأخذ من معانيهم ، فما فى كلامه براءة مما اتهم به اذ تؤول على هذا التأويل .

فان جوز متعصب أن يكون معنى كلامه : قلت الشعر وما أعرف أبا تمام من قلته الى وقتى هذا . قلنا له : اذا تأولته على هذا المعنى كان أول كلامه غث العبـارة ... وكان يكفى منه أن يقول : ما أعرف أبا تمام ... وافكه فى انكار أبى تمـام واضـح ، ودليل بهته لائح لأمرين :

أحدهما : ما أورده من المعانى الكثيرة التى أخذها من شعره ، ولا يجوز مع تواترها وتوافرها أن يدعى فيها اتفاق الخواطر ، ولا تساوى الضمائر ، لأن ذلك ينساغ فى اليسير ، ويمتنع فى الكثير .

والآخر : أن أبا تمام قد أعطى من اشتهار الاسم فى الخاصة مثل ما أعطى من اشتهاره فى العامة ، وهو اشتهار لا يجوز أن يظن بمتأدب جهله .

أفترى أبا الطيب ما جالس المتأدبين ولا دخل سـوق الوراقين فيسمع خبره على الألسن مشهورا وفى الكتب مذكورا ؟! هذا خارج عن الحق . مباين للصدق ... ولو كان قال : ما قرأت شعر أبى تمام لكان « قرأت » أمكـن من « عرفت » لأنه يمكن ألا يقـرأ ، ولا يمكـن الا يعرف ... (١٧٦) .

كما روى عن أبى الطيب خبرا يتعلق بالبحترى ، وعلق عليه تعليقا ساخرا ، ففى قول المتنبى (١٧٧) :

---

(١٧٦) شرح العكبرى : ٢/٢٥٥ .

(١٧٧) المنصف : ١١٣ ، ١١٤ .

لذا أعــوج القنا فى حامليه   وجاز الى ضلوعهم الضلوعا

يقول : ... وكان أبــو الطيب يقول : كنت قلته :

« وأشبه فى ضلوعهم الضلوعا »

ثم أنشدت بيتا لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه . والمحـــدث الذى ذكره هو البحترى والبيت الذى قيل له قوله :

فى مأزق ضـــنك تخال به القنــــا   بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

فاما أن نقبل حكاية أبى الطيب بأنه لم يسرق من البحترى الا هذا البيت ، واما أن سرقته منه أكبر من العذر ، وأشد تواترا من ذنـــوب الدهر ، ولكن أخذ منه كما تعود وظن ذلك يخفى ، فلمــا خوطب عليه علم أنه بيت منكشف ، وما يأمن أن يتنبه على استشفاف شعره فيوجد فيه كثير . فرجع عنه وغيره بما لا فائدة فيه (١٧٨) .

وما روى عن أبى الطيب بشأن أبى تمام — على فرض صحته — لا غرابة فيه ولا لبس فى معناه ، فهو يقصد أنه قال الشعر وهو صبى صغير لم يعرف أبا تمام . وهذا لا يمنع من معرفته به بعد ذلك . وبهذا فسر ابن وكيع الخبر أولا ، ولكنه عاد وأخذ يتكهن بما يمكن أن يتـــوله متعصب للمتنبى !! . وافترض أنه قد يؤوله على أنه لم يعرف أبا تمام الى وقته هذا ، وبناء على هذا الفرض أخذ يدحض هذه الفريـــة بما نقلناه عنه .

وفى موضع آخر من المنصف قارن ابن وكيع بين موقف البحترى

---

(١٧٨) المنصف : ٣٧١ ، ٣٧٢ . وفى النص اضطراب وقد صححه المحقق على الوجه الذى نقلناه .

من أبى تمام وموقف المتنبى منه معتمدا على الخبر السابق ، فروى أبياتا للبحترى ثم قال : وحكى عن أصحاب البحترى أنه قيل له : انك ستعاب بهذا المعنى لأنك سرقته من أبى تمام فقال : أأعاب بأخذى من أبى تمام ؟ والله ما قلت شعرا قط الا بعد أن أخطرت شعره على بالى، ثم أسقط البيت بعد ذلك من شعره ، فلا يكاد يوجد الا فى أقل النسخ. فليت حصل لنا من أبى الطيب المتنبى الذى زعم أنه قال الشعر وما يعرف أبا تمام ، من الاقرار بأخذه عنه مثل ما حصل لنا من البحترى، مع كثرة أخذ أبى الطيب منه على قلة شعر أبى الطيب وكثرة شعر البحترى ، وكان استعمال الصدق فى من أراد أن يسرق النبوة أحسن بـه (١٧٩) .

فالبحترى فى نظره صادق قد اعترف بالسرقة من أبى تمام ، ولم يمار فى ذلك ، أما المتنبى فقد تجاهل أبا تمام وأنكر معرفته به مع أنه كثير الأخذ منه . وكان عليه أن يصدق ويعترف بسرقته منه .

ويسخر ابن وكيع من المتنبى سخرية لاذعة . حين وصمه بسرقة النبوة ، وكأنه يريد أن يقول ، من أراد أن يسرق النبوة فلن يتحرج من سرقة الشعر ، وتجاهل من سرقه منهم .

وقد علقت مقولة المتنبى بذهن ابن وكيع ، واتخذ منها مادة للسخرية من المتنبى كلما لاحت فرصة ، فنراه يقول فى موضع من كتابه: هذا ان سلم أبو الطيب معرفة أبى تمام (١٨٠) .

ويقول فى موضع آخر : هذا أخذ فضح وغصب واضح لا يليق بمن أخذه أن يقول : ما عرفت أبا تمام (١٨١) .

---

(١٧٩) المنصف : ٧٤ .
(١٨٠) المنصف : ١١٢ .
(١٨١) السابق : ٢٣٥ .

وتناقل خصوم المتنبى هذه المقولة بصور مختلفة ، فالحاتمى يوردها فى مناظرته بصورة مبالغ فيها : اذ يذكر اسم أبى تمام فيقول المتنبى : ومن أبو تمام ؟ فيجيبه الحاتمى : الذى سرقت شعره فأنشدته فيقول المتنبى : أقسمت غير محرج فى قسمى أننى لم أقرأ شعرا قط لأبى تمام كم هذا فيقول الحاتمى : هذه سوءة لو سترتها كان أولى ، فيقول المتنبى : السوءة قراءة شعر مثله ، أليس هو الذى يقول ... ، ويذكر المتنبى عدة أبيات لأبى تمام يعدها ساقطة ، فيقول الحاتمى : يا هذا من أدل الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه فهل فى الدلالة على اختلاقك انكاره أوضح مما ذكرته (١٨٢) .

وهذا كلام واضح الاختلاق ، فالمتنبى لم يكن من الحمق بحيث يتجاهل أبا تمام ثم يأخذ فى نقد أبياته .... (١٨٣) .

وقد ورد هذا الخبر عن الحاتمى فى الرسالة الموضحه برواية أخرى . اذ ورد ذكر أبى تمام والبحترى فقال ابو الطيب : من ابو تمام والبحترى ؟ ما أعلم أنى سمعت بذكرهما الا من هذه الحاضرة ، فقال الحاتمى : أبو تمام والبحترى اللذان اختلبت ألفاظهما واستلحقت معانيهما ، ووقعت دونهما وقوع السهم المقصر عن رميته (١٨٤) .

فقد وقع خلاف كبير بين رواية الخبر فى الرسالة الحاتمية وروايته فى الرسالة الموضحة مما يدل على عدم ضبطه ويقوى الشك فيه .

والصاحب بن عباد يرويها فى رسالته بصورة أخرى ، ويتخذها مدخلا لذمه فيقول : وبلغنى انه كان اذا أنشد شعر أبى تمام قال : هذا نسج مهلهل وشعر مولد ، ومن أعرف طائيكم هذا ، وهو ذئب يسرق

---

(١٨٢) الرسالة الحاتمية : ٢٨٣ - ٢٨٥ .
(١٨٣) النقد المنهجى : ١٩٨ .
(١٨٤) الموضحة : ١٠٦ .

منه ، ويأخذ عنه ، ثم يخرج ما يسرقه فى اقبح معرض كخريدة ألبست عباءة ، وعروس جليت فى مسوح ... (١٨٥) .

ويقول أبو القاسم الأصفهانى : وكان المتنبى يحفظ ديوان الطائيين ويستصحبه فى أسفاره ويجحدهما ، فلما قتل توزعت دفاتره فوقع ديوان البحترى الى بعض من درس على ، وذكر أنه رأى خط المتنبى وتصحيحه فيه .

وتقرب رواية العميدى من كلام الأصفهانى فيقول : ولقد حدثنى من أثق به أنه لما قتل المتنبى فى طريق الأهواز وجد فى خرج كان معه ديوانا الطائيين بخطه ، وعلى حواشى الأوراق علامة كل بيت اخذ معناه وسلخه ... (١٨٦) .

ورواية العميدى تجعل المتنبى فى غاية السذاجة حين يضع علامات على الأبيات التى سلخها من ديوانى أبى تمام والبحترى ؛ ولو صح هذا ما تكلف خصوم المتنبى اخراج سرقاته من الشاعرين ، لأنه دل عليها قبل مقتله ، فما كان عليهم الا اظهار ما دل عليه المتنبى ، فهو أعلم بما سرق .

وقد جعل العميدى تجاهل المتنبى للمتقدمين هو السبب فى حملة النقاد عليه ، وتتبع الناس لعوراته فيقول : ولولا أنه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء وينكر حتى أسماءهم فى محافل الرؤساء ويزعم أنه لا يعرف الطائيين ، ولم يسمع بابن الرومى ... لكان الناس يغضون عن معايبه ، ويغطون على مساويه ومثالبه ، ويعدونه كسائر الشعراء ... (١٨٧) .

---

(١٨٥) الكشف عن مساوىء المتنبى : ٢٦٣ .
(١٨٦) الابانة : ٢٥ .
(١٨٧) السابق : ٢٤ .

واختلاف الروايات فى تهمة تجاهل المتنبى لأبى تمام أو البحترى معه تجعلنا نشك فى صحتها ، ونرجح أنها شنعة روجها خصومه وتناقلها النقاد فى كتبهم . ومما يؤكد شكنا فى هذه التهمة بل ويبطلها من أساسها قول الخالديين : كان أبو الطيب المتنبى كثير الرواية جيد النقد ، ولقد حكى بعض من كان يحسده أنه كان يضع من الشعراء المحدثين ، ويغض من البلغاء المفلقين ، وربما قال أنشدونى لأبى تمام كم شيئا حتى أعرف منزلته من الشعر ، فتذاكرنا ليلة فى مجلس سيف الدولة بميافارقين وهو معنا ، فأنشد أحدنا لمولانا أيده الله شعرا له قد ألم فيه بمعنى لأبى تمام استحسنه مولانا أدام الله تأييده ، فاستجاده واستعاده فقال أبو الطيب : هذا يشبه قول أبى تمام ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى، فقلنا : قد سررنا لأبى تمام اذ عرفت شعره ، فقال : أو يجوز للأديب ألا يعرف أبا تمام وهو أستاذ كل من قال الشعر بعده ؟ فقلنا : قد قيل انك تقول كيت وكيت ، فأنكر ذلك ، وما زال بعد ذلك اذا التقينا ينشدنا بدائع أبى تمام ، وكان يروى جميع شعره ... (١٨٨) .

٦ ـ سرقته من المغمورين :

توسع ابن وكيع فى ذكر سرقات المتنبى من الشعراء المحدثين الذين لم ينالوا حظا من الشهرة وذيوع الصيت ، من سابقيه أو معاصريه ، ليفحم أنصاره ، ويردهم عن انكارهم سرقته من أبى تمام ، حين يقفون على سرقاته من الشعراء المغمورين والخاملين ظنا منه أن سرقته من هؤلاء ستخفى على أرباب الأدب ، ويأتى على رأس هؤلاء : نصر الخبزرزى ، ومنهم : جحظة البرمكى والخليع ، والعطوى ، والحمانى ، وديك الجن ، وابن أبى فنن ، وابن بيض ، والعكوك ، والموسوس ،

---

(١٨٨) الصبح المنبى : ١٤٣ .

والجماز وغيرهم ، وقد وجه كلامه الى أنصار المتنبى فقال : ولو علم الراغب به عن سرقة شعراء أبى تمام أنى سأورد من سرقاته ممن لا يعارض أبى تمام به ، ولا يوزن بمقداره ، ولا يشق غباره من الشعراء المحدثين الذين ليس لهم صيت أبى تمام ولا صنعته ولا علمه ولا رفعته ، وهو نصر الخبزرزى ، لاشتغل عن الانتصار له فى أبى تمام (١٨٩) .

وأورد ابن وكيع فى كتابه كثيرا من سرقات أبى الطيب من شعراء مغمورين ومعاصرين له ، « ليدل على أن هذا الشاعر كان يتخذ حطبه من أية غاية صادفها فى طريقه ، وليبين لأصحاب المتنبى الذين يجلون قدر صاحبهم عن السرقة من أبى تمام : كيف أنه سرق معانى من هم أقل منه شأنا ، وأحط منه قدرا (١٩٠) .

وكأنه يرى أن فى سرقته من أبى تمام ما يرفعه ويشرفه بخلاف سرقته من هؤلاء المغمورين والمجهولين ، ففيها ما يدنيه ويسقطه فهى أولى بأن تدفع عنه ويشتغل أنصاره بردها ، بدلا من اشتغالهم برد سرقاته من أبى تمام .

ويدرك ابن وكيع أن حكمه عليه بالسرقة من معاصريه سيقابل بانكار شديد من أنصاره ، ومن ثم يقرعهم ويهاجم أبا الطيب فيقول : وأنا أعلم أن الانكار يقع بى فى سرقته من معاصريه لأن أنصاره اذا كانوا يرغبون به عن السرقة ممن تقدم عصره ، وعظم فى النفوس قدره ، كانوا ممن قارب عصره ، ولم يتناقل الأدباء شعره أرغب به . وهذه الطائفة السامية بقدرة ، المفرطة فى تعظيم أمره عرفته بعد حظوته وارتفاع صيته ورتبته ، ولم تعرفه وهو دقيق الخمول وهو بمنزلة

(١٨٩) المنصف : ١١٥ .

(١٩٠) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ٣٠٢ .

المجهول، وقد كان زمانه في هذه الحال أطول مسافة من زمانه في ارتفاع الحال ووجود المال الذي شهر اسمه ، وأبان لهم فضله عمله(١٩١) .

فأنصار المتنبي الذين يسمون بقدره ويعظمون أمره اليوم ، لم يعرفوه الا بعد ارتفاع صيته ، ووجود المال لديه ، وهو الذي جمعهم حوله وأظهر لهم فضله وعلمه ، فهم طائفة ينصرونه من أجل المال ، والمتنبي قبل جمع هذا المال الذي شهر اسمه ، كان خامل الذكر مجهول الاسم .

وهذا هجوم عنيف على المتنبي وأنصاره ، لا يتعلق بالنقد ، ولا يتصل به بحال من الأحوال ، وكان على ابن وكيع أن ينأى عنه ان أراد أن يسم نفسه بالانصاف وكتابه بالمنصف .

ويؤكد ابن وكيع حكمه بأن المتنبي يسرق من المغمورين من معاصريه ، فيروى عن أبي القاسم البصري ما يدل على أن المتنبي كان في عهده الأول عالة في شعره على نصر الخبزرزي ، يحاكي معانيه ، ويعارض قصائده ، فيقول : وأنا أورد عليك من خبره ما خبرني به أبو القاسم علي بن حمزة البصري وكان من المجردين في صحبته ، والمغرقين في صفته : ذكر أنه حضر عند أبي الطيب وقت وصوله من مصر الى الكوفة وشيخ بحضرته فيه دعابة لا تقتضيها منزلة أبي الطيب في ذلك . قال : فرأيت أبا الطيب محتملا لما سمعه ، فقال له مما قال: يا أبا الطيب خرجت من عندنا ولك ثلاثمائة قصيدة ، وعدت بعد ثلاثين سنة ولك مائة قصيدة ونيف من القصائد ، فكنت تفرقها على المنقطعين من أبناء السبيل ؟ ! فقال له : ألا تدع هزلك ؟ ! قال : فأخبرني عن قصيدتك الشاطرية التي خرجت من أجلها الى البصرة حتى أظهرت فيها معارضتك للخبزرزي ، لم أسقطتها ؟ فقال : تلك هفوات الصبا ،

(١٩١) السابق : ١١٥ ، ١١٦ .

فيال : فسألت الشيخ : أتحفظ منها شيئا ؟ قال : فأنشدني أبياتا عدة قال أبو القاسم : فأمهلت أبا الطيب مدة حسن معها السؤال ، وخفي القصد ، فقلت له : أدخلت البصرة قط ؟ قال نعم ، قلت : فأين كنت تسكن ؟ فخبرني عن منزل أعرفه ، كان الخبزرزي منه على أذرع يسيره ، أربع أو خمس ، فعلمت بأن الشيخ قد صدق(١٩٢) .

وبعد أن ينتهي ابن وكيع من رواية الخبر السابق يعود ليؤكد سرقة المتنبي من الخبزرزي مشيرا الى أن الذي شجعه على ذلك أمران:

الأول : انكار المتعصبين للمتنبي انه يسرق من المعاصرين له .

والثاني : ظنه بأن سرقته من هذا الشاعر المغمور ستخفى على العلماء بالشعر .

وفي ذلك يقول : والذي أنكره المتعصبون من هذا الأمر ، هو الذي أطمع أبا الطيب فيه ، وظن أن الخبزرزي لقرب زمانه منه ، ودناءة صنعته ، فإن العلماء لا يشتغلون برواية شعره ، لأنه لا يجوز عليه الأخذ منه ، ولا ينبه على مواضع سرقته منه . وسيرد عليك من المأخوذ منه ما يعرفك من ذلك برهانا ، ويوضح لك منه بيانا(١٩٣) .

والخبر الذي نقله ابن وكيع عن البصري يستدل به على شيئين :

١ — أنه أسقط كثيرا من شعره لرداءته وشيوع السرقة فيه .

٢ — أنه كان على صلة بالخبزرزي ، حيث كانا متجاورين في البصره ، وجرت بينهما معارضات شعرية ، وهذا يؤكد سرقته منه .

---

(١٩٢) المنصف : ١١٦ ، ١١٧ .
(١٩٣) السابق : ١١٧ .

فأما عن اسقاط كثير من شعره،فهذه دعوى كررها ابن وكيع،فقال فيموضع آخر من كتابه:وقد طرح من شعره شيئا كثيرا لم يرضه(١٩٤) ... وهي مع التسليم بها لا تسقط المتنبى ولا تحط من قدره ، فما المانع من أن يراجع انسان نفسه فيما أنتجه ، ويسقط منه ما لا يراه صالحا لأسباب تقنعه بذلك ؟! وهذا مروى عن العلماء لا عن الشعراء فحسب ، وقول المتنبى : تلك هفوات الصبا ، يبين أن ما أسقطه من شعره قاله زمن الصبا وهذه مرحلة لها ظروفها وملابساتها . ولا ينبغى أن نعاملة بمقتضاها .

وأما عن صلته بالخبزرزى ومعارضته له فى شعره فلا غرابة فى ذلك فهو موجود بين الأقران وخصوصا فى مرحلة الصبا ، ولا يؤخذ من هذا أنه سطا على معانى الخبزرزى ، اذ لو كانت له لما تأخر بها عن ركب التبريز ، وقافلة النبوغ ، حتى أصبح خامل الذكر .

واسقاط المتنبى لكثير من الشعر الذى قاله فى صباه يعنى أنه صفى شعره من معانى الخبزرزى التى أخذها كما يدعى ابن وكيع ، لأنه أخذها فى شعر الصبا وقد طرح أكثر شعره فى هذه الفترة ، وبذلك يكدن قد أسقط ما أخذه ، وصار شعره خلصا له .

وقد عقب الدكتور احسان عباس على الخبر الذى رواه ابن وكيع بكلام جيد فقال : ولا يضير المتنبى أن نتقبل هذه الرواية كاملة دون تشكيك فى شيء منها ، فان دلالتها الهامة فى نظرنا هى أن المتنبى ربما مشى فى صغره وراء أضواء كاذبة ، ولكنه لما نضج وعرف معنى الشعر الصحيح الحقيق بالخلود لم يتورع عن أن يسقط من شعره أكثره،غير أن الأرقام العددية فيها لو شئنا أن نعدها صحيحة لا يقصد منها المبالغة لما اسعفتنا على ذلك حقيقة القصائد الثابتة فى ديوان المتنبى،

---

(١٩٤) المنصف : ٥٦٤ .

فنحن نجد من شعره منذ ارتحل الى ديار الشام حتى عودته من مصر الى العراق ما يبلغ مائتين وستين قصيدة ومقطعة ، أو شــيئاً قريبا من ذلك ، فاذا كان قد قال ثلاثمائة قصيدة قبل أن يرتحل الى الشام، فمعنى ذلك أن ما قاله بعد رحلتــه مقارب لما قاله قبلهــا ، وهذا شيء لا يسمح به التفاوت الكبير فى المدتين الزمنيتين ، فان اقامته فى الشام ومصر — وكلها سنوات مهيأة لقول الشعر — امتدت قرابة ثلاثين سنة، بينما لا تتجاوز سنوات الشعر فى العراق قبل رحيله خمس سنوات ، فهل يعقل أن يكون ما طرأ على المتنبى من تغير مفترض ، جعله يقول فى ثلاثين سنة قدر ما قاله فى خمس سنوات ؟ ذلك أمر مستبعد(١٩٥) .

٧ ـــ سرقته المعيب :

يرى ابن وكيع أن سرقات المتنبى لا تقتصر على المعانى الرفيعة وانما تتعداها الى المعانى الوضيعة ، والمعانى المعيبة ، فهو لا يميز فى السرقة بين الحسن والمعيب ، ولا بين الشريف والحقير ، وقد أشار الى ذلك فى مواضــع من كتابه ، ففى قول المتنبى(١٩٦) :

قفا قليلا بها على فلا   أقل من نظرة أزودها

يقول : معنى هذا البيت غــير غريب ، ولكن أبا الطيب لا يحتقــر شيئا ، بل يأخذ الشعر الرفيع والوضــيع ، وهو فى الأخذ كمــا قال إبن المعتز فى العشق :

قلبى وثاب الى ذا وذا   ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغى   ويرحم القبح فيهواه

---

(١٩٥) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ٣٠٦ .
(١٩٦) شرح العكبرى : ١/٢٩٦ .

فيجب علينا الاهتمام بما اهتم به ، وهذا البيت مأخوذ من قول ذى الرمــة :

فان لم يكن الا تعلل ســـاعة قليل فانى نافع لى قليلها(١٩٧)

فبين أن المتنبى لا يحقر شيئا من المعانى عند أخذه لها بل يقع على الرفيع والوضيع ، وكرر مثل هذا فى غير موضع(١٩٨) •

والمتأمل فى بيتى ذى الرمة والمتنبى لا يرى بينهما اشتراكا يستدعى من ابن وكيع أن يحكم بالسرقــة ، الا اذا كان قد بنى حكمــه على اشتراكهما فى لفظ « قليل » وفى هذا من التعسف ما لا يخفى •

وفى قــول المتنبى(١٩٩) :

حتى يقول الناس : ماذا عاقلا ويقول بيت المال : ماذا مسلما

يقول : ليس من التــوفيق أن يسرق السارق ما قــد عيب على السابق ، فيحمل عيب السرق ، ويسرق معيبا ، ألم يعلم أنه فيما عيب على أبى نواس قــوله :

جــدت بالأمــوال حتى قيل : ما هذا صحيح(٢٠٠)

فلام المتنبى على سرقته من أبى نواس ما عيب عليه ، فتحمــل ووزر السرقة ، فى سرقة معيبة •

---

(١٩٧) المنصف : ٩٥ ، ٩٦ •
(١٩٨) ينظر السابق : ١١٩ ، ٢٥٥ •
(١٩٩) شرح العكبرى : ٣٢/٤ •
(٢٠٠) الســابق : ١٢٩ •

٨ ـ اعتراض ابن وكيع على « النامى » فى السرقات :

أورد ابن وكيع بعض سرقات المتنبى التى استخرجها أبو العباس النامى فى رسالته ، ولم يتابعه فى عدها مسروقة ، بل اعترض عليه ، وبين اختلاف أبيات المتنبى عن الأبيات التى جعلها أصلا لها ، ففى قول المتنبى(٢٠١) :

الا يشب فلقد شابت له كبد　　　شيبا اذا خضبته سلوة نصلا

يقول ابن وكيع : وهم أبو العباس النامى المصيصى أنه سرق هذا من أبى تمام فى قوله :

شاب رأسى وما رأيت مشيب الر　　　أس الا من فضل شيب الفؤاد

هذا يذكر أنه : قد شاب رأسه من شيب فؤاده بهمومه ، والمتنبى يذكر انه لم يشب فلقد شابت كبده من الهموم ، وشيب الرأس معنى ويمكن أن يكون غريزة أو لسن ، وشيب الكبد استعارة ، وزاد أبو الطيب فى الكلام من ذكر خضاب السلوة ونصول شيب فؤاده • وهذا يدخل فى مماثلة السارق المسروق منه فى كلامه بزيادته فى المعنى ما هو من تمامه • ولولا أن أبا العباس النامى ذكر أن هذا مأخوذ من هذا لكان بعيدا منه(٢٠٢) •

فأشار ابن وكيع الى وهم « النامى » فى اعتبار هذا من السرقة ، وبين الفرق بين البيتين ، وزيادة أبى الطيب فى المعنى والكلام ، مما يجعل بيته بعيدا عن بيت أبى تمام •

وقد أورد القاضى الجرجانى هذا البيت فى سرقات المتنبى على

---

(٢٠١) شرح العكبرى : ٢/١٦٤ •
(٢٠٢) المنصف : ١٣٥ •

أنه مأخوذ من قول أبى تمام(٢٠٣) ، كما أورده العميدى فى الابانة وأشار الى أنه مسروق من قول أبى تمام(٢٠٤) ، وما ذكره ابن وكيع ينفى هذه التهمة .

ويرد ابن وكيع رأى النامى فى موضع آخر ويتهكم به لعدم دقة أحكامه فيقول : وذكر أبو العباس النامى فى رسالة له فى عيوب شعر أبى الطيب أن قوله(٢٠٥) :

ريان لو قذف الذى أسقيته ... لجرى من المهجات بحر مزبد

أنه مسروق من قول البحترى :

صديان من ظمأ الحقود لو انه ... يسقى جميع دمائهم لم ينقع

فهذا يخبر عن ريان لو مج جميع ما شربه لجرى من المهجات بحر مزبد ، وهذا يخبر عن صديان لو شرب جميع دمائهم لم يرو صداه ، وهذا ضد المعنى ، ولو أدخل هذا فى قسم المعكوس من الشىء الى ضده لكان أليق ، ولو قال هذا الكلام من لم يعرف الشعر رواية ، ولم ينتقده دراية لقبح ، فكيف بشاعر يوازن بشعره شعره ، ويطاول بقدره قدره(٢٠٦) ؟ !

فبين خطأ النامى فى اعتبار بيت أبى الطيب مسروقاً من بيت البحترى ، وتهكم به لوقوعه فى مثل هذا الخطأ ، مع أنه شاعر ناقد يضع نفسه فى رتبة المتنبى ، ويوازن شعره بشعره .

---

(٢٠٣) ينظر الوساطة : ٢٥٤ .
(٢٠٤) ينظر الابانة : ٥١ .
(٢٠٥) شرح العكبرى : ١/٣٣٧ .
(٢٠٦) المنصف : ٢٤٠ .

وفى قـول المتنبى(٢٠٧) :

محك اذا مطل الغريم بدينه   جعل الحسام بما أراد كفيلا

يقول:وقد قال أبو العباس النامى فى رسالة له فى مأخوذ أبى الطيب أن هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

لا تأخذنى بالزمـان فليس لى   تبعا ولست على الزمان كفيلا

ولا أعلم له تعلقـا الا بلفظ « كفيـل » فان كان أول من تكلم بـ « كفيل » أبو تمام فقد أخذ لفظـه لا معناه ، والا فما يتعلق كلام أبي الطيب فى شىء أصلا .

ولو قال أبو العباس : ان أبا الطيب أخذ هذا من قول أبى تمام:

مازال ذاك الصبر وهو عليـكم   للموت فى فيض النفس وكيلا

كان أقرب الى المعنى . وهذا نقد من يساجل أبا الطيب فى الشعر، ويظن أنه قرنه(٢٠٨) . فرد حكم النامى ، وأشار الى أصـل ينبغى مراعاته فى السرقة ، وهو أن الاشـتراك فى لفظ لا يدل على الأخـذ ولا يثبت السرقة ، لأن الألفاظ ملك للمتكلمين ولكل واحد أن يستعمل منها ما يشاء ، وختم كلامه بالتهكم بالنامي ونقده الذى لم يلتزم فيه الدقة ، وهو يظن أنه قرن المتنبى .

٩ ــ عقده مقاصة بين الأبيات :

كثيرا ما نجد ابن وكيع يعقد مقاصة بين أبيات المتنبى وأبيات غيره التى اعتبرها أصلا لما قال المتنبى ، فيضع ميزة فى مقابل ميزة ، ويعادل

---

(٢٠٧) شرح العكبرى : ٣/٢٣٥ ، والمحك : اللجوج في المطالبة بالحـق .

(٢٠٨) المنصف : ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

شرحا باختصار ، ليحكم بمساواة المتنبى لمن سبقه ، ومن ثم يستحق السابق المعنى لسبقه اليه • ففى قول المتنبى(٢٠٩) :

ملك تكون كيف شاء كأنما يجرى بفصل قضائه المقدور

يقول ابن وكيع : وقد ألم فى صدر هذا البيت بقول أبى تمام :

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

والنصف الثانى يشبه قول ابن الرومى :

لست تحتج بالزمان ولا المقـ ـدور أنت الزمان والمقدور

فقال أبو الطيب : كأنما يجرى بفصل قضائه المقدور »،وابن الرومى جعله الزمان والمقدور ، فرجح كلامه • وليس لأبى الطيب من الفضيلة غير جمعه معنى البيتين فى بيت واحد ، فنحن نجعل اختصاره بازاء الزيادة عليه ، ويدخل ذلك فى قسم المساواة ، فيصير لا له ولا عليه الا بالتقدم(٢١٠) •

فجعل اختصار المتنبى فى مقابل زيادة ابن الرومى ، ولم ينظر الى رجحان بيت المتنبى بجزالته ، ودقة صنعته •

وفى قول المتنبى(٢١١) :

أثاف بها ما بالفؤاد من الصلى ورسم كجسمى ناحل متهدم

يقول ابن وكيع : قال مخلد الموصلى :

يا منزلا ضن بالسلام سقيت ريا من الغمام

---

(٢٠٩) شرح العكبرى : ١٣٦/٢ • وفيه « تصور » بدل « تكون »
(٢١٠) المنصف : ٣١٧ •
(٢١١) شرح العكبرى : ٨٣/٤ •

لم تتـــرك المزن فيك الا ... ما ترك الشوق من عظامى

خبر أبو الطيب أن نحول الربع وتهدمه كنحول جسمه وتهدمه،ولم يشرح العلتين الموجبتين لذلك ، و « مخلد » جاء بهما فهو أرجح،فان قيل : لأبى الطيب زيادة معنى فى ذكر حال فؤاده ، قلنا : لمخلد زيادة فى الاخبار بعلتين ليستا فى بيت أبى الطيب ، فقد صارا سواء(٢١٢) .

فجعل شرح مخلد فى مقابل زيادة أبى الطيب وبذلك يرجح مخلد لسبقه ، والذى أراه أن بيت المتنبى أرفع منزلة من بيتى مخلد لزيادة معناه وجزالة ألفاظه وجمال سبكه ، ولم يلتفت ابن وكيع الى هذا .

وفى المنصف أمثلة كثيرة سلك فيها ابن وكيع سبيل المقاصة(٢١٣)، ليخرج بالمساواة التى يرجح فيها السابق على المتنبى ، وكأن الشعر صفقة تجارية تجعل فيها سلعة فى مقابل سلعة أخرى وما أشبه ذلك.

وهو حين يعقد مقاصة يتغاضى كثيرا عن محاسن المتنبى ومعايب غيره ونرى ذلك جليا فى المثالين السابقين .

ومن هذه الجولة فى تطبيقات ابن وكيع فى السرقات يتضـــح لنا ما يلى :

١ — انفرد ابن وكيع بين نقاد المتنبى بتتبع ديوان شعره قصيدة تلو الأخرى . مستخرجا ما فيه من سرقات أدبية .

٢ — تميز ابن وكيع بأنه وضع نظرية كاملة فى السرقات بين يدى تطبيقاته ، وبنى كلامه على أساسها — بغض النظر عما شاب ذلك من عيـــوب فترك لنا بذلك دراسة تطبيقية قائمة على منهج ارتضاه وسار

(٢١٢) المنصف : ٤٤٣ .

(٢١٣) ينظر السابق : ٣٠٧ ، ٣١٨ ، ٣٨٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ وغيرها

على منواله • وبهذا ينتقض ما ذكره بعض الباحثين من أن دراسة ابن وكيع لسرقات المتنبى بعيدة عن الدراسة الموضوعية المنهجية(٢١٤)•

٣ ـ لم يكن ابن وكيع مغاليا فى استخراج سرقات المتنبى غلو غيره ممن عنوا باستخراج سرقات غيره من الشعراء ، فدعبل يقول عن أبى تمام : ثلث شعره محال ، وثلث شعره مسروق،وثلثه صالح(٢١٥)؛ ومحمد بن العلاء السجستانى يقول : ليس لأبى تمام معنى انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان • وذكر هذه المعانى الثلاثة • بينما لم يدع ابن وكيع ذلك ، ولم يصل الى هذا الحد من الاسراف •

٤ ـ توجد اعتبارات فى تطبيقات ابن وكيع تخفف من عدد ما استخرجه من سرقات • فهى تبين أن أكثر سرقات المتنبى من الأنواع المحمودة ، وأقلها من الأنواع المذمومة • وورد فيها كثيرا ما يوحى بضعف السرقة ويشير الى عدم جزم ابن وكيع بها •

٥ ـ لا ندعى أن ابن وكيع كان منصفا فى كل ما ذكره من سرقات، بل بدت فى بعضها أمارات التحيز والتعصب ضد المتنبى ، ولم يسلم من الحيف فيها ، وقد أشرنا الى ذلك فى عرضنا لتطبيقاته ، ولكنه فى النهاية قام بجهد كبير شاق ، وعمل منظم لا يناظره عمل آخر فيما كتب حول سرقات المتنبى •

---

(٢١٤) ينظر مشكلة السرقات : ١٩٧ ؛

الفصل الثالث

نقد شعر المتنبى

لم يقتصر دور ابن وكيع فى معركته مع المتنبى على بيان سرقاته واستقصاء القول فيها بما لم يسبق اليه ، بل تعدى هذا الدور الى دور آخر لا يقل أهمية عن سالفه ألا وهو : تحليل شعر المتنبى،وبيان محاسنه ومساوئه مع التركيز على المساوىء واشباع القول فيها حتى طمست على المحاسن .

ومن ثم نراه يسير فى كتابه وفق خطة لا ينفك عنها ، حيث يقف أمام بيت المتنبى ويتناوله من ناحيتين : ناحية السرقة،وناحية التحليل والنقد ، وقد تحدثنا فى الفصل السابق عن ناحية السرقة ، ونخص هذا الفصل بالحديث عن ناحية التحليل والنقد .

وهذه الناحية تحتل مساحة واسعة فى كتاب ابن وكيع ، ولها أهميتها الكبيرة فى معركته مع المتنبى ، وهى تنبىء عن ملكته النقدية المميزة ، وتبرز قدرته الفائقة على توظيف محصوله الغزير من اللغة والأدب فى تأمل المفردات والتراكيب وبيان خصائصها ودلالاتها،وتوضح منهجه النقدى الذى يقوم على التحليل والنقد والموازنة .

وقد تناول ابن وكيع فى تحليله لشعر المتنبي جوانب متعددة يمكن لنا أن نوجزها فيما يلى :

١ — الألفاظ .

٢ — المعانى .

٣ — الصور البلاغية .

٤ — الصنعة .

وقبل أن نتناول كل جانب من هذه الجوانب بالدراسة والتفصيل سنبين موقف ابن وكيع من الشعر القديم والحديث ونظرته الى الشاعر ووظيفته •

موقفه من القديم والحديث ونظرته الى الشاعر :

يقيس ابن وكيع الشعر بجودته وحسنه دون نظر الى زمان قائله، ومن ثم رفض مسالك الذين يتعصبون للقديم لقدمه ، ويردون الحديث لحداثته ، من غير وقوف على ما فى الشعر من ألفاظ عذبة ، ومعان بديعة •

وقد بين هذا فى معرض حديثه عن سرقة للمتنبى من بيتى اسحاق الموصلى :

هل الى نظرة اليك سبيل　　　يروى منها الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندى　　　وكثير من الحبيب القليل

فقال : وقد ذكر اسحاق أنه أنشد الأصمعى هذين البيتين على أنهما لمتقدم ، فقال : لمن هذا الديباج الخسروانى ؟ قال : فقلت : هى لى ، وهى بنت ليلتها ، فقال : لا جرم ان فيها ضعف التوليد !

ثم يعلق ابن وكيع على هذا الخبر فيقول : وما أقبح رأى علمائنا فى أن يرد عليهم اللفظ الذى لا يعجب ، والمعنى الذى لا يطرب ، فيعظمون أمره ويجلون قدره ، لأنه لمن تقدم زمانه ، وبعد أوانه ، فاذا وافاهم المحدث باللفظ العجيب والمعنى الغريب ، أعرضوا عنه،وغضوا منه ، وأنفوا من رواية قوله ، حتى ان أبا عمرو بن العلاء قال : لقد كثر هذا المحدث حتى لقد هممت بروايته ، يعنى شعر جرير والفرزدق، فقدم عذرا فى روايته ، حتى كأن الفضل مقصور على من تقدم زمانه ،

أو لم يكن القديم محدثا ؟ وأظنهم يرون الشعر بمنزلة المشروب،كلما عتق كان أفضل له(١) •

فبين أن تفضيل القديم لقدمه وازدراء الحديث لحداثته مسلك قبيح ، والذين يذهبون الى هذا الرأى خانهم التوفيق ، فالفضل ليس مقصورا على من تقدم زمانه ، وقديم اليوم كان محدثا فى زمنه •

وهذه نظرة جيدة من ابن وكيع ، فالشعر ينبغى أن يحكم عليه بمقتضى الجودة والحسن لا بمقتضى القدم والحداثة ، ولا نستغرب منه هذه النظرة الدقيقة ، فهو شاعر محدث يشعر بالغبن فى ظل نظرة المتعصبين للقديم من الرواة والعلماء •

وهو متأثر فى رأيه هذا بابن قتيبة الذى رأى أن تفضيل الشعر ينبغى أن يكون لجودته لا لتقدم صاحبه أو تأخره،وعاب من يستجيدون الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويرفضون الشعر الرصين لأنه قيل فى زمانهم وبين أن العلم والشعر والبلاغة لا تختص بزمن دون زمن ، وأن كل قديم يكون حديثا فى عصره(٢) •

ورأى ابن وكيع فى تفضيل الشعر لجودته دون نظر الى قدمه أو حداثته لم يمنعه من أن يعتبر فروقا بين الشاعر القديم والشاعر المحدث فى صياغة التجربة الشعرية تبعا لمقتضيات الناس وطبيعة العصر ومن ثم يقول : ان أشعار المحدثين لا يراد منها استفادة علم، وانما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها ، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين فى غلبة الغريب على أشعارهم ، ووصف المهامة والقفار ، والابل والفلوات وذكر الوحش والحشرات

---

(١) المنصف : ٣١٥ •
(٢) ينظر الشعر والشعراء : ٦٣/١ •

ما رويت ، لأن المتقدمين أولى بهذه المعانى ، ولاسيما مع زهد الناس فى الأدب فى هذا العصر ، وما قاربه ، وانما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام ، وان الخواص فى معرفتها كالعوام ، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب ، يستميل أمة من الناس لاستماعه وان جهل الألحان ، وكسر الأوزان ، وقائل الشعر الحوشى بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت يعرض عنه الا من عرف فضله، على أنه اذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات، وانما يجعل معلما للمطربات من المغنيات ، يقومهن بحذقه ، ويستمتع بحلوقهن دون حلقه ، ليسلمن من الخطأ فى صناعتهن ، ويطربن بحسن أصواتهن(٣) •

فابن وكيع يرى أن الشاعر المحدث عليه أن يختار الألفاظ العذبة ، والمعانى الحلوة ، والصياغة السلسة على خلاف ما عهد عن الشعراء المتقدمين من غلبة الغريب على أشعارهم وعنايتهم بوصف المهامه والقفار وذكر الوحش والحشرات •

ولهذا المسلك أسبابه هى :

١ — ان أشعار المحدثين لا يراد منها استفادة علم ، ولكن تروى لعذوبتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها •

٢ — زهد الناس فى الأدب •

٣ — سبق المتقدمين الى تناول المعانى البعيدة، والألفاظ الخشنة•

ويمثل ابن وكيع الشاعر المحدث الذى يسلك مسلك العذوبة والرقة بالمطرب ذى الصوت الجميل يستميل الناس بصوته وان جهل الألحان وكسر الأوزان •

---

(٣) المنصف : ١٧٤ •

والشاعر المحدث الذى يتوعر ويغرب بالمغنى الذى يحذق النغم والألحان وصوته لا يطرب فلا يصلح لمجالس اللذات ، وانما يجعل معلما للمطربات ذات الصوت الحسن .

وقوله : ان أشعار المحدثين لا يراد منها استفادة علم ، عبارة عامة تقتضينا أن نستوضحه معناها ، فاذا كان يقصد بالعلم ما يتعلق باللغة من نحو وصرف فلا نخالفه فى هذا ، اتباعا لما قرره اللغويون من عدم الاستشهاد بشعر المحدثين.وان كان يقصد عموم العلم فهذا ما لانوافقه عليه ، ولا نظن أحدا يوافقه عليه ، فأشعار المحدثين تحوى علما غزيرا ، وأدبا واسعا ، وحكما رائعة ، وتعبر عن تجارب تثرى الحياة الانسانية .

والربط بين الشعر والغناء فكرة سبق اليها بعض النقاد قبل ابن وكيع ، كابن طباطبا الذى يجعل مقياس جودة الشعر وقبول الفهم له فى اعتدال وزنه وصواب معناه وحسن ألفاظه ، فان نقص جزء من هذه الأجزاء كان انكار الفهم اياه على قدر نقصان أجزائه ، مثل ذلك الغناء المطرب الذى يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه ، مع طلب ألحانه ، فأما المقتصر على طلب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب(٤) .

ونلاحظ فرقا بين فكرة ابن طباطبا وفكرة ابن وكيع ، فلا تكمل جودة الشعر عند ابن طباطبا الا باكتمال عناصره الثلاثة : الألفاظ والمعانى والأوزان،وتنقص جودته بمقدار ما ينقصه من هذه العناصر، بينما يرى ابن وكيع أن جمال الشكل يغطى على عيوب المضمون ، فصاحب الصوت الجميل يستميل الأسماع وان جهل الألحان وكسر

---

(٤) عيار الشعر : ١٥ .

الأوزان : هذا فى الغناء ، ونظيره فى الشعر : أن الشاعر الذى يستعمل الألفاظ العذبة والمعانى الواضحة القريبة من أفهام الخواص والعوام يغطى هذا على خلو شعره من الأفكار الدقيقة والمعانى العجيبة ، والتأملات البديعة التى تحتاج الى كد الفكر ، وارهاق الذهن .

وهذا فهم غير دقيق من ابن وكيع لوظيفة الشعر وتأثيره فى الناس ، فالشعر لا يقتصر دوره على الاطراب واحداث اللذة الحسية، لكن ينبغى أن يمتع العقل ويغنى الفكر ، كما يلذ السمع ويطرب الحس « فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه »(٥) .

وبناء على ما ذكره ابن وكيع من فروق بين الشاعر المحدث والشاعر المتقدم ، فانه يحظر على المحدثين وعلى رأسهم المتنبى ما أباحه للمتقدمين أو عذرهم فى ايراده ، ففى تعقيبه على بيت المتنبى :

أنى يكون أبا البرية آدم   وأبوك والثقلان أنت محمد

يقول : ... وهذه تعقيدات يحتمل ورود مثلها لبدوى لا يعرف الاختيار ، ويستعمل وجوه الاضطرار ، فأما المحدث المطبوع فلا عذر له أن يأخذ من الكلام جوهره ، ويصفى منه متخيره(٦) .

وفى تعليقه على قول المتنبى :

فأرحام شعر يتصلن لدنه   وأرحام مال ماتنى تتقطع

يقول : ... واستعمال أقفاء الكلام انما يجوز ، تطلب له الوجوه اذا كان من بدوى يتكلم بطبعه ، فأما لمثله فلا(٧) .

---

(٥) عيار الشعر : ٤ .
(٦) المنصف : ٢٤٢ .
(٧) السابق : ١٧٨ .

وفى نقـده لبيت المتنبى :

كفى ثعلا فخـرا بأنك منهم - ودهرا لأن أمسيت من أهله أهل

يقول : ••• والاحتجاج له ضعيف لأنه جاء اما عن ضعف عـام أو تكلف اغراب ، ومثل هذا من المحدثين قبيح(٨) •

وله تعقيبات أخرى تشبه ما أوردناه(٩) ، وكلها تظهر تسامحه مع المتقدمين والتماس العذر لهم فى الاغراب وارتكاب الضرورات،لأنهم يصدرون عن طبيعتهم البـدوية ، أما المحـدثون فلا يجيز لهم ذلك ولا يعذرهم فى اللجوء اليه ، لأن مجال الاختيار واسع أمامهم،فعليهم أن ينتقوا من الكلام أعذبه وأصفاه •

ونحن مع ابن وكيع فى مطالبة الشاعر بأن يتجنب الاغـراب ، ويحذر التعقيد ، ويجلى تجربته فى لفظ عذب رشيق ، ومعنى واضـح وهذا لا يتعارض مع تحفظنا السابق الذى أبديناه على رأيه فى وظيفة الشـعر •

وبعد أن بينا موقف ابن وكيـع من القديم والحـديث ورأيه فى الشاعر ووظيفته نبدأ فى تفصيل الجوانب الأربعة التى ذكرناها وهى : الألفاظ ، والمعانى ، والصور ، والصـنعة ، مفردين كل جانب منهـا بمبحث يخصه •

---

(٨) السابق : ٢٢٦ •

(٩) ينظر المنصف : ٤٤١ ، ٤٤٧ ، ٢٤٧ •

المبحث الأول

النقد المتعلق بالألفاظ

تناول ابن وكيع جانب الألفاظ فى شعر المتنبى من زاويتين :

الأولى : الأخطاء اللغـوية .

والثانية : الأخطاء غير اللغوية .

وسنبدأ بالحديث عن الأخطاء اللغوية ، ثم نتبعه الحـديث عن الأخطاء غير اللغوية .

أولا : الأخطـاء اللغوية :

أخذ ابن وكيع على المتنبى كثيرا من الأخطاء اللغوية ، واتهمـه بالضعف فى اللغة ، وركوب الضرورات ، والقياس فيمـا ينبغى فيـه السماع وغير ذلك من المآخذ كما سنرى فيما يلى :

ضعف المتنبى فى اللغـة :

أصر ابن وكيع على اتهام المتنبى بالضعف فى العربية ، واجتهـد فى اثبات هذه التهمة بالأمثلة والرواية عمن جالسوه وناقشوه . ففى قـول المتنبى(١) :

فرعوس الرماح أذهب للغيـ ـظ وأشفى لغل صدر الحقود

يقول ابن وكيع : قوله : « أذهب للغيظ » لحن ، لأنه يقال : ذهب به فأذهبه ، فكان يجب أن يقول : أشد اذهابا للغيظ أو يقول : أذهب بالغيظ ، ليسلم من الخطل ، ولكنه لم يفرق بين الأمرين لضـعفه فى

(١) شرح العكبرى : ٣٢١/١ .

العربية ، ومما أدلك على صحة ذلك ما حدثنا به شيخنا أبو الحسن المهلبي — رحمه الله قال : حضرته فى مجلس لبعض الرؤساء ، وجرت مسألة فى المذكر والمؤنث ، فقلت : قد يؤنث المذكر اذا تشبث بمؤنث ، فقال : من قال هذا ؟ فقلت : قاله سيبويه ، واستشهد بقول قائل :

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم

ومثل ذلك :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

فقال : لا أعرف هذا ، ولعله مذهب للبصريين ، ولا أعمل على قولهم ، قال : فقلت له : هذا فى كتاب « ابن السكيت » فى المذكر والمؤنث ، فقال : ليس ذلك فيه ، فأخرجته من خزانة الرئيس الذى كنا عنده ، فلما قرأه قال : ليس هذا بخط جيد ، أنا أكتب خيرا منه ، فقلت : ما جلسنا للتخاير بالخطوط،فانقطع فى يدى . وقلت له يوما : كيف تصغر مختارا ؟ فقال : « مختار » لا يصغر ، فقلت له : ليهن مختارا وأم حبين ؛ لك العافية . وهذا يشهد لك بما قلناه(٢) .

فبين « ابن وكيع » خطأ المتنبى فى قوله : « أذهب للغيظ » ، لأنه لن كان من « أذهب » فالتفضيل منه يكون أشد اذهابا للغيظ ، وان كان من « ذهب » فكان عليه أن يقول : أذهب بالغيظ ، لأنه يتعدى بالباء(٣) .

واستدل بهذا على ضعفه فى اللغة ، اذ لم يستطع أن يفرق بين

---

(٢) المنصف : ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٣) سيأتى الرد على ما ذهب اليه ابن وكيع فى حديثنا عن افعل التفضيل فى هذا المبحث .

الأمرين ، ولم يعرف الاستعمال الصحيح ، وأيد حكمه عليه بالضعف في اللغة بالقصة التي رواها عن شيخه أبي الحسن المهلبي •

وقد ذكر ابن وكيع هذه القصة في موضع آخر من كتابه بصورة تختلف كثيرا عما ذكره في هذا الموضع ، مما يدعونا الى اثباتها للمقارنة بين الروايتين •

فبعد أن علق على قول المتنبي :

جللا كما بي فليك التبريح   أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

قال : ولم يكن علمه بالعربية طائلا ، دليل ذلك ، ما أخبرك به عن شيخنا أبي الحسن المهلبي – رحمه الله – فانه ذكره لي فقال : كان شاعرا ، فقلت له : ولم يكن عالما ، قال : لا ، ولاسيما بالعربية •

ثم حكى عنه عند اجتماعه معه عند الروذباري أشياء منها أنه قال : قلت لأبي الطيب : كيف تكسر مختارا في الجمع ، فقال هذا لا يكسر ، فقلت له : وأمثلتها كلها تكسر ، فلم امتنع هذا فيه ؟ فقال : لم تكسره العرب ، فقلت : فليهن أم مختار وأم حبين السلامة ، هذا من التكسير ، وتلك من الأجل(٤) ، فسكت عن ذلك •

وقد قال شيخنا – رحمه الله – رأيت أبا الطيب ينكر أن يذكر المؤنث ، وأن يسبب بمؤنث ، فأنشدته قول الأعشى(٥) :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته   كما شرقت صدر القناة من الدم

(٤) أم حبين : دويبة على قدر كف الانسان تأكل الأعراب ما دب ودرج سواها ينظر لسان العرب : مادة حبن •

(٥) يلاحظ أن البيت من شواهد تأنيث المذكر لا تذكير المؤنث كما في الرواية •

فقال : هذا من انشادات سيبويه ، مستهزئا ، فقلت : ومن انشادات أهل الكوفة ، فقال : ما هذا فى كتبهم ، فقلت : هذا البيت مشهور ، وهو فى كتاب المذكر والمؤنث ليعقوب بن السكيت ، قال : ما هو فيه •فأحضرنا الكتاببخط بعض العلماء المعروفين،وسمونا له كاتبه، فلما رأى البيت قال : ما هذا بخط جيد ، خطى أحسن منه ، فقلت : هذا غير ما تكلمنا فيه ، ما خاطبناك فى جودة الخطوط •

قال شيخنا : وامتحنته فى أشياء فوجدته فيها مقصر •

قال أبو محمد(٦) : وأنا أعرف رجلا تزيد محبة أبى الطيب على محبته أمه وأباه ، وقد ذكره فقال : أما اللغة فكان فيها اماما ، لم تضرب العرب بعضا الا وعنده منها خبر ، وأما الشعر فانه لسان الزمان لا ينطق أو يستأذنه ، وأما النحو فهو فيه على مذهبه فى النحو نحوى •

فرأيته قد بالغ فى الصفتين ، وجعله مدحا على شريطة تريد تفسيرا ، فسألته عن المعنى فى قوله ، قال : ما كان يعتقد فى النحو الا معرفة الاعراب التى يصل بها الى الصواب ، بغير تعليل له •

وهذا هرب من السؤالات ، وتسلم من اقامة الدلالات ، وفيما أوردناه مقنع ••• (٧) •

وبالمقارنة بين الروايتين نلحظ ما يلى :

١ ـ الرواية الأولى تذكر أن المهلبى التقى بالمتنبى فى مجلس أحد الرؤساء والرواية الثانية تذكر أنه التقى به فى مجلس الروذبارى •

---

(٦) ابن وكيع •
(٧) المنصف : ٢٨٨ ـ ٢٩٠ •

٢ ــ فى الرواية الأولى يذكر المهلبى أن النقاش فى الاجتماع دار حول مسألة المذكر والمؤنث ثم يذكر بعد ذلك أنه سأله يوما ــ فى الاجتماع ــ عن تصغير لفظ « مختار » فلم يعرف ، ولم يذكر أنه سأله عن تكسير هذا اللفظ .

وفى الرواية الثانية يذكر المهلبى أن النقاش فى الاجتماع دار حول تكسير لفظ « مختار » ، ثم يذكر بعد ذلك أنه رآه ينكر مسألة المذكر والمؤنث ــ وليس هذا فى الاجتماع طبعا ــ ولم يذكر أنه سأله عن تصغير لفظ « مختار » .

٣ ــ الرواية الأولى تذكر أن المتنبى قال فى مسألة المذكر والمؤنث: لعله مذهب لابصريين ولا أعمل على قولهم ، والرواية الثانية تذكر أن المتنبى قال : هذا من انشادات سيبويه ــ على سبيل الاستهزاء ــ .

٤ ــ الرواية الأولى تذكر أن المهلبى قال : قد يؤنث المذكر اذا تشبث بمؤنث ، واستشهد على ذلك ببيتين أنث فيهما المذكر .

والرواية الثانية تذكر أن المهلبى قال : رأيت أبا الطيب ينكر أن يذكر المؤنث وأن يسبب بمؤنث ، وهذا عكس المسألة المذكورة فى الرواية الأولى ، والغريب أن المهلبى استشهد فى الرواية الثانية بقول الأعشى وهو ليس شاهدا على تذكير المؤنث انما هو شاهد على تأنيث المذكر كما استشهد به فى الرواية الأولى .

٥ ــ فى الرواية الأولى لم يسم كاتب الكتاب ، وفى الرواية الثانية سمى الكاتب ووصف بأنه بعض العلماء المعروفين .

٦ ــ الرواية الأولى لم تذكر أسئلة أخرى للمهلبى ، والرواية الثانية ذكرت أن المهلبى امتحنه فى أشياء اخرى فوجده مقصرا .

وبهذا ندرك ما بين الروايتين من خلاف يصل الى التناقض ، مما يدل على التزيد فى الرواية وعدم الضبط فيها ، ويشعر بان الهدف منها ومن غيرها ومن الروايات التى تحكى ما دار فى المجلس بين النقاد والمتنبى هو التشهير به ومحاولة اسقاطه عن عرش الشعر الذى ملكه بلا منازع.وهل كان المتنبى من الضعف فى اللغة بحيث لا يعرف بعض مسائلها البسيطة ؟؟ وهل كان من السذاجة بأن يترك موضوع الحوار ليقول عن خط الكتاب : أنا أكتب خيرا منه ؟ وهبه لم يعرف مسألة الممتحن فيها،فهل يدل ذلك على ضعفه فى العربية ؟؟ لقد تمادى ابن وكيع فى التدليل على ضعفه فى اللغة (٨) فلم يكتف بما رواه عن شيخه المهلبى، بل ذكر أن رجلا من أشد أنصار أبى الطيب والمتعصبين له ، قد عرفه بقلة محصوله فى النحو ، وعدم اعتداده به ، ليصل من كل هذا الى اقناع قارئه بضعف المتنبى فى لغة ملك زمامها حتى قال :

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ولا يمكن لمنصف أن يسلم بضعف المتنبى فى اللغة كما ادعى ابن وكيع ، وغيره من المتحاملين عليه(٩) . « فقد كان من المكثرين فى نقل اللغة والمطلعين على غريبها ، ولا يسأل عن شىء الا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل ان الشيخ أبا على الفارسى قال له يوما : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال فى الحال : جحلى وظربى ، قال الشيخ أبو على : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهما ثالثا فلم أجد ، وحسبك من يقول مثل أبى على فى حقه ذلك(١٠).

---

(٨) وصمة ابن وكيع بالضعف فى اللغة فى مواضع شتى ينظر المنصف : ٢٢٦ ، ٤٧٨ .

(٩) ينظر الرسالة الموضحة : ٨٦ ، ٨٧ ، والابانه : ٥١ .

(١٠) الصبح المنبى : ١٤٣ .

من أخطائه اللغوية :

ابدال الهمزة على غير قياس :

بين ابن وكيع أن من أخطاء المتنبى الشائعة فى شعره حذف الهمزة على غير قياس ، ففى قول المتنبى :

كيف أكافى على أجل يد من لا يرى أنها يد قبلى ؟

يقول ابن وكيع : لم يهمز « آكافى » على غير قياس ، وما أكثر ما يسقط الهمزة من أبواب النحو ، وأنت ترى ذلك كثيرا فى شعره (١١).

فأخذ عليه ابدال الهمزة ياء على غير قياس وأصل الكلمة «أكافئ» فأجراها فى الوصل مجرى الوقف (١٢) .

وفى قوله :

لهفان يستوبى بك الغضب الورى لو لم ينهنهك الحجا والسؤدد

يقول ابن وكيع : « يستوبى » من الوباء ، وكان ينبغى أن يكون مهموزا ، ولكنه استعمل طرد القياس فى ترك الهمز ، وأبدل الهمزة ياء على غير قياس (١٣) .

ومراده باللهفان : الممتلىء غضبا وكربا ومعنى البيت : بقيت غضبان حتى استوبأ الناس الغضب الذى بك ، أى ظنوه وباء مهلكا لهم، لو لم ينهك سؤددك وحلمك عن اهلاكهم (١٤) .

وقد احذ عليه ابن وكيع ابدال الهمزة ياء على غير قياس وأصله

---

(١١) المنصف : ١٥٨ .
(١٢) ينظر شرح العكبرى : ١٧٣/٣ .
(١٣) المنصف : ٢٣٨ .
(١٤،١٥) شرح البرقوقى : ٥٩/٢ وشرح العكبرى : ٣٣٦/١ .

الكلمة : يستوبىء وذكر العكبرى أنه أبدل الهمزة ياء للضرورة وليس على سبيل التخفيف قياسا (١٥) .

وفى قوله :

بلد أقمت به وذكرك سائر   يشنا المقيل ويكره التعريسا

يقول ابن وكيع : أسكن الهمزة على ما جرت به عادته بغير قياس، ولو قال : يأبى المقيل ويكره التعريسا .. استراح من الضرورة(١٦).

فبين أن المتنبى أسكن الهمزة على غير قياس ، وهذه عادة لزمته فى شعره ، وذكر أنه لو قال : « يأبى » لاستراح من ركوب الضرورة .

وكلمة « يأبى » وان كانت خالية من المآخذ الا أنها لا تؤدى ما فى « يشنأ » من معنى البغض الشديد للمقيل .

وبين ابن وكيع أن اسقاط الهمزة عادة لازمة للمتنبى فى شعره ، وقد ذكر هذا فى مواضع متعددة من كتابه ، ونرى ذلك فى المثالين الأول والثالث كما نراه فى تعليقه على قول المتنبى :

محلك مقصـود ، وشانيك مفحم   ومثلك مفقود ونيـلك خضرم(١٧)

فقد قال : أسقط همزة «شانيك» وباب الهمز يسقط فى شعره(١٨).

وفى هذا التعليق وما يشبهه فى الأمثلة السابقة (١٩) غمز للمتنبى وسخرية منه واستهزاء به .

---

(١٦) المنصف : ٢٦٩ .

(١٧) الشانى : المبغض وأصله بالهمز ، والمفحم : الساكت ، والنيل : العطاء ، والخضرم : الكثير .

(١٨) المنصف : ٤٤٧ .

(١٩) ينظر المنصف : ٢٧٦ ، ٥٨٢ ففيهما ما يشبه هذا التعليق .

وذكر القزاز : أن مما يجوز للشاعر ابدال الهمزة فى الموضع الذى لا يقوم فيه الشعر بتحقيقها ولا بتخفيفها ، وذاك اذا كان قبلها متحرك (٢٠) •

وعلى هذا فابدال الهمزة ، فيما تقدم ضرورة شعرية جائزة •

استعمال اللغات الضعيفة :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى أنه يستعمل الضعيف والشاذ من الكلمات ، ففى قول المتنبى :

فوقفت منها حيث أوقفنى الندى   وبلغت من بدر بن عمار المنى

يقول : « أوقفنى » لغة ضعيفة غير مستعملة الا شاذا •• (٢١) •

فعابه على استعمال « أوقفنى » والمستعمل المشهور « وقفنى » وكلام بن وكيع صحيح ، ولكن فى كتب اللغة ما يجيز استعمال «أوقف» ففى الصحاح : حكى أبو عبيد فى المصنف عن الأصمعى واليزيدى أنهما ذكرا عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لو مررت برجل واقف فقلت له: ما أوقفك هاهنا ؟ لرأيته حسناً ، وحكى ابن السكيت عن الكسائى : ما أوقفك ها هنا ؟ وأى شىء أوقفك ها هنا ؟ ••• (٢٢) •

وعلى هذا فلا حرج على المتنبى فى استعمال « أوقف » ما دامت جائزة •

---

(٢٠) ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ١٥٨ •
(٢١) المنصف : ٤٤ •
(٢٢) الصحاح : مادة وقف •

حذف حرف النداء :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى حذفه حرف النداء فيما لا يجوز حذفه فيه ، ففى قول المتنبى :

هذى برزت لنـا فهجت رسيسا ثم انصرفت وماشفيت نسيسا(٢٣)

يقول ابن وكيع : حذف النداء من المبهمات لحن عند البصريين ، لأنه لا اعراب له يدل على ارادتك ، كما يدل قولك : « زيد أقبل » على المحذوف ، وهو فى المبهمات التى لا اعراب لها لا يدل على مرادك ، ويشكل ، ولا يجوز الا فى رواية شـاذة غـير موثوق بها ولا معوّل عليها (٢٤) .

والبيت مطلع قصيدة للمتنبى فى مدح محمد بن زريق الطرسوسى ، والرسيس : ما ثبت فى القلب من الهوى ، والنسيس : بقية النفس بعد المرض والهزال ، ومعناه : برزت لنا فحركت ما كان فى قلبنا من هـواك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليـه الهوى من نفوسـنا بالوصـال (٢٥) .

وقد عابه ابن وكيع بحذف حرف النداء من الاسم المبهم واصل الكلام : يا هذه ، وبين أن هذا لحن عند البصريين لعدم وجود الاعراب الدال على المراد .

وقد علق العكبرى على هذا البيت فقال : قال أبو الفتح ابن جنى تقديره : ياهذه ، حذف حرف النداء ضرورة ، وقال المعرى : « هذى »

---

(٢٣) فى الديوان : ثم انثنيت . شرح العكبرى : ١٩٣/٢ .
(٢٤) المنصف : ٢٦٥ .
(٢٥) شرح البرقوقى : ٣٠١/٢ .

موضوعة موضع المصدر ، وهو اشارة الى البرزة الواحدة ، أى هذه البرزة برزت لنا ، كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة وأنشد :

يا ابلى اما سلمت هذى فاستوثقى لصارم هذاذ

أو طارق فى الدجن والرذاذ

قال : وهذا تأويل لا يحتاج معه الى الاعتذار ، وأما قول أبى الفتح فهى ضرورة ، لأن حرف النداء لا يحذف الا عند نداء المعارف والمضاف، نحو قوله تعالى : « يوسف أعرض عن هذا » (٢٦) ، وقوله تعالى : « قل اللهم فاطر السموات والأرض » (٢٧) ولا يجوز حذفه عند النكرات ، كقولك : رجل « أقبل » فانه قد حذف منه أشياء ، لأنه ينادى بيأيها الرجل ، فحذف منه أى ، وها التنبيه ، والألف واللام ، فلا يجوز أن يحذف منه حرف النداء (٢٨) •

وذكر القاضى الجرجانى أن حذف حرف النداء هنا ضرورة،أجازها النحاة ، وقد أجازوا ذلك فى النكرات وهو أبعد فى الجواز من المعارف واستشهدوا بقول الشاعر :

صاح هل أبصرت بالخبتين من أسماء نارا

وقول العجاج : « جارى لا تستنكرى عذيرى » ••

واذا جاز هذا فى النكرات فهو فى المعارف أجوز (٢٩) •

---

(٢٦) سورة يوسف : ٢٩ •
(٢٧) سورة الزمر : ٤٦ •
(٢٨) شرح العكبرى : ١٩٣/٢ •
(٢٩) الوساطة : ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، وينظر ما يجوز للشاعر فى الضرورة

حذف نون يكن :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى حذف النون من « يكن » فى حال لا تحذف فيها ، ففى قوله :

جللا كما بى فليك التبريح　　أغذاء ذا الرشأ الأغن الشـيح

يقول : هذا بيت فيه عيوب منها : حذف النون من « يكن » لأنها قوية بالحركة اللازمة لالتقاء الساكنين • وعيب آخر : أنه حذفها مع الادغام ، وهذا غير معروف ، لأنه قيل فى بنى الحارث : بلحرث ، ولم يقل فى بنى النجار : بنجار ، وهو قد قال : فليك التبريح فحذف مع الادغام ... (٣٠) •

وقد تناقل شراح الديوان هذين العيبين ، والتمس بعضهم لـه مخرجا ، ونرى ذلك فى قول الواحدى : وقوله : « فليك التبريح » حذف النون لسكونها وسكون التاء الأولى من التبريح ، وليس حذفها هنا كحذفها هنا من قوله : لم يك شىء يا الهى قبلكا » • لأنهـا ضارعت بالمخرج والسكون والغنة حروف المد فحذفت كما يحذفن ، وهى فى فليكن التبريح قوية بالحركة ، لأن سبيلها أن تحرك ، فكان ينبغى ألا يحذفها، لكنه لم يعتد بالحركة فى النون لما كانت غير لازمة ضرورة ، ومثله :

لم يك الحق سوى أن هاجه　　رسم دار قد تعفت بالسرور

ومن أبيات الكتاب :

فلست بآتيـه ولا أسـتطيعه　　ولاك اسقنى ان كان ماؤك ذا فضل

واذا جاز حذف النون من ولكن مع أنه حذفت منه نون أخرى كان جائزا حذفها من فليك التبريح ، وفيه قبح من وجه آخر ، وهو أنـه حذف النون مع الادغام ، وهذا لا يعرف ، لأن من قال فى بنى الحارث

---

(٣٠) المنصف : ٢٨٨ •

بالحارث لم يقل فى بنى النجار بنجار الا أن يكون المتنبى حذف النــون من قبل ، ثم جاء بالمدغم بعد (٣١) ٠

وقال القزاز : كلام العرب : لم يك زيد عاقلا ، فاذا جاءت الألف واللام رجعت النون فيقال : لم يكن الرجل ، غير أن لها فيه اتساع ، وهى أنها تمنع شيئا لوجود غيره ، وربما اتسعت فجمعت بينهما ، كمــا قال بعضهم « اللهم » و « يا اللهم » فأدخل الياء فى النداء مع الميم وهى ممتنعة معها ٠٠٠ وتقلب هذا ، فتحذف شيئا لعدم غيره ، وربما حذفته وذلك محذوف أيضا كما كان أولا كقولهم : قاض ، فاذا أدخلت الألف واللام منعت التنوين فيقولون : القاضى ، وقد يحذفون الياء فيقولون: هذا القاض وأنشدوا :

فطــرت بمنصــلى فى يعملات ‏ ‏ ‏ ‏ دوامى الأيد يخطبن السريحا

فقال : الأيد ، والوجه أن يقول : الأيدى ، لأن الياء تثبت مــع الألف واللام ، فلما اضطر حذف الياء مع وجودهما ، وذلك أنه أدخلهما على محذوف وأبقاهما على الحذف ، وكذا هذا البيت : حذف النون كما يفعل العرب ، فلما أتى بالألف واللام ترك ذلك الحــذف على ما هو عليه (٣٢) ٠

تسـكين المتحرك :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى تسكين المتحرك ، ففى قوله :

وأنك بالأمس كنت محتلما ‏ ‏ ‏ ‏ شيخ معد وأنت أمردها

يقول ابن وكيع : يريد بأنك أنك ، وأنشد سيبويه :

---

(٣١) شرح الواحدى : ١٠٧ ٠ وينظر شرح العكبرى : ٢٤٣/١ ـ وينظر الفتح على أبى الفتح : ٩٦ ٠

(٣٢) ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ٣٣ ، ٣٤ ، ١١٠ ٠

ويوم تلاقينا بوجه مقســم كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

فى قول من نصب الظبية ، وفيه قبح ، لأن الاضمار يرد الأشياء الى أصولها ، والأصل الثقيلة ، ولو قال : أنت بالأمس » استراح من تعسف الاعراب ، ولكنه يؤثره (٣٣) .

فالمتنبى فى هذا البيت سكن نون « أنك » وهى فى الأصل مشددة، وقد بين ابن وكيع أن هذا قبيح ، لأن الاضمار يرد الأشياء الى أصولها فكان عليه أن يشدد النون ، ولكنه لجأ الى التعسف الذى يؤثره .

وهذا مما أخذه عليه الحاتمى فى رسالته (٣٤) . وحكم عليــه ابن جنى بالقبح فقال : ... أجرى المضمر مجرى المظهــر ... وفيه قبح لأن الاضمار يرد الأشياء الى أصولها فى أكثر الأمر ، والاصــل بثقيل النون ، الا أنه قد جاء مثله فى ضرورة الشعر ، وهو على كل حال قبيح (٣٥) .

وفى قول المتنبى :

الى القابض الأرواح والضيغم الذى
يحدث عن وقفاته الخيل والرجل

يقول ابن وكيع : والصحيح « عن وقفاته » بفتــح القاف ــ لا تسكينها ــ والتسكين من مألوف ضروراته (٣٦) .

فأخذ عليه تسكين القاف على غير قياس ، قال العكبرى : وقفاته:

---

(٣٣) المنصف : ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٣٤) الرسالة الموضحة : ٥٨ .
(٣٥) الفسر : ٢/٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٣٦) المنصف : ٢١٨ .

جمع وقفة ، وفعلة تجمع على فعلات بفتح الفـاء والعين ، اذا كانت اسما ، واذا كانت صفة جمعت على فعلات بسكون العين ، قال أبو الفتح: سكن القاف للضرورة (٣٧) .

وذكر القزاز : أنه يجوز للشاعر اسكان المفتوح اضطرارا ، وقد جاء فى الشعر ، وساق بعض الشواهد على ذلك (٣٨) .
وفى قول المتنبى :

ومن لبه مع غيره كيف حاله ومن سره فى جفنه كيف يكتم

يقول ابن وكيع : اسكانه « مع » من ضروراته التى يكثر استعماله اياها (٣٩) .

فأخذ عليه تسكين « مع» وغمزه بكثرة استعمال الضرورات .

وقد بينا جواز اسكان المفتوح للضرورة آنفا .

الخطأ فى صياغة اسم التفضيل :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى صياغته لاسم التفضيل على غير القياس المتعارف عليه عند اللغويين . ففى قوله :

أبعد بعدت بياضا لا بياض له لأنت أسود فى عينى من الظلم

يقول ابن وكيع : سامح أبو الطيب نفسه فى هذا ، ولم يبلغ علمه الى ما فيه عليه ، لأن العرب لا تقول : أسود من كذا ، ولا أحمر من كذا انما تقول فى الألوان : أشد سوادا وأشد حمرة ، هذا رأى البصريين،

---

(٣٧) شرح العكبرى : ١٨٥/٣ .
(٣٨) ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ٨٢ .
(٣٩) المنصف : ٤٤٢ .

وما ورد ما قاله أبو الطيب الا فى بيتين شاذين غير مأخوذ بهما ولا معول عليهما ، فأحدهما :

جارية فى درعها الفضفاض   أبيض من أخت بنى اباض

والآخر :

اذا الرجال شتوا واشتد أكلهم   فأنت أبيضهم سربال طباخ(٤٠)

وقد خطأ ابن وكيع المتنبى بناء على رأى البصريين ، وكان عليه أن يشير الى رأى الكوفيين ، فهذا جائز على مذهبهم ، كما أن له تخريجات لدى الشراح • قال الواحدى : سمعت العروضى يقول : أسود ها هنا واحد السود ، والظلم الليالى الثلاث فى أواخر الشهر ، والمتنبى يقول لبياض شيبه أنت عندى واحدة من تلك الليالى الظلم ، وقال أبو الفتح ابن جنى يمكن أن يكون لأنت أسود فى عينى كلاما تاما ، ثم ابتدأ بصفة فقال من الظلم كما تقول : هو كريم من أحرار (٤١) •

ورد ابن سيده على من خطأ المتنبى فى قوله : أسود فى عينى من الظلم بحجة أن المفاضلة لا تقع مما زاد على ثلاثة أحرف الا بأشد ونحوه فقال : وهذا منهم غلط لأن « أفعل » هنا ليست للمفاضلة ، و « من » ليست متعلقة بأسود على حد تعلق من بأفضل فى قولك : زيد أفضل من عمرو ، وانما هو كقولك : لأنت أسود معدود من الظلم فى عينى ، فـ «من» غير متعلقة بأسود كتعلق من بأفعل التى للمفاضلة ، وانما هى فى موضع رفع حالة محل الظرف ••• (٤٢) •

---

(٤٠) المنصف : ١٩٧ •

(٤١) شرح الواحدى : ٥٣ •

(٤٢) شرح مشكل شعر المتنبى : ٤٨ •

وفى قول المتنبى :

شيم الليالى أن تشكك ناقتى صدرى بها أفضى أم البيداء

يقول ابن وكيع : فقال « أفضى » وهو رباعى من « أفضى يفضى » وكان ينبغى أن يقول : أشد افضاء ، فلحن ... (٤٣) .

وفى قول المتنبى :

فرءوس الرمـاح أذهب للغيـ ـظ وأشفى لغل صدر الحقود

يقول ابن وكيع : فقوله : « اذهب للغيظ » لحن ، لأنه يقال:ذهب به فأذهبه فكان يجب أن يقول : أشد أذهابا للغيظ ، أو يقول : أذهب بالغيظ ، ليسلم من الخطل ، ولكنه لم يفـرق بين الأمرين لضـعفه فى العربية (٤٤) .

وحكم ابن وكيع على المتنبى بالضعف فى العربيـة غير سـديد ، والمتنبى لم يلحن كما قال ، فاستعمل أفعل من الافعال ضرورة شعرية قال الواحدى : ولا يبنى أفعل من الأفعال الا فى ضرورة الشعر(٤٥) ، على أنه لو قال : أذهب بالغيـظ لاسـتغنى عن هذا كله ، كما ذكر ابن جنى (٤٦) .

القياس فيما ينبغى فيه السماع :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى استعماله للقيـاس فيما ينبغى فيه السماع عن العرب ففى قوله :

---

(٤٣) السابق : ٤٧٦ .
(٤٤) السابق : ١٥٢ .
(٤٥) شرح الواحدى : ٣٣ .
(٤٦) ينظر شرح ابن جنى : ٢/٣١٨ .

أحاد أم سداس فى أحاد لييلتنا المنوطة بالتنادى

يقول ابن وكيع : أى ست ليال فى ليلة ، وما عدلت العرب أكثر من رباع ، ولكن أبا حاتم حكى أن العرب تقول : أحاد الى عشار ، وكان قال : لا يجوز ، ثم عاد فأجازه واستشهد بقول الكميت :

ولم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا

وما أراه رجع الا ببيت الكميت ، أو ما علم أن الأصمعى قال : تقول العرب : برق ورعد ، وأنشد :

فاذا حللت ودون قومى غاوة فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد

فقيل له : قال الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيـ ـد فما وعيدك لى بضائر

فقال الأصمعى : الكميت مولد ، لا يحتج بشعره .

فعلى هذا فقد استعمل المتنبى المختلف فيه ، وقاس على كلام العرب الذى ينبغى أن يأخذ لغتهم سماعا تأتى بما أتت فيه اتباعا .

وصغر « ليلة » على لفظها،وقد سمع منه لييلته كأنه تصغير ليلاة، وان لم يسمع ذلك ، وهذا التصغير تصغير التعظيم ، كقول بعض الأنصار : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » وعلى هذا تصغير الأسماء مثل : كليب عمير وما أدرى لم أراد وصف هذه الليلة بالطول، واقتصر على سداس . لم اقتصر على سداس فيقول : أحاد فى عشار فيكون أطول لما أحب وصفه بالطول ؟ ثم أخبر أنها موصولة بالتنادى ، يعنى بالتنادى الرحيل ، فكأنما المسافة بينه وبين وقوع التنادى ست

دليل على قياس لفظه ، وهذا كلام به من قلة الماء وبهجـة الرواء ما ترى ! (٤٧) .

وهذا البيت مما ناظر فيه الحاتمى أبا الطيب ، وأطال الحوار معه فى شـأنه (٤٨) .

ومن تأملنا فى نقد ابن وكيع نراه يحوى ثلاثة مآخذ :

عدل « سداس » وما سمع أكثر من « رباع » ، وتصغير ليلة على لفظها ، واقتصاره على سداس دون أن يقول : عشار ليكون أطول .

وذكر القاضى الجرجانى أن أبا الطيب سئل عن « سداس » فقال: انه قد جاء عن العرب خماس وسداس الى عشـار ، حكاه أبو عمرو الشيبانى وابن السكيت ، وذكره أبو حاتم فى كتاب الابل وزعم أبوعبيدة فى المجاز أنه لا يعلمهم قالوا فوق رباع وهؤلاء ثقات لم يحكوا الا بما علموا وقد جاء ذلك فى الشعر ... (٤٩) .

وقال القزاز : ان القول بأن العرب لم تجاوز فى العدل « ربـاع » ادعاء لا دليل عليه ، لأن القيـاس لا يمنعـه ، وقد أتى فى الشعر عشـار (٥٠) .

وتصغير ليلة على لفظها جائز ولا يمتنـع فى الكلام فضـلا على الشعر ، والعرب تقول فى تصغير رجل رجيل ورويجل فمن صغره رجيلا

---

(٤٧) المنصف : ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
(٤٨) ينظر الرسالة الموضحة : ٩٨ ـ ١٠٢ .
(٤٩) الوساطة : ٤٥٧ .
(٥٠) ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ٢٩٠ .

صغره على لفظه ، ومن قال رويجل قال معنى رجل وراجل واحد فصغره على المعنى ، فلا مطعن فى تصغير ليلة على لفظها (٥١) .

ووجه الاقتصار على سداس ، أن الأعداد اذا استوت فى المعـنى لم يحظر ذكر أحدها ، ولو قال : خماس أو رباع لكان الأمر واحدا ، ولو بلغ العشار لم يزده غير فضل الاستطالة ، وليس على الشاعر اذا بالغ فى وصف أن ينتهى الى الغاية ولا يترك فى الافراط مذهبا ، عـلى أنه يجوز أن يكون قصد استيفاء الأسبوع ... حيث صارت الأيام سبعا (٥٢) .

اضافة ذو الى الضمير :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى اضافة « ذوات » التى بمعـنى صاحبات الى الضمير خلافا لسيبويه والبصريين ، ففى قوله فى مطلـع قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران :

سرب محاسنه حرمت ذواتهـا دانى الصفات بعيد موصوفاتها

يقول ابن وكيع : السرب : القطيع من الظباء ، والبقر ، والطير ، والشاء ، « وذوات محاسنه » صواحب محاسنه ، وأول هذه القصيدة لحن عند سيبويه وجميع البصريين ، لأنهم لا يجيزون اضافة « ذو » وأخواتها الى المضـمر ، لأنهـم لا يجيزون : ضربت ذاه ، يريدون صاحبه (٥٣) .

---

(٥١) ينظر ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ٢٩ ، ٣٠ بتصرف .
(٥٢) الوساطة : ٤٥٨ .
(٥٣) المنصف : ٥٩٦ .

فأخذ عليه اضافة « ذوات » الى الضمير خلافا لسيبويه والبصريين ، وقد أجاز المبرد هذه الاضافة ، كما أجازها الكوفيون (٥٤).

وذكر ابن فورجه أن قوله : حرمت ذواتها ، يعنى حرمت ذوات محاسنها ، وذوات محاسن السرب هى السرب بعينه ، أى حرمت وصال هذا السرب (٥٥) .

تشديد نون "لدن" :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى تشديد نون « لدن » فى موضع لا تشدد فيه ، واستعمالها بغير « من » ففى قول المتنبى :

فأرحام شعر يتصلن لدنه وأرحام مال ماتنى تتقطع

يقول ابن وكيع : هذا من لحونه ، انما تشدد النون مع النون نحو: لدنى ، ولدنا ، واستعمل لدن بغير « من » وما يكاد يستعمل الا « بمن » قال الله عز وجل : « من لدن حكيم عليم » (٥٦) . واستعماله أقفاء الكلام انما يجوز ، تطلب له الوجوه اذا كان ذلك من بدوى يتكلم بطبعه، فأما لمثله فلا (٥٧) .

وهذا مما أخذه عليه ابن جنى حيث ذكر أن فى تشديد النون قبح وبشاعة اذا لم يكن بعد النون نون (٥٨) .

---

(٥٤) ينظر شرح العكبرى : ٢٢٥/١ .
(٥٥) الفتح على أبى الفتح : ٨٨ .
(٥٦) النمل : ٦ .
(٥٧) المنصف : ١٧٨ .
(٥٨) الصبح المنبى : ٣٤٧ .

تذكير المؤنث :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى تذكير كلام عائد على مؤنث ففى قولـــه :

مثلت عينك فى حشاى جراحــة فتشـــابها كلتاهما نجـــلاء

يقول : كان يجب أن يقول : فتشابهتا ، ولكن العين تأنيثها غـير حقيقى ، ولو استعمل القياس على قوله لقـــال : فكلاهما أنجـــل ، أو فتشابهتا وكلتاهما نجلاء (٥٩) .

وقول ابن وكيع ولكن العين تأنيثها غير حقيقى ، اعتراف بجـــواز ما فعله المتنبى ، لأن المؤنث المجازى يؤنث ضميره ويذكر .

منع المصروف من الصرف :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى منعـــه الأســـماء المصروفة من الصرف ، ففى قوله :

فى رتبة حجب الورى عن نيلها وعلا فســـموه على الحاجبـــا

يقول ابن وكيع : ... ولم يصرف عليا للضرورة ، فحذف التنوين لسكونه وسكون اللام بعده ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

تذهل الشيخ عن بنيه وتبـــدى عن خدام العقيلـــة العذراء

فقال عن خدام بالكسر ولم ينون ، وأراد عن خدام بالتنوين (٦٠) .

وابن وكيع فى هذا الموضـــع يرى أن ما فعله المتنبى من منـــع

---

(٥٩) المنصف : ٤٧٤ . وينظر : ٥٣٠ ففيها مثال آخر وقد ذكرناه فى نهاية تعقيبنا على المآخذ اللغوية .

(٦٠) المنصف : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

المصروف من الصرف ضرورة شعرية ورد مثلها عند من يحتج بشعرهم من المتقدمين ، وعلى هذا فهي جائزة .

وفي موضع آخر يتناول هذه الضرورة بالتفصيل ، ففي قول المتنبي:

الى البدر بن عمار الذي لـــم ... يكن في غرة الشهر الهـــلالا

يقول : لم ينون « عمارا » فان كان ذهب الى قول الفراء — وهو المعروف — فقد ذهب مذهبا ، لأنه يقول ان حقها ألا تصرف لثقلها .
واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

لمصعب عند جد الأمـــ ... ـــر أكثرها وأطيبهـــا

وقد روى الكوفيون :

لما عصى مصعب أصـــحابه ... أدى اليه الكيل صاعا بصاع

وقال الأصمعي : انه لما أراد : لما عصى أصحابه مصعبا ، هرب من ترك الصرف ، وجميع البصريين لا يجيزون ترك صرف ما ينصرف ، هذا اذا فتح « عمارا » ، فان كسره ، فلا وجه له الا على قول عبيد الله ابن قيس الرقيات :

تذهل الشيخ عن بنيه وتبـــدي ... عن خدام العقيلة العذراء(٦١)

ومجمل القول أن منع المصروف من الصرف ضرورة شعرية أجازها قوم من النحويين محتجين بشواهد كثيرة منها قول عباس بن مرداس :

وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

فترك صرف « مرداس » ومثلـــه ينصرف وهـــذا من الضرورات الجائزة (٦٢) .

---

(٦١) المنصف : ٥١٩ ، ٥٢٠ .
(٦٢) ما يجوز للشاعر في الضرورة : ٨٤ .

الخطأ في النسب :

ومن مآخذ ابن وكيع على المتنبى خطؤه فى النسب ففى قوله :

سميت بالذهبى اليوم تسـمية مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب

يقول : وذهاب العقل لا ينسب اليه ذهبى ، بل ذهابى ، وما أحسن الاشـتقاق ، وهو قليل المحـاسن ، وكان ينبغى اذا أتى به أن يكون لفظه فائقا ومعناه فيه رائقا(٦٣) .

والبيت من مقطوعة يهجو بها « الذهبى » قالها فى صباه ، ومعناه : أنك سميت بالذهبى تسمية محدثة لا أصل لها ، وهى ليست مأخوذة من الذهب ولكنها من ذهاب العقـل .

حول المآخذ اللغوية :

رأينا فيما سبق بعض المآخذ اللغوية التى أخذها ابن وكيع على المتنبى ، ولا ننكر أن بعض هذه المآخذ من الأخطاء اللغوية التى كان على المتنبى أن يتنزه عنها وهو الشاعر الفحل الذى لا يشق له غبار .

الا أنه من الانصاف أن نقول : ان كثيرا من هذه المآخذ قد خرجه بعض العلماء على وجه من الصحة ، كما أن كثيرا منها مما يجوز للشاعر فى ضرورة الشعر ، وقد بينا ذلك فيما ذكرناه من أمثلة ، وبناء على هذا فلا تعد عيبا يحصى على المتنبى ويسجل فى قائمة عيوبه ، ويشهر به على أساسها .

وابن وكيع يعرف أن كثيرا مما ذكره من مآخذ لغوية ، له تخريج عند بعض العلماء ، ومن ثم نراه فى بعض الأحيان يسوق تخريجهم ،

---

(٦٣) المنصف : ٥٧٩ .

ويورد احتجاجهم للمتنبى ، ولكنه لا يقتنع به فيبين أنه احتجاج ضعيف، وقد يعيب من يقولون به ففى قول المتنبى :

لو نيطت الدنيا بأخرى مثلها لعممنها وخشين أن لا تقنعا

يقول ابن وكيع : قوله : « لعممنها وخشين » ضعف فى الصنعة ، واحتج له بعض النحويين فقال ، قال : « خشين » لأنه أراد جملة الدنيين وجميع ما فيها فذهب الى الجمع كما قال عز وجل : « قالتا أتينا طائعين » (٦٤) ومعناه : لعممتها وخشيت مفاخرك ألا تقنع لك بالدنيين •

وهذا احتجاج ضعيف ، وذلك أن السماء سبع والأرض سبع على معنى هذا الجمع ، فأما الدنيا فلم يقل فيها شيء من هذا ولو قال : « وخشيت » لصح الوزن وكان أوضح لمراده (٦٥) •

والبيت من قصيدة فى مدح عبد الواحد بن العباس الكاتب ، والضمير فى « عممنها » للمفاخر المذكورة فى بيت سابق ، ومعنى البيت: أن الدنيا لو ضمت اليها مثلها لعمتها مفاخرك وهمتك ، وخافت ألا تقنع منها بذلك •

وقد أخذ عليه « ابن وكيع » قوله « وخشين » وهو يتحدث عن شيئين والأصل أن يقول : وخشيتا » ولم يقتنع بما ذكره بعض النحويين فى تصحيح هذا ، وقد روى البيت برواية أخرى جاء فيها « اعممتها » بالتاء والضمير للممدوح ، « وخشيت » بالضم والضمير للمتنبى ، وفى هذه الرواية لا مأخذ على البيت (٦٦) •

---

(٦٤) فصلت : ١١ •

(٦٥) المنصف : ٤٥٩ •

(٦٦) ينظر شرح العكبرى : ٢٦٧/٢ وشرح البرقوقى : ١٠/٣ •

وفى قــول المتنبى :

كفى ثعــلا فخــرا بأنك منهم ودهر لأن أمسيت من أهله أهل

يقول ابن وكيع : معناه : ودهر أهل لأن أمسيت من أهله،والدهر مرفوع بفعل مضمر يدل عليه أول الكلام ، كأنه قال : وليفخر دهر ، وهذا أكثر ما يمكن من الاحتجاج له ، اذ لا مرفوع ها هنا يعطف عليه، ولا وجه أرفعه بالابتــداء الا على حــذف الخبر ، والفعل أقــوى ، والاحتجاج له ضعيف ، لأنه جاء اما من ضعف عام ، أو تكلف اغراب ليجيب بهذا الجواب ، ومثل هذا من المحدثين قبيح(٦٧) •

فبين وجه رفع « دهر » وأشار الى أن الاحتجاج له ضــعيف ، وأخذ تعادته فى السخرية من المتنبى بعزو ما وقع فيه الى أحد أمرين: اما ضعفه فى العربية ، واما تكلف الاغراب ليسأل عن ذلك فيجيب بما ذكر من الاحتجاج • وقد تكرر هذا القول الساخر من ابن وكيــع فى مراضع أخرى(٦٨) •

وفى قــول المتنبى :

ولقد دهشت لما فعلت ودونه ما يدهش الملك الحفيظ الكاتبا

يقول ابن وكيع : قال : « دهشت لما فعلت » فصيره ثلاثيا ، وقال: « يدهش » فصيره رباعيا ، وهذا تحكم على لسان العرب ، وقد احتج له بعض المحتفين به ، فقال : هذا يدل على انفراد ما لم يسم فاعــله بفعل يختص به كما تختص بعض الفاعلين بفاعل لا يذكر معها المفعول نحو : قام زيد وقعد عمرو ، ومثله : حم وأحمه الله ، وبر حجه وأبره الله ، فجعل هذا الرجل ما هو مسموع قياسا يطرد عليــه حتى كأنه فى

---

(٦٧) المنصف : ٢٢٦ •

(٦٨) ينظر التعقيد ص من هذا الكتاب •

شعر الهذليين،وكأنه ورد عليه من رؤبة والعجاج ما يجعله أهلا له(٦٩) ... فأخذ عليه مجيئه بالفعل الماضي « دهش » ثلاثيا وهو بمعنى تحير ، ثم جاء به فى المضارع رباعيا فقال « يدهش » وهو من « أدهش » ، وساق احتجاج ابن جنى له(٧٠) ووصفه بأنه بعض المحتفين به ، ورد هذا الاحتجاج بعلة أن هذا مقصور على السماع ، وليس قياسا مطردا ، والمتنبى ليس أهلا لأن يسمع منه ، فلا هو من الهذليين ولا هو رؤبة ولا العجاج •

وقد يسوق ابن وكيع احتجاج بعض العلماء لصحة قول المتنبى ولا يحكم عليه بقبول أورد ، ولكن يشترط لسلامة قول المتنبى أن يكون الاحتجاج صحيحا •

ففى قول المتنبى :

فلقين كل ردينيــة ومصبوحة لبن الشائل

يقول . المصبوحة : الفرس التى تسقى صبحا ، والشائل : التى لا لبن لها ، والشائلة : التى بقى بقية من لبنها • وقد سئل عن هذا فقال : اردت الهاء فحذفتها ••• وقال بعض النحويين(٧١) : الشائل: التى شال لبنها ، والقياس يوجب ذلك ، لأنه يشاركها فيه الذكر،كما أن القياس فى الشائلة هى التى تشول بذنبها لأنها يشاركها فيه الذكر، وهو القياس • فإن استعمل هذا القياس سلم المتنبى من أن يكون حذف الهاء ضرورة(٧٢) •

---

(٦٩) المنصف : ٤٤١ •
(٧٠) ينظر شرح العكبرى : ١٣٣/١ •
(٧١) يعنى ابن جنى •
(٧٢) المنصف : ٦٢٧ •

فبين ابن وكيع أنه حذف التاء . وساق احتجاج ابن جنى له،ولم يجزم بصحة كلام ابن جنى ولكن اشترط أن يكون قياسه مستعملا حتى يسلم قول المتنبى من ركوب الضرورة .

كما يدرك ابن وكيع أن كثيرا من مآخذه اللغوية على المتنبى جائز فى ضرورة الشعر ، ومن ثم نراه يشير الى ذلك فى بعض المواضع ، ففى قول المتنبى :

هو المغنى المذاكى والأعادى   وبيض الهند والسمر الطوالا

يقول : اسكانه «الأعادى» من ضروراته الجائزة فى الشعر(٧٣) .

والبيت من قصيدة فى مدح بدر بن عمار ، والمذاكى : الخيل المسنة ، وبيض الهند : السيوف ، والسمر : الرماح ، وقد سكن الأعادى ، والأصل فيها أن تكون منصوبة بفتحة ظاهرة ، وبين ابن وكيع أن هذا من الضرورات التى وقع فيها المتنبى ، وهى ضرورة جائزة فى الشعر .

وفى قول المتنبى :

خذ من ثناى عليك ما أسطيعه   لا تلزمنى فى الثناء الواجبا

يقول : قصر الممدود ، وذلك جائز فى الشعر للضرورة ، ولو قال: « خذ من ثنائى فيك » استراح من الضرورة(٧٤) .

فبين ابن وكيع أنه قصر الممدود وهذا جائز فى الشعر ، وروى العكبرى : أن على بن سعد قال : سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدودا فى شعرى الا هذا الموضع(٧٥) .

---

(٧٣) المنصف : ٥٢٤ .
(٧٤) السابق : ٤٤٠ .
(٧٥) شرح العكبرى : ١٣٣/١ .

وهذا القول غير صحيح فقد قصر المتنبى الممدود فى بيت آخـر هو قـوله :

نازعته قلص الركاب : وركبها خوف الهلاك حداهم التسبيح

فقوله : حداهم ، أصله : حداءهم ، فقصر الحداء للضرورة وقد عرض ابن وكيع لهذا البيت وبين قصره للممدود وذكر أن هذا جائز فى ضرورة الشعر ، واستدل بقول المبرد فى جوازه(٧٦) ، وقد عرضـنا لهـذا البيت قبل ذلك(٧٧) .

وذكر ابن وكيع أن المتنبى لو قال : « خذ من ثنائى فيك » لاستراح من الضرورة ، ولكنه سيكون قد عدى فعـل الثناء بفى والمشـهور تعديته بعلى .

وفى قـول المتنبى(٧٨) :

ورمى وما رمتا يداه فصابنى سهم يعذب والسهام تريح

يقول ابن وكيع : ثنى الفعل فى تقدمه على مذهبه فى التسامح ، وقد ورد ذلك فى أشعار العرب قال الفرزدق :

ولكن ديافي أبوه وأمـه بحيران يعصرن السليط أقاربه(٧٩)

فأشار الى تثنيته للفعل مع تقدمه ، وغمزه بالتسامح والتساهل ، وبين أن هذا مما ورد فى أشعار العرب فهو جائز .

---

(٧٦) ينظر المنصف : ٢٩٧ .
(٧٧) ينظر هذا الكتاب ص
(٧٨) من قصيدة فى مدح مساور بن محمد الرومى بشرح العكبرى ٢٤٣/١ .
(٧٩) المنصف : ٢٩٢ .

ومع اعتراف ابن وكيع بوقوع الضرورات فى الشعر الا أن قسوته على المتنبى جعلته لا يعتد بها فى كثير من الحالات ، وقد يسخر منه فيعزو وقوعه فى الضرورات الى عدم علمه بها •

ففى قــول المتنبى :

ليس بالمنكر ان برزت ســبقا   غير مدفوع عن السبق العراب

يقول ابن وكيع : ذكر المؤنث ها هنا ، ولا فرق بين أن يقول مثل هذا ، أو يقول : الهندات قائم ، وذلك غير جائز ، وليس يتعمد ركوب هذه الضرورات ، ولكن يغيب عنه علمها(٨٠) •

فالمتنبى ذكر الكلام فى مقام التــأنيث والوجه أن يقول : غــير مدفوعة عن السبق العراب • كما تقول : هند غــير مصروفة ، وقــد عد ابن جنى هذا من قبيل الضرورات(٨١) ، وهذا فى نظر ابن وكيع غير جائز ، ووقوع المتنبى فيه ناتج عن عدم علمه وقلة معرفته •

واذا كان ابن وكيع قد عاب المتنبى وسخر منه لركوبه الضرورات، فقد حمل عليه فى بعض المواطن لعدم لجوئه الى الضرورة حتى يعذب لفظه ويرق شعره ، ففى قول المتنبى(٨٢) :

أشاروا بتسليم فجدنا بأنفس   تسيل من الآماق والسم أدمع

يعجب ابن وكيع من تفاصح المتنبى بذكر لفظ « السم » يريد به « الاسم » مع أنه لغة فيه ، ويرى أنه لو قال « والاسم » بقطع همزة

---

(٨٠) السابق : ٥٣١ •

(٨١) ينظر شرح العكبرى : ١٣٥/١ ، والبيت من قصيدة فى مدح بدر بن عمار •

(٨٢) من قصيدة فى مدح على بن أحمد الخراسانى • شرح العكبرى ٢٣٥/٢ •

الوصل لضرورة الشعر لكان قوله أملح ولفظه أعذب ، ثم يقول : ولعل بعضا من المتشدقين أن يعارض هذا القول ، ويقول : الخيار له فى ركوب الضرورات ، والجواب عن ذلك : أن أبا الطيب أكثر الناس ركوبا للضرورات والمجازات أولا ، وأيضا ، فان أشعار المحدثين لا يراد منها استفادة علم وانما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها ، وقرب مأخذها ، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين فى غلبة الغريب على أشعارهم ... ما رويت ... وانما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام(٨٣) .

فابن وكيع لم يعجبه لفظ « السم » مع أنه لغة فى « الاسم » وفضل عليه لفظ « الأسم » بقطع همزة الوصل ضرورة لعذوبته ورقته، وما أكثر ما يركب المتنبى الضرورات ، فما كان أحراه بأن يلجأ اليها فى هذا الموضع .

وتفضيل ابن وكيع ركوب الضرورة حفاظا على عذوبة الشعر رأى فيه توسعة على الشاعر ونظرة الى جانب الفن ، وعوامل تأثيره فى النفوس ، ولكنه لم يلتزم به فى نقده لشعر المتنبى ، فكم عابه من أجل ضرورة شعرية جائزة ؟؟ وتحامل عليه غير عابىء بتخريجات أو تأويلات .

ثانيا : الأخطاء غير اللغوية :

ونعنى بها ما يكون فى الألفاظ من عيوب لا تتصل باللغة صرفا ونحوا ، ككونها غير عربية ، أو متكلفة أو قاصرة عن أداء المعانى ونحو ذلك كما سنرى فيما يلى :

---

(٨٣) ينظر المنصف : ١٧٣ ، ١٧٤ .

١ ـ استعمال الألفاظ العامية :

وقد أخذ عليه ابن وكيع ذلك فى بعض أبياته ، ففى قوله :

بياض وجه يريك الشمس حالكة   ودر لفظ يريك الدر مخشلبا

يقول ابن وكيع : جعل أبو الطيب كلام العامة لغة وأصلا يبنى عليه ، ويستند اليه ، أى عربى عرف المخشلب قط ؟ وفى أى شعر ورد لفصيح أو مولد حتى نجيزه له(٨٤) .

ومعنى البيت : نور وجهه يغلب نور الشمس ، فاذا قابلها أراكها سوداء ، ولفظه أحسن من الدر ، فاذا نطق أراك الدر خرزا(٨٥) .

وهو معيب عند ابن وكيع بسبب لفظ « مخشلب » فهو من كلام العامة الذى لا يصلح أن يكون لغة ، ولم يرد فى كلام فصيح فلا يكون مقبولا من المتنبى .

والمخشلب كلمة نبطية تطلق على حجارة البحر التى تشبه الدر وليست به ، قال الواحدى : والمخشلب هو الخرز المعروف ، وليست عربية ، ولكنه استعملها على ما جرت به العادة ، ويروى مشخلبا ، وهما لغتان للنبط فيما يشبه الدر من حجارة البحر وليس بدر ، والعرب تقول له الخضض(٨٦) .

وعلى هذا فالكلمة ليست عامية انما هى لغة نبطية ، وفرق بين العامى وبين ما هو من لغة أخرى ، فاستعمال بعض الألفاظ غير العربية وارد فى فصيح الكلام من شعر ونثر .

---

(٨٤) المنصف : ٣٦٤ .

(٨٥) شرح العكبرى : ١/١١٣ .

(٨٦) شرح الواحدى : ١٥٦ .

والعرب تستعمل كثيرا من ألفاظ العجم اذا احتاجت اليه لاقامة الوزن واتمام القافية ، وقد تتجاوز ذلك الى استعماله مع الاستغناء عنه ... وليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم فى أمثال ذلك اذا احتاج اليه ... وقد استعمل العجاج فى قوافى جيميته ألفاظا منه،قال:

— كما رأيت فى الملاء البردجا —

يريد الرقيق ، وهو بالفارسية برده(٨٧) .

وفى قول المتنبى :

ان بعضا من القريض هذاء ليس شيئا وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والفضـ ـل ومنه ما يجلب البرسام

يقول ابن وكيع : قال البرسام ، وليس فى كلام العرب الا البلسام ... قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : يقال : تبلسم الرجل ، ولا تعرفه العرب بالراء(٨٨) .

فأنكر عليه استعمال « البرسام » بحجة أنه ليس فى كلام العرب الا البلسام كما حكى ثعلب .

وكلام ابن وكيع غير صحيح اذ ورد « البرسام » بالراء فى كتب اللغة ، قال الجوهرى : البرسام علة معروفة ، وقد برسم الرجل — بضم الباء وكسر السين — فهو مبرسم — بضم الميم وفتح السين(٨٩) وعلى هذا فلا مطعن فى البيت .

(٨٧) الوساطة : ٤٦١ ، ٤٦٢ .
(٨٨) المنصف : ٥٧٦ .
(٨٩) الصحاح : مادة برسم .

٢ ــ التفاصح والتعجرف فى استعمال الألفاظ ، ففى قول المتنبى :

اذا عـذلوا فيها أجبته بأنه حبيبتا قلبا فؤادا هيا جمل

يقول ابن وكيع : هذا ترقق جاف متكلف ، ومتفاصح متعجرف ، وليس هذا مما يطلب له استخراج سرقة(٩٠) •

فعابه ابن وكيع لأنه استعمل الألفاظ على وجه متكلف وهو يحسب أن هذا من الرقـة فى مقام الغزل ، ولكنـه ترقق مذموم وتفاصـح وتعجـرف •

والبيت من قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى • وحبيبـة تصغير حبيبة وجمـل اسم امرأة ، قال ابن جنى : أبدل اليـاء من « حبيبتا » و « قلبا » • و « فؤادا » فى النداء ألفا تخفيفا ، وأراد يا حبيبتى ، يا قلبى ، يا فؤادى ، يا جمل(٩١) •

وقال الواحدى : يجوز أن تكون الألف فيهما للندبة أراد يا حبيبتاه ، يا قلباه ، يا فؤاداه ، فحذف الهاء ، وقال ابن فورجة : أراد يا حبيبتاه فأسقط الهاء لدرج الكلام(٩٢) •

وفى البيت تكلف واضح ، ومن ثم جعله الحاتمى من مستغلق كلامه وجافى تشـبيبه(٩٣) •

ومعناه : اذا لامونى فى هذه المحبوبة لم ألتفت الى كلامهم ، وانما أجيبهم بالأنين أنة بعد أنة ، وأقول : يا حبيبتا ، يا قلبا ، يا فؤادا ، يا جمـل(٩٤) •

---

(٩٠) المنصف : ٢١٦ •

(٩١،٩٤) ينظر شرح العكبرى : ٣/١٨٢ •

(٩٢) شرح الواحدى : ٦٧ •

(٩٣) الرسالة الموضحة : ٤٦ •

وفى قــول المتنبى :

المنبهات عيوننا وقلوبنا وجناتهن الناهبات الناهبا

يقول ابن وكيع : هذا كلام متكلف ، ولفظ متعجرف(٩٥) •

فذمه بالتكلف والتعجرف لاستعماله الألفاظ على وجــه أدى الى الغموض المذموم ، وهو محق فى حكمه •

والبيت من قصيدة فى مدح على بن منصور الحاجب ، ومعناه : اللواتى جعلن قلوبنا وعقولنا نهبا لو جناتهن ، يسببينها بحسنهن • ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب أى الرجل الشــجاع المغوار الذى ينهب الناس بعد أن أبلى البلاء الحسن فى الحرب(٩٦) •

وقد رأينا المتنبى فى هذين المثالين يلجأ الى التكلف ولعلــه كان يتعمد ذلك فى بعض الأحيان ليدل على قدرته وتمكنه ، وهذا ما جعــل ابن وكيع يصمه بالتفاصح والتعجرف والجفاء •

٣ ــ استعمال الألفاظ الرديئة التى لا تليق بالمقامات التى اســتعملت فيهــا ، ومن ذلك ما فى قوله :

فأنجم أمواله فى النحوس وأنجم سؤاله فى الســعود

يقول ابن وكيع : صدر هذا البيت لفظ يتطير من مثله فى أن يجعل أمواله منحوسة ، وان كان مراده تفريقها وتبديدها • وأحسن من هذا قــول أبى تمام :

طلعت نجومك للخليفة أســعدا وعلى ابن ميخائيل كن نحوسا

---

(٩٥) المنصف : ٤٢٩ •

(٩٦) شرح البرقوقى : ١/٢٥٠ •

وقوله أيضـــا :

رأى بلبك منه التى طلعت له ... بنحس وللدين الحنيف بأسعد

فجعل النحوس لعدوه والسعود له ولدينه ، وليس فى الحـــالتين لفظ يكره سماعه ولا وقوعه(٩٧) •

فعذب عليه أن جعل أموال الممدوح منحوسة ، وهذا لفظ يتطير منه ، وفضل قول أبي تمام لأنه وان اســـتعمل نفس اللفظ الا أنه لم يواجه به ممدوحه •

وفى قـــول المتنبى :

على قاتل البطل المفدى ... ومبدله من الزرد النجيعا

يقول ابن وكيع : قوله « المفـــدى » ضيق عطن عن كلمة أجـــود منها ، ولو كانت «المفدى » فى معشوق كان أولى منها فى شجاع(٩٨)•

ومعنى البيت : أن الممدوح يقتل البطل الكريم عند قومه،ويسلبه درعه ويكسوه بدله دما(٩٩) ، ولفظ « المفدى » فى نظر ابن وكيـــع ردىء فى هذا المقام ولو استطاع غيره كان أجود منـــه ، والأولى أن يقال هذا اللفظ فى معشوق لا شجاع •

وأرى أنه لا غضاضة فى استعماله هنا ، لأنه يفيد أن هذا البطل تفديه الناس بأنفسهم لما يرون من شجاعته وشدة بأسه ، فهـــو لفظ ملائم لمقام الشجاعة ومناسب لأن يوصف به الأبطال •

(٩٧) المنصف : ٢٤٩ ، ٢٥٠ •

(٩٨) السابق : ٣٧١ •

(٩٩) شرح العكبرى : ٢/٢٥٥ •

وفى قــول المتنبى(١٠٠) :

أغار من الزجاجة وهى تجرى على شفة الأمير أبى الحسين

قال ابن وكيع : ليس هذا من مدح الأمراء المبجلين ، هذا من مدح الأحباب المعشوقين كما قال محمود الوراق :

أغار اذا دنت من فيك كأس على در يقبله زجاج

وهذا فى معشوق حسن • لأنه كان يختار أن يقبل هو فمه مكان الزجاج ، فلهذا أغار على فيه ، والغيرة على مثله من العشاق فى هذا الموضع معتادة • فأما غيرة أبى الطيب على أمير جليل فتوجب أن يكون الأمير عنده ممن يشتهى تقبيله ، وهذا امتهان لمقداره(١٠١) •

ففى رأى ابن وكيع أن ما ذكره المتنبى جدير به أن يقال فى مقام الغزل ، لا فى مقام مدح الأمراء وذوى المكانة لأنه يذرى بهيبتهم،ويحط من قــدرهم •

والذين يعذرون أبا الطيب يقولون : انه يرفع شفتيه عن رتبــة الكأس والخمر لأنهما للأمر والنهى والألفــاظ الحسنة والأمر بالصلة ؛ ويجوز أنه يريد أن الزجاجة نالت ما لم ينله أحد فهو يغار عليها حيث لا تستحق ذلك(١٠٢) •

ورأى أنه عذر غير مقبول ، لقيامه على تأويل بعيد ، ومن ثم قال الواحدى:وقد أساء أبو الطيب لأن الأمراء لا يغار على شفاههم(١٠٣)، وقال العكبرى : وهذا من الغيرة الباردة التى لا معنى لها(١٠٤) •

---

(١٠٠) من أبيــات قالها ارتجــالا وهو داخــل على على بن ابراهيم التنوخى • شرح العكبرى : ١٩٣/٤ •

(١٠١) المنصف : ٣٤١ •

(١٠٢،١٠٣) شرح الواحدى : ١٣٦ •

(١٠٤) شرح العكبرى : ١٩٣/٤ •

وفى قــول المتنبى :

انى على شغفى بما فى خمرها ... لأعف عما فى سراويلاتها

يقول ابن وكيع : هذا مما أورده أبو العباس النامي المصيصى فى عيوبه ، فان كان اشتهى لفظ السراويلات فلا علة لذلك الا أنها تضم ما تضمه مما يقصد فيه الى مقصد ردىء(١٠٥) •

والخمر : جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأســها ، والمتنبى يريد أن يقول : انى مع حبى لوجوههن أعف عن أبدانهن(١٠٦)،ولكنه لم يوفق فى استعمال لفظ السراويلات ، لاقترانه فى الأذهان بما يكره العفيف ذكره •

وقد عاب ابن وكيع البيت لاشتماله على لفظ « السراويلات » وهو لفظ مكشوف يوحى بمعان قبيحة تخالف العفاف ، ومن ثم كان نقــده للبيت غمــزا ولمزا للمتنبى ، ولم يقتصر الطــعن فى هــذا البيت على أبى العباس المصيصى وابن وكيع بل طعن فيه كثير من النقاد وثارت ثائرتهم بسببه • وهو من الأبيات التى ناظره فيها الحاتمى وحكم عليه أنه يهجن القصيدة بأسرها ، ورد عليه أبو الطيب بأنه ليس أفحش مما قاله امرؤ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذى تمائم محول
اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتى شقها لم يحول

ولم يقتنع الحاتمى بهــذا الرد ، وذكر له بعض الأبيــات التي معناها أسمى وأكرم(١٠٧) •

---

(١٠٥) المنصف : ٥٩٨ •
(١٠٦) شرح العكبرى : ٢٢٧/١ •
(١٠٧) الرسالة الموضحة : ٢٣ ، ٢٤ •

وقال الصاحب ابن عباد : وكانت الشعراء لا تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستبشع ذكره ، حتى تخطى هذا الشاعر الى التصريح الذى لا يهتدى اليه غيره فقال :

انى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من عفافه هذا(١٠٨) .

فبين أنه خالف من سبقه من الشعراء فى تصريحه بما يستبشع ذكره وجعله سابقا فى هذا المسلك الخطير .

وهو مبالغ فى هذا الحكم لأن المتنبى ليس قائد الشعراء فى هذا فقبله كثيرون تخطوا حدود العفاف وهزقوا براقع الحياء .

ودافع الواحدى عن أبى الطيب من جهة رواية البيت فقال : سمعت أبا الفضل العروضى يقول : سمعت أبا بكر الشعرانى يقول : هذا مما غير عليه الصاحب ، وكان المتنبى قد قال : لأعف عما فى سرابيلاتها جمع سربال وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمى(١٠٩) .

٤ ـ استعمال الألفاظ القاصرة عن أداء المعانى ، وغيرها أفضل منها :

ويظهر هذا فى مقارنات ابن وكيع بين شعر المتنبى وشعر غيره ، ليبين فضل غيره عليه ، وليدل على أنه يستعمل ألفاظا تخل بأغراض الكلام ، وتقصر عن الوفاء بالمقصود .

ومن أمثلة ذلك قول المتنبى(١١٠) :

هم الناس الا نهم من مكارم يغنى بهم حضرو يحدو بهم سفر

---

(١٠٨) الكشف عن مساوىء المتنبى : ٢٧٠ .

(١٠٩) شرح الواحدى : ٢٧٨ .

(١١٠) من قصيدة فى مدح أبى أحمد عبيد الله بن يحيى . شرح العكبرى : ١٢٣/٢ ، ١٢٧ .

قارن ابن وكيع بينه وبين قول ابن الرومي :

وقد سار شعري شرق أرض وغربها   وغنى به الحضر المقيمون والسفر

فقال : ألفاظ بيت ابن الرومي يأخذ بعضها بأعناق بعض ، وقد عرف الحضر والسفر بالألف واللام ، فأمكن أن يقال : ان الناس كلهم قد عنوا به ، وأبو الطيب نكر ، فأمكن أن يكون المعنى : فرقة من الحضر وفرقة من السفر واذا كان كلام ابن الرومي أشرح وأمدح بامكان العموم مما خص فيه أبو الطيب فابن الرومي أحق بما قال ، ولعل قائلا أن يقول : جمع أبو الطيب حالى الغناء والحداء فصارت له زيادة ، فانه انما يحتسب له بذلك لو كان الغناء لا يكون الا فى الحضر ، فاذا صلح للحضر والسفر لم يصح تقسيمه ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: الغناء نعم زاد الراكب فجعله بمنزلة الزاد للمسافر(١١١)

ففضل بيت ابن الرومي لتلاؤم ألفاظه ، وما فيه من خصوصية التعريف التى أفادت العموم فى مقام المدح .

وفاته أن ابن الرومي قد وقع فيما عابه على المتنبى ، اذ نكر لفظ « أرض » فى شطر بيته الأول فحدد سيرورة شعره في شرق قطعة أرض وغربها لا فى الأرض كلها .

وبيت المتنبى وان كان فيه فصل بين شطريه الا أن التلاؤم فيه يسهل ادراكه ، وقد قوى هذا التناسب بأن جعل الغناء للحضر والحداء للسفر ، فوصف كل فريق بما يناسبه ، بينما جعل ابن الرومي الغناء للفريقين ، ولا يرد هذا ما ذكره ابن وكيع فى نهاية تعليقه ، لأننا لم نقل ان الغناء خاص بالحضر والحداء خاص بالسفر ، لكن قلنا انه جعل لكل ما يناسبه ، بناء على المشهور والمتعارف .

---

(١١١) المنصف : ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

وفى بيت ابن الرومى تطويل حيث قال : « الحضر المقيمون »وهما بمعنى واحد ، فالحضر جمع حاضر ، والمقصود : الحاضرون فى البلاد .

ومما فيه لفظ قاصر عن أداء المعنى قول المتنبى :

فعش لو فدى المملوك ربا بنفسه   من الموت لم تفقد وفى الأرض مسلم

قال ابن وكيع : لا أدرى لم قال : « لم تفقد وفى الأرض مسلم » ولو كان : لم تفقد وفى الأرض بشر كان أمدح ، واذا كان المسلمون لا يكبرون عن فديته فليس ينبغى أن يصان المخلفون عن ذلك ، فتخصيصه أهل الاسلام بالفدية لا وجه له(١١٢) .

والبيت من قصيدة فى مدح عمر بن سليمان الشرابى وهو يتولى الفداء بين العرب والروم ، والمعنى : لو كان المملوك فداء من مالكه ما فقدت وواحد من المسلمين حى ، فكلهم مملوكون لك يفدونك بأنفسهم(١١٣) .

وابن وكيع يرى أن لفظ « مسلم » قاصر فى مقام المدح ولو كان قال « بشر » لكان أمدح .وأرى أنه غير مصيب فى هذا ، فالقصيدة فى مدح قائد مسلم يقود معركة بين العرب والروم ، والمسلمون جنوده يقاتلون معه ويحمونه بأرواحهم ويفدونه بأنفسهم ، والروم أعداؤه يريدون الفتك به ، ويتمنون سفك دمه ، فلو عمم المتنبى فى اللفظ وقال « بشر » لدخل فيه هؤلاء الأعداء ، وبذلك يكون كلامه متناقضا مع العقل ومع الواقع ، كما أن لفظ « مسلم » ينشر ظلالا دينية على المعركة وقائدها وفى هذا اعلاء لشأنه ، ورفع لمكانته ، وهذا ما ينشده المتنبى .

---

(١١٢) المنصف : ٤٤٨ .

(١١٣) شرح العكبرى : ٨١/٤ ، ٩٢ .

ومن الألفاظ القاصرة ما فى قول المتنبى :

أى الأكف تبارى الغيث ما اتفقا حتى اذا افترقا عادت ولم يعد

قال ابن وكيع : ينظر فى هذا الى قول « العكوك » فى أبى دلف :

بارى الرياح فأعطى وهى جارية حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف

فهذا البيت كلام واضح ، ومعنى لائح ، وهو على التأمل أصح مسبوكا ، وذلك أنه قال : « حتى اذا وقفت » ولابد للرياح من الوقوف ، وذكر أن الممدوح يجرى معها فاذا وقفت جرى،وأبو الطيب حظر على الغيث العودة بعد افتراقهما ولا فرق بين الغيث والريح ، والغيث فى فصل من السنة والريح فى كل زمان ، فالمعطى فى كل زمان أسمح من المعطى فى زمان مخصوص ، فلفظ « العكوك » أرجح ، فهو أولى بقوله .

والبيت من قصيدة فى مدح أبى عبادة بن يحيى البحترى،ومعناه : أى كف سوى كف هذا الممدوح تبارى الغيث فى الجود ما اتفقا ماطرين، واذا افترقا باقلاع السحاب عادت الكف الى عادتها ولم يعد الغيث(١١٤) .

ولسنا مع ابن وكيع فى ترجيحه لفظ الريح على لفظ الغيث ، فقد جرى الأسلوب العربى على تشبيه الجواد بالغيث أكثر من تشبيهه بالرياح لاقترانها فى الأذهان بالاتلاف والاسراف ، وقوله ان الرياح فى كل زمان مجاف للواقع ، لأنها مرتبطة بزمن أيضا كالغيث،فلا فضل لها من هذه الناحية .

ومن الألفاظ القاصرة ما فى قول المتنبى :

من يظلم اللؤماء فى تكليفهم أن يصبحوا وهم له أكفاء

---

(١١٤) شرح البرقوقي : ٢/٧٣ .

قال ابن وكيع : ان كان الممدوح جوادا كريما فقد قصر فى مدحه، لأنه كان ينبغى أن يقول : من يظــلم الكرماء فى تكليفهم ، ليــدل أن الكرماء دونه ، وأن شأوه فى الكرم لا يلحق • ومداه لا يدرك ، كمــا قال هــو :

أمهجن الــــكرماء والمزرى بهم وتروك كل كريم قوم عاتبا

فأما اللئام ان كلفهم أن كونوا مثله فما كلفهم الا وهو مقتصــد فى الكرم ، وان كلفهم غايته فيه ليس اعجازهم اياهم بمدح طــائل ، ولا ادراكهم اياه بفخر معجز (١١٥) •

ومعنى البيت : هو الذى يظلم اللؤماء فى تكليفهم بأن يكونوا مثله لأنهم لا يقدرون على ذلك •

وقد بين ابن وكيع أن لفظ « اللؤماء » قاصر فى مقام المدح،وكان الأولى به أن يقول « الكرماء » ليدل على أن الكرماء دونه ، وأن شأوه فى الكرم لا يدرك ، كما قال فى بيت آخر •

وهو مصيب فى نقده ، وقد علق الواحدى على البيت بمثــل ما ذهب اليه ابن وكيع فقال : وليس فى هذا مدح ، ولو قال « الكرماء » كان مدحا ، فأما اذا كان أفضل من اللئام ولا يقدرون أن يكونوا أكفاءه فهذا لا يليق بمذهبه فى ايثاره المبالغة(١١٦) •

وروى الخوارزمى البيت : « من نظلم » بالنون وقال فى معناه : اذ كلفنا اللئام أن يكونوا أكفــاء له فقد ظلمنــاهم فى تكليفهم ما لا يطيقون(١١٧) •

---

(١١٥) المنصف : ٤٨١ •
(١١٦) شرح الواحدى : ١٩٧ •
(١١٧) شرح العكبرى : ١/٢١ :

وقال العكبري في تعليقه على رأي كل من الواحدي والخوارزمي: والذي قاله الواحدي فقد حسن ، واعتذار الخوارزمي أحسن(١١٨) .

واعتذار الخوارزمي لا يصح الا اذا كانت الرواية « من نظلم » وسياق القصيدة قبل البيت وبعده لا يؤيد هذه الرواية حيث قال في بيت سابق « من يهتدي » وقال في بيت لاحق « من نفعه »(١١٩) . ومن في كل هذه الأبيات بمعنى « الذى » وهي خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو ، أي : هو الذي يهتدي ، وهو الذي يظلم ، وهو الذي نفعه ... وعلى هذا فلا محل لاعتذار الخوارزمي .

تعقيب :

قدمنا فيما سبق مآخذ ابن وكيع على شعر المتنبي من حيث الألفاظ وتوسعنا في الحديث عن أخطائه اللغوية وغير اللغوية لنبرز جهود ابن وكيع في هذا المجال .

وليس معنى هذا أن ابن وكيع لم يستحسن بعض أبيات المتنبي بسبب ألفاظها ، فقد أثنى على بعض أبياته لجزالة ألفاظها ، وملاحتها، وعذوبتها وان كان ذلك قليلا بالنسبة الى مآخذه عليه .

ومما استحسنه ابن وكيع قول المتنبي(١٢٠) .

حتى وصلت بنفس مات أكثرها ولينتني عشت منها بالذي فضلا

فقال : يشبه قول أبي العتاهية :

لم يبق مني الا القليل ولا أحسبه يترك الذي بقيا

---

(١١٨) شرح العكبري : ٢١/١ .
(١١٩) ينظر شرح العكبري : ٢٠/١ ، ٢٤ .
(١٢٠) شرح العكبري : ١٧١/٣ .

وكلام أبى الطيب أجزل وأرجح من كلام أبى العتاهية(١٢١) ٠

ومما استحسنه قـولـه :

أعارنى سقم عينيه وحملني   من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

فقال : قال الجنزرزي :

وأسقمني حتى كأني جفونه   وأثقلني حتى كأني روادفه

وكلام أبى الطيب أرطب ومعناه أعذب فهو أولى بما أخذ(١٢٢)٠

فنفضل بيت أبى الطيب لأن لفظه رطب ومعناه عذب ، وان كنـا نرى أن كلا من الشاعرين قد خرج الى ذكر ما يستحيا منه من ذكر الأرداف وثقلها ، وهذا ليس بجيد فى الشعر(١٢٣) ٠

وأثنى ابن وكيع على أبيات أخرى للمتنبى ثناء مختصرا لا يختلف عما سقناه من نماذج(١٢٤) ، وقد ذكرنا بعض هذه الأبيات فى السرقات المجمـودة عند المتنبى ٠

---

(١٢١) المنصف : ١٤٣ ٠

(١٢٢) المنصف : ٢٠٧ ٠

(١٢٣) شرح العكبرى : ٢/١١٧ ٠

(١٢٤) ينظر المنصف : ١٩٩ ، ٢٨٦ ، ٣٢٥ ، ٤١٦ ٠

المبحث الثانى

النقد المتعلق بالمعانى

عاب ابن وكيع كثيرا من معانى أبى الطيب ، فحكم على بعضها بالخفاء ، وعلى بعضها بعدم الملاءمة للمقام ، وعلى بعضها بالتناقض، وغير ذلك كما سنفصله فيما يلى :

١ — خفاء كثير من معانيه ، واختلاف الأدباء فى تفسير شعره .

وقد وقف ابن وكيع أمام كثير من الأبيات منكرا عليه خفاء معانيها ، وصعوبة تفسيرها وتعذر الوقوف على مراده منها ، ففى قول المتنبى(١) :

ذم الزمان اليه من أحبته ما ذم من دهره فى حمد أحمده

يقول ابن وكيع : هذا البيت — كما ترى — كأنه رقية عقرب ، وقد تكلف بعض أدباء عصرنا تفسيره فقال : الهاء فى اليه عائدة على العاشق ورواه « ما ذم من بدره فى حمد أحمده » والبدر هو معشوقه، وصير المشوق بدر الزمان مبالغة فى حسنه ، و « أحمد » يعنى نفسه، وجعل نفسه أحمد الزمان ، أى ليس فى الزمان أحمد آخر مثله . والمعنى : أن هذا العاشق كان يذم من معشوقه الذى هو بدر الزمان جفاءه ، فاجتمع الزمان معه على ذم تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمده ، أى فالزمان معه يذم هجر أحبته ، ويحمده هو لفضله ونجابته . قال أبو محمد(٢) : وليس هذا المعنى مما يلتمس

---

(١) من أبيات قالها فى صباه . ينظر شرح العكبرى ٢/٨٠ .
(٢) هو ابن وكيع .

له استخراج سرقة وانما ذكرته لما اشترطته فى ذكر غث كلامه ، وقد تكأف المفسرون مشقة فى تفسير غير مفيد ولا سديد ، وهذا الكلام القليل الفصول ، الكثير الفضول ، البين التكلف ، المشبه ألفاظ أهل التصوف(٣) .

فذم ابن وكيع البيت ووصفه بأنه رقية عقرب ، بين التكلف،قليل الفصول ، كثير الفضول وساق تفسير « ابن جنى » له وأشار الى تكلف المفسرين فى شرحه .

وكلام « ابن جنى » الذى ساقه « ابن وكيع » غير واضح على طوله ، ومن ثم قال الواحدى تهوس ابن جنى فى هذا البيت ، وأتى بكلام كثير لا فائدة فيه ، ومعنى البيت أن الزمان ذم الى المتنبى من أحبه المتنبى ، وأتى بكلام كثير لا فائدة فيه ، ومعنى البيت أن الزمان ذم الى المتنبى من أحبه المتنبى لأنهم يجفونه ، ما ذم الزمان فى بدره يعنى : القمر ، فى حمد أحمده يعنى : الممدوح والمعنى:أن البدر مذموم بالاضافة الى هذا الممدوح(٤) .

وقال ابن القطاع : يريد أن الزمان يذم معه هجر أحبته ، كما ذم هو بدره : أى حبيبه(٥) .

ولا جدال فى أن البيت بعد كل هذه التفسيرات يظل غامض المعنى، خفى المراد ، وابن وكيع على صواب فى ذمه .

ووقف ابن وكيع أمام بيت آخر من نفس القصيدة هو قول المتنبى :

---

(٣) المنصف : ٩٢ ، ٩٣ .
(٤) شرح الواحدى : ٣٤٧ .
(٥) ينظر شرح العكبرى : ٢/٨٠ .

أن يقبح الحسن الا عند طلعته فالعبد يقبح الا عند سيده .

وعلق عليه بقوله : فسر هذا بعض المتكلفين فقال : معناه ان الحسن ليقبح عند اضافته الى اشراق حسنه لنقصانه عنه ، كما أن العبد لا يحسن عند أحد حسنه عند مولاه ، وهذا تفسير غير واضح، ومعنى غير لائح ، لأن هذا التفسير انما يصح لو كان البيت لا يقبح الحسن الا عند طلعته كالعبد يقبح الا عند سيده ، على أنى لا أعرف هذا التشبيه ما هو ، وقد يمكن أن يستحسن الناس شيئا لا يستحسنه مولاه ، ويتمنون ملك من لا يعبأ به مالكه(٦) ، فأخذ عليه : خفاء المعنى حتى ان من تكلف تفسيره لم يستطع بيان المراد فى ظل صياغة البيت، وعدم وضوح التشبيه لوقوعه بين طرفين لا تشابه بينهما .

ومن المعانى الغامضة التى وقف عندها ابن وكيع قول المتنبى :

فاذا نوت سفرا اليك سبقتها (٧) فأضفت قبل مضافها حالاتها
ومنازل الحمى الجسوم فقل لنا ما عذرها فى تركها خيراتها

قال ابن وكيع : فسره بعض الرجال فقال : معناه : اذا أراد الرجال السفر اليك سبقتها باضافتك حالاتها قبل اضافتك اياها،ولابد للمرض من جسم يحله فيه،فيحله فى جسمه فذاك اضافتك اياه،والحمى من عداة الأجسام والرجال ، قال أبو محمد : قد أوجب على رأى المفسر أن يكون الناوون اليه سفرا لا يخلون من محموم ، فلذلك صار هو محموما مضافا اليه حالته ، وقد يخلون من الحمى فى سفرهم اليه . وفى هذا البيت غرائب : منها أنه جعل ضيافته مقصورة على من نوى

---

(٦) المنصف : ٩٣ ، ٩٤ .

(٧) يلاحظ أن رواية ابن وكيع : سبقتها بالتاء والصواب سبنها بالنون . ينظر حاشية المنصف : ٦٠٢ ، وشرح العكبرى : ١/٢٣٤ ، والبيتان من قصيدة فى مدح أحمد بن عمران .

سفرا اليه دون من استضافه من الحاضرين ، فأوجب الحمى على أضيافه ماذلك حم ، وجعله قادرا على نقل الحمى من جسم الى جسم، ومنها أنه قد اتفق فى ناوى السفر اليه جماعة بهم حمى ، اما أن تجتمع به أنواع الحميات ، واما أن تخصه واحدة منها ، ويبقى الباقون لما بهم لم تصف حالات جميعهم ، وهذا هذيان محموم(٨) .

فقد أورد ابن وكيع تفسير ابن جنى للبيتين ، ولم يرض عنه ومن ثم أشار الى أنه يوجب أمرا لا يتحقق فى الواقع ، وبين أن معانى البيتين بعضها قاصر فى مقام المدح ، وبعضها غريب ، ووصفها بأنها هذيان محموم .

وابن وكيع فى هذا الموضع لم يفسر البيتين على الرغم من عدم رضاه عن تفسيرهما ، ولكنه فى بعض المواطن يدلى بدلوه فى تفسير قول المتنبى ونرى ذلك على سبيل المثال فى تناوله لبيت المتنبى(٩) :

عدوى كل شىء فيك حتى   لخلت الأكم موغرة الصدور

حيث قال : فسره بعض أهل العربية فقال : معناه أن الأكم تنبو به فلا يطمئن فيها ، وكل ذلك لعداوته ، وذكر أن فيه معنى آخر : أنها موغرة الصدور لحرارتها ، وهذا تفسير مظلم ، لا يحصل له معنى يفهم ، والذى أرى أن مقصد أبى الطيب أنه رأى فى عدوه كل شىء من الشر قد اجتمعحتى أوهمه ذلك أن الأكم موغرة الصدور من شرها واحتراقها بنار الحسد والحقد وما شاكل ذلك ، مما يحر الصدر فضلا عن الناس(١٠) .

---

(٨) المنصف : ٦٠٣ .
(٩) من قصيدة فى وصف مسيره فى البوادى . شرح العكبرى ٢/١٤١ .
(١٠) المنصف : ٢٧٨ .

فذكر تفسير ابن جني للبيت ، وحكم عليه بأنها تفسير مظلم لا يفهم منه المعنى ، ولا يدل على الفحوى ، وفسر البيت بما ارتآه معبرا عن قصد المتنبى .

وقد أورد العكبرى تفسيرى ابن جنى للبيت ، وساق اعتراض « ابن فورجة » عليهما فقال : قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر فى الأكم فتنبو به وبئسما يختار دارا ومقاما ، وأما المعنى الثانى فيقال : كيف خص الأكم بشدة الحر ، والمكان الضاحى للشمس أولى بأن يكون أحر ، وللاكمه ظل ، وهو أبرد من المكان الذى لا ظل فيه ، فهذا أيضا خطأ ، والذى عنى أبو الطيب: أن كل شىء يعاديه حتى خشى أن الأكمة التى هى لا تعقل تعاديه ، ويريد بذلك المبالغة وان لم يكن ثم عداوة(١١) .

وتفسير ابن فورجة للبيت قريب من تفسير ابن وكيع وهما على صواب فالمتأمل فى البيت يدرك أن المتنبى قصد أن يقول : ان كل شىء فى الدهر يعاديه حتى ظن التلال التى لا تعقل تعاديه(١٢) .

وبعد أن سقنا أمثلة لما خفى معناه من شعر أبى الطيب ، ورأينا ثورة ابن وكيع تجاهها نقول ان المتنبى ليس بدعا فى هذا الأمر فما من شاعر الا وخفيت بعض معانيه ، وأبيات المعانى تملأ دواوين الشعراء وكتب الأدب ، وقد اعترف ابن كيع بذلك وهو يروى خبرا عن أبى القاسم البصرى وهو بصدد الحديث عن قول المتنبى :

أرسلتها مملوءة كرما   فرددتها مملوءة حمدا
جاءتك تطفحوهى فارغة   مثنى به وتظنها فردا

---

(١١) شرح العكبرى : ١٤٣/٢ .
(١٢) شرح البرقوقى : ٢٤٧/٢ .

فقال : قد رأيت بعض أهل الأدب تقول علينا وهو أبو القاسم علي بن حمزة البصري بأن قال : لأبي الطيب معان لا يفسرها غيره ، فسألناه عنها ، فكان هذا منها ، وسألناه عن معنى ذلك ، أي شيء أراد به ؟ فقال : جاءه جام حلواء ففرغه وكتب هذه الأبيات فصار فارغا من الحلواء ، مملوءا من الحمد ، فهو فارغ طافح ، يظن فردا وهو بالحمد مثنى ، فقلت له : الشعر على مقصد قائله ، وأبيات المعاني كلها تجري هذا المجرى ، فسكت(١٣) .

٢ ـ ذكر المعاني الغريبة التي لا تتناسب مع المقامات ولم يراع فيها مقتضى الحال من ذلك :

أ ـ دعاؤه على منازل الأحباب بالعطش ، وسقيا السم ، في قوله(١٤) :

ملث القطر أعطشها ربوعا   والا فاسقها السم النقيعا

وعلق عليه ابن وكيع بقوله : من شأن منازل الأحباب أن يدعى لها بالترويض والبهجة ، كقول أبي تمام :

يا دار در عليك ارهام الندى   واهتز روضك في الثرى فترأدا

وما سبق أحد أبا الطيب الى الدعاء على منازل الأحباب بالعطش ، ولا من عادة السحاب سقيا السم ، ولا السم مما يدعى به على الجمادات ، ولو قال : أمطرها حجارة تهدمها ، وأرسل عليها صواعق تحرقها ، مما يجوز مثله أن يقع من السحاب لكان أحسن في الدعاء

---

(١٣) المنصف : ١٥٩ .

(١٤) مطلع قصيدة في مدح علي بن ابراهيم التنوخي . شرح العكبري : ٢/٢٤٩ .

عليها ، ولما أغرب فى الدعاء عليها جاء بعذر أشبه شيء باستئناف ذم ، وقال :

أسائلها عن المتدير بها(١٥) فما تدرى،ولا تدرى دموعا

وقد دعا البحترى على نفسه باللوم فى سؤال ما لا يستجيب ، فقال :

وسألت ما لا يستجيب فكنت فى استخباره كمجيب من لم يسأل

فعذر المنازل ، ولام نفسه ، والعاقل أولى باللوم مما لا يعقل ، وألزمها أبو الطيب الجواب ، وازراء الدموع ، وذلك تكليف غير ممكن، فلما امتنع عليه منها ما لا يمكنها دعا عليها بما قد سمعت .

وانما وقف الناس بالمغانى وبكوا رسوم الديار وتغير الآثار اما لاظهار وفاء لمن كان بها ، أو اعتبار بخرابها ، وانقلاب الدهور وتغير العصور ، فأما أن يسألوه لتجيب والا اغتاظوا فدعوا عليها ، فهذا كيل فاسد ومعنى بارد(١٦) .

فابن وكيع يعيب على المتنبى دعاءه على منازل الأحباب بالعطش أو سقيا السم لأن هذا غير مناسب للمقام ، ومخالف لما جرى عليه الشعراء من الدعاء لديار الأحباب بالسقيا والسرور .

ونحن نوافقه فيما ذهب اليه الا اننا نختلف معه فى تفضيله « أمطرها حجارة » على « اسقها السم » بحجة أن السحاب ليس من عادته سقيا السم ، لأن السحاب أيضا ليس من عادته امطار الحجارة، والسم مما يسقى فهو أشبه بأن ينزل من السحاب بديلا عن الماء ،

---

(١٥) أى متخذيها دارا .

(١٦) المنصف : ٣٦١ ، ٣٦٢ .

ومهما بلغ غيظ المتنبى من ديار أحبابه فلن يصل به الى الدعاء عليهـا بعذاب قـوم لوط •

ب ـ دعاؤه على أحبابه فى قوله(١٧) :

أيا خـدد الله ورد الخـدود   وقد قدود الحسان القدود

فقد دعا على ورد الخدود أن يشققه الله ، ويزيل حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان • وعلق عليه ابن وكيع بكلام طويل فقال : ورد الخدود هو حمرتها ، والتخديد للخد يكون لا للحمرة ، وكان ينبغى أن يقول : « ألا خدد الله الخدود » •

وقد دعا أبو الطيب على أحبابه دعاءه على أعدائه ، بأن يخدد الله خدودهم ويقد قدودهم ، والقد : القطع طـولا ، والقط : القطـع عرضـا •

وليس الدعاء بمثل هذا من شأن شـعراء المحدثين من اللطـاف العشاق الظـراف ، ولعل مثل هذا أن يرد فى شـعر من غلبت عليـه عنجهية الأعراب ، ويكون ذلك خارجا عن الرقة والصواب ، كقـول كثـير :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى   وفى الغر من أنيابها بالقوادح

وهذا مما عيب به مع تقدمه ، فأما المتأخرون فيقولون كمـا قال الديك :

كيف الدعـــاء على من خان أو ظلما
ومـالكى ظـالم فى كل ما حكمـــا

---

(١٧) مطلع قصيدة كتبها الى السلطان من محبسه بعد أن وشى به قوم فحبسه • شرح العكبرى : ١/٣٤٧ •

لا آخذ الله من أهـــوى لجفـــوته
عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقمـــا

فهذا تجنب الدعاء على الظالمين لأن مالكه محبوبه منهم ، ويسال الله ألا يقتص له منهم ولا ينتقم •

وهذا مذهب العشاق واشفاق الرفاق ••• وهو المذهب المعتاد ، فأما أن يقول العاشق لمعشوقه : خدد الله خدك ، وقـد قدك ، وأعمى بصرك ، وطمس حسنك ، فهذه دعوات المستضعف من المظلومين على الأعداء القاهرين لا على الأحباب المعشوقين • وقد عد الناس جريرا من الجفــاة لقوله :

طرقتك صائدة القلــوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام ؟

وقد أتبع المتنبى هذا الجفاء بجفاء مثله فقال فى خروجه :

فكانت وكنت فـداء الأمــير ولازال من نعمة فى مزيد

ومما لم يسبق اليه أن جعل محبوبه فداء الأمير الذى رغب اليه، وأظنه قال هذه القصيدة أول زمان عشقه قبل أن يرق(١٨) •

وابن وكيع فى هذا التحليل يأخذ على المتنبى شيئين :

الأول : دعاؤه على أحبابه بما يدعى به على الأعداء ، وهذا ليس من شأن العشاق والمحبين ، وقد عيب هذا على من وقع فيه من الشعراء المتقدمين « ككثير وجرير » مع قرب عهدهم بالبداوة وجفوة الأعراب، فما بالك به اذا صدر من المحدثين •

وكأنى بابن وكيع يلتمس عذرا للمتقدمين اذا وقع فى شــعرهم

---

(١٨) المنصف : ٢٤٦ ـ ٢٤٩ •

مثل هذا الجفاء ، بينما لا يجد عذرا للمحدثين ، حيث تغيرت بيآتهم ، ورقت قلوبهم ، ولانت طبائعهم فمن واجبهم أن يجتنبوا الجفـاء ، ويبتعدوا عن عنجهية الأعراب •

ويـرى ابن جنى أن دعـاء المتنبى وارد على سـبيل التعجب والاستحسان ، ولم يؤيده الواحدى فى ذلك فقال : وهذا المذهب بعيد من قول أبى الطيب ، لأنه أخرجه فى معرض المجازاة لما ذكر فيهما بعده ، يريد : جازاهن الله بالتخديد والقد جزاء لما صنعن بى ، وهذا مذهب ثالث : وهو أنه انما دعا عليها لأن تلك المحاسن تيمته ، فاذا زالت زال وجده بها ، وحصل له السلوة(١٩) •

واستحسن العكبرى رأى ابن جنى فقال : والذى ذكره أبو الفتح أحسن ، لأن المحب لا يدعوا على محبوبه أبدا(٢٠) •

وما ذكره ابن جني وان كان وجيهـا الا أن قول المتنبى دعـاء يحتمل وجوها بعضها معيب ، وترك هذا المسلك أولى من الولوج فيه•

والثانى : أنه جعل محبوبه فداء للأمير فى قوله :

فكانت وكنت فداء الأمير ولازال من نعمة فى مزيد

وتهكم ابن وكيع على عادته فذكر أن هذا مما لم يسبق اليه ••• وربما قاله فى صباه قبل أن يرق •

والرواية التى ذكرها ابن وكيـع للبيت تختلف عن الرواية التى جاءت فى الدواوين وهى :

فكانت وكن فداء الأمير ولازال من نعمة فى مزيد

---

(١٩) شرح الواحدى : ٨٠ •

(٢٠) شرح العكبرى : ٣٤١/١ •

والضمير فى « كانت » يعود الى « نفسى » والضمير فى « كن » لذوات اللمى والنهود فى البيت السابق وهو قوله :

وألهج نفسى بغـير الخنـا   بحب ذوات اللمى والنهود

ومعنى البيتين : ما أولع نفسى بحب ذوات الشفاه السمر والنهود، كانت نفسى ، وكان ذوات هذه الصفات فداء للأمير،وعلى هذا فالمتنبى لم يقدم محبوبه فداء للأمير ، انما قدم نفسه ومعها الحسان .

ومما تواطأ عليه الشعراء النقاد أن النسيب مقام رقة وليونة ، يناسبه الألفاظ العذبة ، والمعانى اللطيفة ، ولا يليق بمتغزل أن تخشن ألفاظه ، أو تجفو معانيه ، ومن ثم عاب ابن وكيع قول المتنبى(٢١) :

أيقنت أن سعيدا طالب بدمى   لما بصرت به بالرمح معتقلا

فقال : ببيناه يرجو شفاعته(٢٢) اذ أيقن أنه طالب بدمه ، وأظنه سأله الشفاعة استضعافا له عن الطلب ، فلما صار بالرمح معتقلا أنف من الشفاعة واعتصم بعز الشجاعة ، وطلبه بدمه من محبوبته مذهب مذموم عند العشاق ... وممن عير به العباس بن الأحنف فى قوله :

فان تقتلونى لا تفوتوا بمهجتى   مصاليت قومى من حنيفة أو عجل

وتبعه ابن المعتز فقال :

تحسب قومى يضيعون دمى ؟   ما ضاع قبلى لها ثم ثار

وهذه المعانى تصلح لتهدد الأعداء ، وتبعد عن الرقة الى الجفاء فأما المحبوبون فيقال لهم كما قال القائل :

---

(٢١) من قصيدة فى مدح سعيد بن عبد الله الكلابى . شرح العكبرى ١٦٢/٣ .

(٢٢) فى البيت السابق وهو :

على الأمير يرى ذلى فيشفع لى   الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

لو جز بالسيف رأسى فى عودتكم   لمال يهوى سريعا نحوكم رأسى

فهذا وما أشبهه عادة العشاق المتيمين مع الأحباب المعشوقين ، فأما طلب الدماء والثارات فيصلح فى الحروب والغارات ، وما أدرى لم أيقن بطلب دمه لاعتقاله بالرمح ، فلو كان شاهرا سيفه لم يوقن بذلك منه (٢٣) .

وابن وكيع فى هذا الموضع يأخذ على المتنبى انتقاله المفاجىء من رجاء شفاعة ممدوحه عند محبوبته الى ايقانه أنه يطلب ثأره منها ان سفكت دمه .

ويعيب عليه سلوكه مذهبا مذموما فى الغزل وهو مطالبة محبوبته بدمه،فهذا المعنى يصلح فى مقامات الحروب والغارات وتهديد الأعداء، وقد عيب هذا المسلك على من سبقه كالعباس بن الأحنف وابن المعتز، وكان على المتنبى أن يجتنب هذا الجفاء ويطلب الرقة فى حديثه عن الأحباب ، كما هو ديدن العشاق والمحبين .

جـ ـ طلبه من الممدوح أن يشفع له عند محبوبته ، فصوره بصورة القواد وهذا غير مناسب لمقام المدح ، وقد جاء هذا فى قوله (٢٤) :

على الأمير يرى ذلى فيشفع لى   الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وعلق عليه ابن وكيع بقوله : هذا من أقبح معنى ، لأنه يريد من الأمير أن يكون قوادا عليها ! فان عارضنا معارض فقال : ما أخذ هذا الا من أبى نواس فى قوله :

---

(٢٣) المنصف : ١٣٦ ، ١٣٧

(٢٤) البيت من القصيدة السابقة .

سأشكوا الى الفضل بن يحيى بن خالد
هـــواك لعل الفضل يجمع بيننـــا

وقال : الجمع بينهما قيادة ، قيل له : التأويل فى الجمع أسوغ منه فى الشفاعة ، لأن الجمع بينهما يكون بصلاته التى تغنيه وترغبها فيه، فيصل اليها نكاحا لا سفاحا ، والدليل على صحة هذا المقصد منـه قــوله :

فيا فضل بادر صبوتي بغبارها فلا خير فى حب المحب اذا دنا

والشفاعة تضيق عليه وجه الخروج من قبح المقصد ، وأبو نواس أصح معنى وان اتفقا باستغاثتهما بمن مدحاه على هواهما ومن انساغ له التأويل أرجح كلاما ممن ضاق عليه وجه الخروج مما عيب عليه .

وقد كان لأم جعفر جارية اسمها « نعم » عشقها عبد الغفار بن عمر الأنصارى فقال :

أمير المؤمنين اليك أشـــكو هوى فى القلب يسعر بالصدود
أمـير المؤمنـين فجدبها لى جزاك الله جنات جنات الخلود

وكتب بهما الى الرشيد ، فقال الرشيد : ما أصبت معينا لك على جهلك غيرى ؟ فحبسه دهرا ثم كلم فيه فأطلقه .

فاذا سئل الرشيد أن يجود بجارية يمكنه أخـذها ممن هى لـه ببذل وشراء ، فسمى الاستغاثة فى ذلك جهلا ، وامتعض من ذلك،فما ظنك بمن يسأل الشفاعة(٢٥) ؟ !

فبين ابن وكيع قبح ما قاله المتنبى ، حيث رجا من الأمير أن يشفع

(٢٥) المنصف : ١٣٥ ، ١٣٦ .

له عند محبوبته التى صدت عنه ، وجعلته يضرب به المثل فى العشق ، وهذا لون من القيادة وطلبه من الممدوح قبيح،وقد وقع فيه أبو نواس وتبعه المتنبى وان كان قــول أبى نواس يحتمــل التأويل على وجــه مشروع ، وقول أبى الطيب تأويله بعيد •• وقد أخذ عليه الحاتمى هذا وقال : انه أقبح خروج وأسخف معنى تعاطاه شاعر(٢٦) •

ويرى الواحدى رأى ابن وكيع ، فبين أن قول المتنبى مأخــوذ من قول أبى نواس ، وقول أبى نواس أحسن من قوله ، لأن الجمــع يمكن بأن يعطيه ما يتوصل به الى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان، وذلك نوع من القيــادة •

ثم يعود الواحدى ويذكر أنه سمع بيت المتنبى على غير النحــو المذكور،فيقول : على أنى سمعت «العروضى» يقول : سمعت الشعرانى يقول : لم أسمع أبا الطيب ينشده الا فيشفعنى ، من قولهم : كان وترا فشفعته بآخــر ، والى آخــر ، أى صيرته شــفعاء فيكون كقــول أبى نواس(٢٧) •

د ـ المدح بما يمكن أن يكون هجاء ، كقوله(٢٨) :

تظن من فقدك اعتدادهم   أنهم أنعموا وما علموا

قال ابن وكيع : هذا ان شاء مدخل أن يدخله فى الهجاء أدخله ، لو كان قال : انهم قد نسوا الذى فعلوا فى غير هذه القافية لأصاب ، فأما توهمه أنهم أحسنوا وما علموا فقــد جوز عليهم فســاد الحس

(٢٦) الرسالة الموضحة : ١١٠ •
(٢٧) شرح الواحدى : ٣٥ •
(٢٨) من قصيدة في مدح علي بن ابراهيم التنوخي شرح العكبرى : ٥٨/٤ •

وبلادة الذهن فى قلة علمهم بما صنعوا،ويدخل ذلك فى قول أبى القاسم الأعمى فى الحسن بن وهب يهجوه :

ان ابن وهب محيل فى نباهته ... ما كان يدرى أأعطى المال أم حرما؛
لكنها خطرات من وساوسه ... يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

والجيد الذى قد يحترز منه قول منقذ بن عبد الرحمن الهلالى :

لا تنكرن فى صنيعة سلفت ... منك وان كنت لست تنكرها
عند امرىءأن تقول انذكرت ... يوما من الدهر لست أذكرها
فان احياءها اماتتها ... وان منا بها يكدرها

ويقرب من قول الخريمى :

زاد معروفك عندى عظما ... أنه عندك محقور صغير
تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهور كبير

أمرك الهلالى بألا تظهر تلك الصنعة وان كنت ذاكرا لها من طريق الكرم والأدب ولم يطلق عليهم أنهم بله يحسنون ولا يعلمون ؟

وقال الخريمى : أنت تتناسى المعروف حتى كأنك لم تأته ، تنسيا ، لا أنه يأتى الجميل ولا يعلم(٢٩) .

ومأخذ ابن وكيع ينصب على قوله « وما علموا » حيث جوز عليهم فساد الحس وبلادة الذهن فى عدم علمهم بما صنعوا ، ولو وصفهم بالتناسى لما جوز عليهم هذا .

---

(٢٩) المنصف : ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، وينظر ٤٣٥ ففيها مثال آخر قريب من هذا .

ولكن صدر بيت المتنبى يدفع ما ذكره ابن وكيع ، اذ وصفهم بأنهم لا يعتدون بصنيعهم وانعامهم فكأنهم لم يعلموا ذلك لتناسيهم وغفلتهم عنه ، وفى قوله « وما علموا » مبالغة فى نسيانهم لصنائعهم وعدم اعتدادهم بما يعملونه من معروف • ونفى العلم عنهم لا يقتضى أنهم بله يحسنون ولا يعلمون ، لأن العلم لم ينف عنهم على سبيل الحقيقة بل على سبيل التوهم ، حيث يتوهم من يحسنون اليه عدم علمهم بما يصنعون من معروف لكثرة معروفهم وعدم اعتدادهم به وتذكرهم له •

ومن المدح بما يمكن أن يدخل فى الهجاء قول المتنبى(٣٠) :

حتى يقول الناس : ماذا عاقلا ويقول بيت المال : ماذا مسلما

و « ماذا » فى المصراعين مركبة من « ما » النافية العاملة عمل ليس ، و « ذا » الاشارية ، والمتنبى يقول : ان الممدوح يفرط فى جوده حتى ينسبه الناس الى الجنون ، ويقول بيت المال : ما هذا مسلما ، لأنه فرق بيوت أموال المسلمين ولم يدع فيها شيئا (٣١) •

وعلق ابن وكيع على البيت فقال : ليس من التوفيق أن يسرق السارق ما قد عيب على السابق ، فيحمل عيب السرق ، ويسرق معيبا، ألم يعلم أنه فيما عيب على أبى نواس :

جدت بالأموال حتى قيل : ما هذا صحيح

وقوله :

جدت بالأموال حتى جعلوه الناس حمقا

---

(٣٠) من قصيدة قالها فى صباه يمدح انسانا ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وفيها مبالغات ممقوتة • ينظر شرح البرقوقى : ١٤٣/٤ •

(٣١) شرح الواحدى : ٢١ •

وذلك أن فى ظاهر هذا القول استخففا بالممدوح ، واخبار له باستحماق الناس إياه ، وليس السخاء حمقا بل التبذير ، وذلك وضع الشيء فى غير موضعه ، كالجود فى موضع الامساك ، والامساك فى موضع الجود . فهذا هو الحمق ، فلا تسامح الناس أبا نواس وهو مطبوع لا يطيل فى شعره تكرير نظر ، ولا كد فكره ، فكيف تسامح من لا تظهر له قصيدة الا فى الزمان الطويل فى اللفظ المقصر أو المعنى القليل ، مبتدئا ، فكيف مقتديا ، وسابقا ، فكيف سارقا ؟؟ والحسن قول أبى تمام :

عطاء لو اسطاع الذى يستميحه لأصبح من بين الورى وهو عاذله

وكأن الطالب برفده يعلم أنه يجحف بنفسه فيقول له : دون هذا كاف فحسبك ، وقد قيد أبو تمام بأن قال : لو اسطاع فأما اطلاق الحمق على الممدوح فقبيح(٣٢) .

فعاب ابن وكيع البيت لأنه أظهر الممدوح بمظهر الأحمق الذى يضع الأمور فى غير موضعها فهو رجل يفرط فى السخاء والجود حتى يصفه الناس بالجنون ، ويقول بيت المال عنه انه غير مسلم لأنه فرق كل ما فى بيوت أموال المسلمين ولم يترك شيئا فيها .

وبحث ابن وكيع عن أصل هذا المعنى عند الشعراء كعادته فى كتابه فوجد أن هذا المعنى القبيح قد سبق اليه أبو نواس ، وعيب عليه ولم تسامحه النقاد فيه مع أنه مطبوع ولا يطيل النظر فى شعره ، وسابق اليه ، فكيف تسامح الناس أبا الطيب فى هذا القبيح ، وهو يطيل النظر فى شعره ، ولم يسبق الى المعنى بل سرقه واقتدى بغيره فيما عيب عليه .

---

(٣٢) المنصف : ١٢٩ ، ١٣٠ .

وتبدو في عبارات ابن وكيع أمارات القسـوة على المتنبي ، فهو في نظره غير مطبوع ، ولا تظهر له القصيدة الا في زمن طويل مع قصور اللفظ وحقـارة المعنى .

وأشار ابن وكيع الى أن أبا تمام له في هذا قول حسن لا عيب فيه، وهذا يعني أن المتنبي كان عليه أن ينظر له في هذا قول حسن لا عيب فيه ، وهذا يعني أن المتنبي كان عليه أن ينظر فيه ويقتدي به بدلا من اقتدائه بالمعيب ، ونسي ابن وكيـع أو تناسى أن هذا المعنى القبيـح قد طرقه أبو تمام بعنف ، وزاده فسادا على فساده(٣٣) حين قال :

مازال يهذي بالمكارم والنهى حتى ظنننـــاأنه محموم

وقد عاب الحاتمي قول المتنبي وبين أنه تبع فيه أبا نواس الذي تاه خاطره عن طريق الصواب(٣٤) .

ومن المدح بما يليق به أن يستعمل في الهجاء قول المتنبي(٣٥) :

يا ليت بي ضربة أتيح لها كما أتيحت له محمدها

أثر فيها وفي الحديد وما أثر في وجهه مهنـــدها

فاغتبطت اذا رأت تزينها بمثله والجراح تحسدها

ممدوح المتنبي كان قد أصابته ضربة على وجهه في بعض الحروب، ومعنى البيت الأول:ليت الضربة التي قدر لها الممدوح،كما قدرت له كانت بي . ومعنى الثاني : ان الممدوح أثر في الضربة وفي السيف بردهما عن قصدهما وقد أرادا اهلاكه ، ولم يؤثر المهند فيه تأثيرا معيبا وانما زاده حسنا بهذه الضربة على وجهه التي يعتبرها العرب شـعار المغوار ،

(٣٣) ينظر شرح الواحدي : ٢١ .

(٣٤) ينظر الرسالة الموضحة : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣٥) من قصيدة قالها في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب . شرح البرقوقي : ٢/١٧ .

ومعنى الثالث : هذه الضربة سعدت لما رأت أنها قد تزينت بوجـودها في وجهه ، وحسـدتها بقية الجراحـات اذ لم تصب موضعا كريمـا مثل هذا (٣٦) ٠

ولابن وكيع وقفة طويلة مع هذه الأبيات ، حيث قال : هذا كلام عجيب ، ومعنى غـريب ، وذلك أنه تمنى ضربة تقع منه مثـل ضربة الممدوح ، ولا أعلم هذا مما يتمنى ٠ فان احتـج محتج فقال : أراد بهذا مذهب من اذا رأى مكروها بانسـان قال : ياليت في ذلك دونك ؟ كما قال القـائل :

أنا مذ خبـرت بالعلـ ـة والله عليـل
ليت حماك بجسـمي ولك العمر الطـويل

قلنا له : هذا مستعمل ، لولا ما يليه من قوله : انه أثر في الحديد والضربة ولم يؤثر فيه ، وذكر أنها مغتبطة به ، وما لم يكسب ألمـا ولا شيئا فليس للمفدي منه فائدة في الفدية ، ولا في تمنى حمل مكروه عنه ، الا أن يكون قوله : « يا ليت بي ضربة » على وجه الحسد له على ما لم تؤثر فيه أثرا ولا أكسبته ألما ، وللضربة فيه زينة،مما أجاز له أن يحسد الممدوح على ما زين الضربة ، وهو مختار لتزينها ، فما يحسن أن ينفس عليه بما اختاره ٠

وما أعلم أن بشرا يوصف بأن السيوف لا تستعمل ولا تؤثر في جلده ٠ وتنبو عنه ، ولو استعمل هذا مستعمل في وصف رجل وقـح على المبالغة ، كان أحسن من دخوله في المديح ٠٠٠ وقـد قلت أنا في هذا المعنى :

أبديت وجهـا للعفـا ة مقنعا بقناع عـار

---

(٣٦) ينظر شرح الواحدي : ١٢ ، ١٣ ٠

لو أنـــه لقى الحجـــا ر الصم أثر فى الحجار
أو كان ترس محارب لارتد عنه ذو الفقار

هذا ومما أشبهه فى الهجاء أبلغ وأسوغ منه فى المديح ، وقوله : « أثر فيها وفى الحديد » احالة نذكرها ، وهو أن التأثير لا يقع الا فى الصور ، فيقع فى صورته أو صورة الحديد ، فأما أن يؤثر فى الضربة فلا يجوز ، لأن الضربة عوض فلا يصح فيها التأثير(٣٧) .

فبين ابن وكيع أن فى هـــذه الأبيات كلاما عجيبا ومعنى غريبـــا فقد تمنى ضربة مثل ضربة الممدوح ، وهذا مما لا يتمناه أحد ، حتى وان كان هذا مســـتعملا فقد أضاف اليه ما أفسده وجعله غـــير ذى فائدة فما قيمة أن يفديه فى شىء لم يؤثر فيـــه ولم يصبه بمـــكروه . ووصفه بأن الحديد والضربة لم يؤثر فيه من حقه أن يكون فى الهجاء ووصف رجل وقح لا تؤثر فيه الضربات ، ولجأ الى المبالغة والاحالة فى وصفه بأنه أثر فى الضربة ، لأن الضربة عرض والتأثير انما يقـــع فى الأجسام والصور . والأعراض لا تتأثر .

ويمكن الرد على مآخذ ابن وكيع ، فليس من شرط صحة الفداء أن تؤثر الضربة فى المفدى وتصيبه بمكروه ، لقد وقعت بالممدوح ضربة بالسيف ، والمتنبى جعل نفسه فداء له مما وقع به دون نظر الى اصابته أو عدم اصابته ، وهذا يدل على تمـــام حبه له وشدة خوفه عليـــه ، ووصف انسان بأن الضربة لم تؤثر فيه فهذا مدح دال على شجاعته وقوته وصلابته وشدة بأسه ، كما يمكن أن يكون هجـــاء ولا لبس فى ذلك فالمقام هو الذى يحدد ويبين،وتأثر الضربة وهى عرض لايتأثر ليس على سبيل الحقيقة ، انه خيال شعرى والشعراء يتخيلون مثل ذلك ،

---

(٣٧) المنصف : ١٠٢ ـ ١٠٥ .

ولا يحكمون فى خيالهم بالجوهر والعرض • قال ابن سيدة : قوله : « أثر فيها » استعارة ومجاز غريب ، كأنه توهم الضربة عينا ، بل هو عندى أبلغ لأنه اذا أمكنه التأثير فى العرض كان له فى الجوهر أمكن، لكنه مع ذلك قول شعرى ، أعنى أنه ليس بحقيقة(٣٨) •

٣ ــ ذكر أبيات فارغة من المعانى ، ليس فيها الا طنين الألفاظ، من ذلك قوله(٣٩) :

ومبتسمات هيجاوات عصر   عن الأسياف ليس عن الثغور

قال ابن وكيع : معنى الكلام:وحروب تبسم هيجواتها عن الأسياف ليس عن الثغور ، وهى ألفاظ هائلة المسموع ، قليلة المنفوع ، كأنها ثياب خلقان لها روعة وليس لها مفتش طائل(٤٠) •

ومبتسمات عطف على عذارى فى البيت السابق ، واضافتها الى هيجاوات بيانية ، والمتنبى يقول : من عذيرى من حروب تبتسم هيجاواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور(٤١) •

وهذا المعنى ضئيل فى نظر ابن وكيع اذا ما قورن بألفاظ البيت الهائلة ، وعندى أن المعنى ليس بهذه الصورة المزرية التى رسمها ابن وكيع ، فهو وان كان بسيطا الا أن الشاعر أبرزه فى صياغة دقيقة، متكأ على الاستعارة الجميلة ، والحصر المنبىء عن التأكيد ، فجاء

(٣٨) شرح مشكل شعر المتنبى : ٢٩ •

(٣٩) من قصيدة يصف فيها مسيرة فى البوادى ، وما لقيه فى أسفاره • شرح البرقوقى : ٢/٢٤٥ •

(٤٠) المنصف : ٥٧٧ •

(٤١) ينظر شرح العكبرى : ٢/١٤١ ، والبرقوقى : ٢/٢٤٥ •

فخما يخلب الألباب ، وقد قال الجاحظ : انما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٤٢) .

ومن أبياته الفارغة من المعانى فى نظر ابن وكيع قوله (٤٣) :

وأنك لا تجود على جواد   هباتك أن يلقب بالجواد

قال ابن وكيع : هذا من ألفاظه التى تحتاج الى تفسير ، فاذا فسرت قلت فائدة مسبوكها ، ومعناه : هباتك لا تجود على أحد بأن يلقب جوادا ، ولو قال : « أن يسمى بالجواد » كان أحسن من قوله : أن يلقب » (٤٤) .

وهباتك : فاعل تجود ، ومعنى البيت : لا تجود هباك على أحد يلقب الجواد ، لأن هذا اللقب لا يستحقه أحد غيرك .

وحكم عليه ابن وكيع بأنه فى حاجة الى تفسير ، فاذا فسر صار قليل الجدوى ، ضعيف المحصول . وحاجته الى التفسير نابعة من خفاء معناه بسبب التقديم والتأخير الذى أوجد فى البيت تعقيدا لفظيا .

ومما لا طائل تحته قوله (٤٥) :

ولا ينفع الامكان لولا سخاؤه   وهل نافع لولا الأكف القنا السمر؟

---

(٤٢) الحيوان : ١٣١/٣ .

(٤٣) من قصيدة فى مدح على بن ابراهيم التنوخى شرح البرقوقى ٧٤/٢ .

(٤٤) المنصف : ٣٥٢ .

(٤٥) من قصيدة فى مدح على بن أحمد الانطاكى . شرح العكبرى ١٤٨/٢ .

قال ابن وكيع : هذا الاخبار اخبار بما لا يجهل،وذلك لأن صاحب الثراء انما ينفع ثراؤه اذا جاء به ، فلو بخل لم ينتفع به • وخبرنا أن القنا السمر لاتنفع لولا الأكف ، وهذا مما لا يجهل أيضا ، وقد أشار له الى هذا المعنى ، وجعله ناظرا اليه البحترى بقوله :

وما السيف الا بز غاد لزينة اذا لم يكن أمضى من السيف حامله

وهذا الكلام مفيد ، لأن مضاء السيف بمضاء حامله ، وفى جملته الماضى وضده ، والمتنبى يذكر أن الأكف التى لابد من حملها الرماح، لولاها لم تنفع الرماح ، وهذا غير مجهول ، وفائدته قليلة ، ولا فرق بين كلام أبى الطيب وبين من يقول : لولا عيناك ما نظرت ، ولولا لسانك ما نطقت وما أشبه هذا بالهذيان الذى لا يفيد •

وقد أتى البحترى ببيت يقرب من الأول فقال :

فلا تغلين بالسيف كل غلائه ليمضى فان الكف لا السيف مقطع

ولعل محتجا أن يقول : فلا فرق بين قول أبى الطيب وبين قوله فى قلة الفائدة ، قلنا : ليس كذلك • لأن السيف تضرب به كف الجبان فلا يقطع — وهو ماض — فكأنه ها هنا يقصد كف الشجاع وجودة الضرب ، لأن القطع للسيف اذا تبعته كف مجيدة للضرب ، فاذا لم يقطع فلعلة تخالف كفه ، فلم يخرج عن معناه فى البيت الأول ، وكلا القولين مفيد(٤٦) •

فبين ابن وكيع أن ما أخبر به المتنبى أمر معروف ، ولا فائدة فى الاخبار به ، وأنه نظر فيه الى قول البحترى الا أن فى بيتى البحترى فائدة جليلة لا توجد فى بيت أبى الطيب •

---

(٤٦) المنصف : ٦٠٦ •

والتقليل من قيمةبيت أبى الطيب الى درجة جعله يشبه الهذيان حيفا في النقد لا انصاف ، فمعناه مقبول ، ومبناه قوى ، وقد احتوى على تشبيه ضمنى أعلى من قدره ومكانته ، حيث جاء المعنى مصورا تصويرا دقيقا ومدلولا عليه بحجة قوية أثبتته وبرهنت عليه .

ومما جعله ابن وكيع من الأبيات التى لا طائل تحتها قول المتنبى(٤٧) :

لا تكثر الأموات كثرة قلة الا اذا شقيت بك الأحياء

اذ قال معلقا عليه : لأبى الطيب أبيات فخمة المبانى ، ضئيلة المعانى ، اذا وقع التفتيش منها على اللفظ الهائل ، لم يظفر منه بطائل ، وكأنها ثياب خلقان لها روعة وليس لها مفتش . ومعناه اذا ذكرت الأموات قلت الأحياء فشقيت بفقدك ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه(٤٨) .

والبيت خفى المعنى ، ومن ثم اضطربت أقوال الشراح فيه ، وقد حكى العكبرى كثيرا من أقوالهم ، فساق رأى ابن جنى ، ورأى الواحدى الذى بين فساد رأى ابن جنى ، كما ذكر قول أبى العلاء ، وابن الشجرى وغيرهما(٤٩) . وهذا يؤيد ما ذهب اليه ابن وكيع فيه .

٤ ــ وقوعه على كثير من المعانى الرديئة والخاطئة ، وهذا عيب آخر من العيوب التى عدها عليه ابن وكيع فيما يتعلق بالمعانى ، ومن أمثلته قول المتنبى :

---

(٤٧) من قصيدة فى مدح أبى على هارون بن عبد العزيز الكاتب شرح العكبرى : ١/١٢ .

(٤٨) المنصف : ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٤٩) ينظر شرح العكبرى : ١/٢٧ . وشرح الواحدى : ١٩٩ .

أقر جلدى بها على فما   أقدر حتى الممات أجحدها

قال ابن وكيع : هذا معنى ردىء لأن فى طبعه جحود النعمة،فلما أقر بها عليه جلده صار لا يقدر على الجحود الذى فى طبعه ، كمن يريد جحد واجب فاذا علم أن عليه شهودا به أقر به(٥٠) .

والبيت من قصيدة قالها فى صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوى(٥١) . ومعناه : لا أقدر أن أجحد نعمك لأن جلدى قد أقر بها، حيث ظهرت عليه الخلع واللباس للناظرين ، فكأنه يلبسها مقر ناطق بها(٥٢) .

وملحظ ابن وكيع على هذا المعنى سديد .

ومن معانيه الفاسدة قوله :

ومقانب بمقانب غادرتها   أقوات وحش كن من أقواتها

قال ابن وكيع : المألوف أن يقتات الناس من الوحش : الظباء ، والحمير والبقر ، والأرانب ، والثعالب ، وهذه الأجناس كلها لا تأكل القتلى ، وانما تأكلهم السباع والنسور والذئاب ، وليس هذه من الأقوات ، فان أكل منها شىء فلجوع مفرط ، فقد فسد معناه على هذا(٥٣) .

والبيت من قصيدة فى مدح أبى أيوب أحمد بن عمران ، والمقانب جمع مقنب ، هو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين الى الأربعين ،

---

(٥٠) المنصف : ١١٠ .

(٥١،٥٢) شرح العكبرى : ١/٢٩٤ ، ٣١٢ .

(٥٣) المنصف : ٦٠٠ .

والمعنى : الجرش العظيم تركته قوتا للوحش ، بعدما كانت الوحوش قوتا له يصيدها ويذبحها ويأكلها(٥٤) .

وابن وكيع على صواب فيما ذكره ، ومن الشراح من خرج قول المتنبي بانه فى هذا سائر على عادة العرب فى اكلهم كل ما دب ودرج(٥٥) ، وقال ابن سيده : وجعل الأكلة لهم مما كانوا يقتاتون به لأن العرب تأكل الذئب والضبع والهذياع والفهد ونحو ذلك من أكلة الانسان(٥٦) .

ومن معانيه التى خطأها ابن وكيع قوله :

قالت وقد صبغ الحياء بياضها   لونى كما صبغ اللجين العسجد

قال ابن وكيع لأبى الطيب مذهب فى الحياء ينفرد به لأنه القائل :

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة   سترت محاجرها ولم يك برقعا

فكانه لا يفرق بين تأثير الوجل وتأثير الخجل ، ونسى قول جالينوس : الحمرة حادثة عن الخجل ، والصفرة حادثة عن الغم والوجل ، فان أراد مذهب الفلاسفة فهذا مذهبهم ، وان أراد مذهب الشعراء فقد قال ابن المعتز :

يا من يجود بموعد من وصله   ويصد حين نقول أين الموعد
ويذل صباغ الحياء بوجهه   تعبا يعصفر تارة ويورد

وقال ابن دريد :

يصفر وجهى اذا بصرت به   خوفا ويحمر خده خجلا

---

(٥٤) شرح العكبرى : ١/٢٢٨ .
(٥٥) شرح الواحدى : ٢٧٩ .
(٥٦) شرح مشكل شعر المتنبى : ١٢٠ .

حتى كأن الذى بوجنتـــه من دم وجهى اليه قد نقلا

فقد خـالف أبو الطيب مذهب الفلاسـفة والشعراء ومشـاهدة العين ، ومع احالته فقد سرق المعنى من قول ذى الرمة :

كحلاء فى برج صفراء فى نعج كأنها فضـة قد مسها ذهب

فان توهم متوهم ناقص الفطنة أن علينا فى قول ذى الرمة حجة لأبى الطيب فليس كما توهم لأن ذا الرمة وصفها بصفة ثابتة عليهـا ولم يجعل الحياء سببا لصفرتها ، وقد يكون اللون العاجى فى البشر خلقة لا لعلـة(٥٧) •

والبيت من قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى(٥٨) وقبله قـوله :

قالت وقد رأت اصفرارى : من به؟ وتنهـدت فأجبتها المتنهـد

فلونه الذى صـبغ الحياء بياضها به هو الصـفرة ، وقد خطـأه ابن وكيع فى هذا بحجة أن الحياء يورث الحمرة لا الصفرة،وبذلك قال الحكماء ، ونطق الشـعراء ، وشهد الواقع ، فخالف أبو الطيب هذه الحقيقة وانفرد بمذهب فى الحياء سار عليه فى هذا البيت وغيره •

وبين أنه قد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة الا أن ذا الرمة جعل الصفرة صفة ثابتة لها فلم يقع فى الخطأ الذى وقع فيه المتنبى •

وصحح الواحدى معنى المتنبى فقال : هذا الحياء كان مختلطـا بالخوف ، لأنها خافت الفضيحة على نفسـها ، أو خافت أن يسـمع

(٥٧) المنصف : ٢٢٩ ، ٢٣٠ • وينظر الميصف : ٤٤٩ •
(٥٨) ينظر شرح العكبرى : ١/٣٢٧ ـ ٣٢٩ •

الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشعرها خوفا ما جنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة(٥٩) .

فأشار الى أن حياءها كان مختلطا بالخوف فغلبت صفرة الخوف على حمرة الحياء ، وما تقدم فى القصيدة يوجب أن تكون شديدة الخوف حيث أخبر بأنها سفكت دمه ، وأصبح دمه معلقا بعنقها .

٥ ـ تناقض المعانى ، حيث يقول كلاما ينقض بعضه بعضا ، ومن ذلك قوله :

اذا اعوج القنا فى حامليه وجاز الى ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثأرها الأكباد منه فأولته اندقاقا أو صدوعا

قال ابن وكيع : هذا كلام ينقض بعضه بعضا ، بينا هو يخبرنا بجوازه من الضلوع الى الضلوع ، وما كان بهذه الصفة فهو سالم غير مندق ولا متصدع اذ أخبرنا أن الأكباد نالت ثأرها منه باندقاقه وانصداعه ، فاذا اندق وانصدع لم ينفذ الى الضلوع التى بعدها ، والعجب أن هذا القنا صادم عظام الأضلاع فلم تصدعه ولم تدقه وجازها ، فلما صار الى الأكباد الرطبة التى تلين ملاقاتها عليه اندق وانصدع ؟ ولو تأتى له أن يقول : ونالت ثأرها الأيدى للأكباد ، لجاز أن يلحقه ذلك من مصادمة الأيدى اياها ، وهذا من قوله التخريف وقلة التأمل(٦٠) .

والبيتان من قصيدة فى مدح على بن ابراهيم التنوخى(٦١) ، والضمير فى « منه » يعود على « القنا » وجواب « اذا » فى البيت الآتى بعدهما وهو قوله :

---

(٥٩) شرح الواحدى : ٧٣ .
(٦٠) المنصف : ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

فحد فى ملتقى الخيلين عنــه   وان كنت الخبعثنة الشجيعا

وابن وكيع يرى أن ما جاء فى البيت الثانى ينقض ما جاء فى البيت الأول ، فالرمح الذى نفذ من الضلوع الى الضلوع يكون سالما غــير منذق ولا متصدع ، ولكنه جعله منذقا ومنصدعا لأن الأكباد تــأرت منه ، وما كان بهذه الصفة لا ينفذ الى الضلوع التى بعدها .

ويعجب من هذا الرمح كيف صادم عظام الأضلاع فلم تصدعه ولم تدقهوجازها فلما صار الى الأكباد الرطبة دقته وصدعته ! ان هذا تخريف وقلة تأمل .

وما ذكره ابن وكيع حكم قاس على قول المتنبى يعتمد فيه على القوانين العقلية الصارمة دون اعتبار لخيال الشعراء الجــامح الذى لا يحكمه ترتيب ، ولا تقيده حدود عقلية ، والا فلا تناقض فى قول المتنبى،فهو بين شدة الطعن بالرمح حتى نفذ من الضلوع الى الضلوع المقابلة فشق الجنبين ، واندق وتصدع فى الأكباد ، وكأنها بذلك أدركت تأثرها منــه(٦٢) .

ومن هذا القبيل قوله فى ختام قصيدة (٦٣) :

فعد بها لا عدمتها أبدا   خير صلات الكريم أعودها

قال ابن وكيع : بينما يخبر عن الممدوح لترديده صلاته اذا سأله أن يعود اليها ، والعائد يكون بادئا ، فكأنه قد نسى قوله :

ومكرمات مشت على قدم الــ   ــبر الى منــزلى ترددها

---

(٦١) شرح البرقوقى : ٣٥٧/٢ ، ٣٦٢ .
(٦٢) ينظر شرح الواحدى : ١٤٦ .
(٦٣) قالها فى صباه يمــدح محمد بن عبيد الله العلوى . شرح العكبرى : ٢٩٤/١ .

فقوله « فعد بها » الهاء راجعة الى المكرمات ، والمراد لا تسأل عودته(٦٤) .

والمتنبى يطلب من ممدوحه اعادة العطايا دائما ، فخير صلات الكريم اكثرها عودا ، وقد أخذ عليه ابن وكيع تناقضه فى الكلام ونسيان ما قاله ، لأنه فى هذا البيت يطلب اعادة المكرمات وقد ذكر قبل هذا أن مكرمات الممدوح تتردد عليه مكرمة اثر مكرمة فما فائدة طلب العود اذا كانت المكرمات تتردد .

وأرى أن ابن وكيع متعسف فى حكمه ، فالمتنبى يذكر أن مكرمات الممدوح وصلت اليه وترددت عليه ، وهذا لا يعنى أنها لم تنقطع ، ولا يمنع من أن يطلب من الممدوح اعادة العطايا والاستمرار فيها ، ومن ثم يكون ختمه القصيدة بطلب العطايا والاستمرار فيها لايناقض ما سبق ، ولا يتعارض معه .

---

(٦٤) المنصف : ١١٢ . وينظر : ٩٨ ففيها مثال آخر .

المبحث الثالث

النقد المتعلق بالصور البلاغية

ابن وكيع شاعر محدث يهتم كغيره من الشعراء المحدثين بفنــون البلاغة وألوان البديع ويعتبرها أساسا هاما فى تفضيل شاعر على شاعر وترجيح شعر على شعر .

ولا أدل على صدق هذه المقولة من أننا نراه فى كتابه يعنى بابراز هذه الفنون فيما عرض له من شعر ، ويبنى أحكامه النقدية على أساسها فى كثير من الأحيان ، فيستحسن البيت ويرجحه لما فيــه من فنــون البديع ، ويعيب البيت ويضعفه لخلوه منها .

ففى قول المتنبى (١) :

ان كان أغناهــا السلو فاننى ... أمسيت من كبدى ومنها معدما

يقول ابن وكيع : قال منصور النمرى :

وانى على صبرى لــكل ملمــة ... عن الصبر من أم الوليد لمعدم

وذكر العدم ولم يذكر الغنى ، وبيت أبى الطيب فيه مطابقة مليحة يرجح بها (٢) . فـيستحسن بيت المتنبى ورجحــه على بيت النمرى لاشتماله على المطابقة المليحة بين الغنى والعدم .

وفى قول المتنبى (٣) :

---

(١) من قصيدة قالها فى صباه . شرح العكبرى : ٤/ ٢٩ .

(٢) المنصف : ١٢٢ .

(٣) من قصيدة فى مدح على بن ابراهيم التنوخى . شرح العكبرى : ١/٣٥٦ .

متى لحظت بياض الشيب عين فقد وجدته منها فى السواد

يقول ابن وكيع : هذا من قول القائل :

فى كل يوم أرى بيضاء نابتـه كأنمـا نبتت فى حبـة البصر

فالمعنى المعنى ، ولكن مبنى أبى الطيب أرجـح بما تأتى له من المطابقة بين البياض والسواد ، والأول ذكر البياض ، وجعل حبة البصر موضع السواد من بيت المتنبى ، ولو قال : فى أسـود البصر » كانت الصيغة واحدة ، وكان أحق بما قال ، ولكن تأتى له أن رجح كلامه على كلام من أخذ عنه فصار أولى به (٤) .

فكلامه هنا صريح فى اثبات ما ذكرناه من أنه يعتد فى أحكامـه بالفنون البلاغية اعتدادا كبيرا ، حيث رجح بيت أبى الطيب لما فيه من مطابقة ، وبين أن الشاعر الأول لو طابق فى بيته لكان كلامه أرجح .

وفى قول المتنبى (٥) :

حتى انثنوا ولو ان حر قلوبهم فى قلب هاجرة لذاب الجامـد

يقول ابن وكيع : أخذه من قول جرير :

تكلفنى نفسى هـواجر دونهم يكاد الحصى من حميهن يذوب

وقال ابن المعتز :

واليـوم يجـرى بالاكا م سرابه والصـخر ذائب

وقال ابن المعتز أيضا :

ويوم تظل الشمس توقد ناره يكاد حصى المعـراء منه يذوب

---

(٤) المنصف : ٣٤٨ .

(٥) شرح العكبرى : ١/٣٣٥ .

ولكن فى بيت أبى الطيب زيادة من تشبيه حر قلوبهم بحر هاجرة يذوب منها الجلاد ، فهو أرجح بزيادة التشبيه واستعارة القلب للهاجرة فهو أحق بما أخذ (٦) .

ففضل بيت أبى الطيب لما فيه من فنون بلاغية .

ولاعتماد ابن وكيع على الفنون البديعية فى أحكامه نراه يتهكم بالمتنبى لأنه قليل المجانسة فى شعره ، وأنه اذا جانس جاء بغير طائل(٧) .

وحين قسم ابن وكيع الشعر قال : وأما أقسام الشعر فهى : اما مثل سائر ، أو تشبيه باهر ، أو استعارة لفظها فاخر (٨) .

وجعل هذه الفنون الثلاثة هى أصول الشعر فقال : وقد ذكرنا أصول الشعر من المثل الشرود ، والتشبيه السديد والاستعارة البديعة فى الألفاظ الرفيعة (٩) .

وكل هذا يدل بوضوح على أن ابن وكيع يعتبر الفنون البديعية أساسا فى صنعة الشعر وجودته ، ويستند اليها فى كثير من أحكامه على شعر المتنبى وشعر غيره .

وقد تناول « ابن وكيع » بعض ما ورد فى شعر المتنبى من فنون بلاغية ، كالتشبيه ، والاستعارة والمطابقة وغيرها ، وحكم عليها بما رآه من أحكام ، وسنرى فيما يلى تفصيلا لهذا الجانب .

---

(٦) المنصف : ٢٣٧ .
(٧) ينظر المنصف : ١٩٢ ، ٥٥٣ .
(٨) المنصف : ٤٩ .
(٩) المنصف : ٦٥ .

التشـــبيه :

وقف « ابن وكيع » أمام عدد من تشبيهات المتنبى ، وعاب بعضها واستحسن بعضها ، ومن التشبيهات التى استحسنها قول المتنبى :

كأنما قدها اذا انفتلت   سكران من خمر طرفهـا ثمل

وعلق عليه بقوله : فقد ملح بأن جعل قدها سكران من خمر طرفها، فزاد فى المعنى من تمامه ، والا فقد سبقه الشعراء الى تشبيه القدود فى انفتالها بقدود السكارى (١٠) •

والبيت من قصيدة فى مدح « بدر بن عمار » وقد بدأها بالغزل ، وفى هذا البيت يصف قدها ، ويقول : انها تتمايل فى مشـــيتها تمايل السكران ، فكأن قدها نظر الى طرفها فسكر من خمر عينيها (١١) •

واستحسن « ابن وكيع » تشبيه المتنبى لأنه زاد فيه معنى غـير مسبوق به ، فشبه قدها بسكران من خمر عينيهـا لا من خمر آخر ، فاشتمل تشبيهه على وصف جمال قدها ، وسحر طرفها ، بينما اقتصر سابقوه على تشبيه القدود بالسكارى •

واستحسن ابن وكيع بيتى أبى الطيب :

تلذ له المروءة وهى تؤذى   ومن يعشق يلذ له الغـرام
تعلقها هوى قيس لليلى   وواصلها فليس به سقام

فقال : هذا الكلام مســتوفى الأقســام ، مليح النظام ، أخبرنا بالتذاذه المروءة التى يثقل حملها على الناس ، وشـــبه ذلك بالتـذاذ العاشق الغرام ، وذكر أن تعلقه لها تعلق قيس لليلى ، وهو فى نهايــة

---

(١٠) المنصف : ٥٠٠ •

(١١) شرح البرقوقى : ٣/٣٢٦ •

التعلق بها ، وذكر أن مواصلة لها تؤمنه السقام الذى يقع من المقاطعة. وقد قال ابن الرومى :

عشق العلا وعشقته فكأنما ... وافى هوى لبنى هوى ابن ذريح

وقال ابن الرومى أيضا :

أتحجب عنى عشرة قد ومقتها ... فشوقى اليها شوق قيس الى لبنى

فالتشبيه كالتشبيه ولكنه زاد بقوله : وواصلها فليس به سقام زيادة استحق بها المعنى ... (١٢) .

فاستحسن ابن وكيع البيتين وأثنى على ما فيهما من حسن النظام واستيفاء الأقسام وجودة التشبيه ، فى كل من البيتين ، ففى الأول : شبه التذاذ الممدوح بالمروءة مع ما فيها من التكاليف والمشاق بالتذاذ العاشق بعشقه مع ما فيه من التعب والنصب ، وفى الثانى : شبه تعلق الممدوح بالمروءة بتعلق قيس بليلى ، ثم ذكر أنه واصل المروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق ليلى قيسا سقما ، لأنه لم يجد سبيلا الى وصلها (١٣) .

وبهذا المعنى الأخير فضل ابن وكيع قول المتنبى على قول ابن الرومى ، وان كنا نرى أن أبا الطيب يزيد على ابن الرومى بمعنى البيت الأول أيضا لأنه لم يشر اليه فى بيتيه الذين ساقهما ابن وكيع .

وعاب « ابن وكيع » بعض تشبيهات المتنبى لأسباب مختلفة منها :

١ ــ التشبيه بغير المعتاد وبما لا يليق التشبيه به . وعلى هذا عاب قول أبى الطيب :

---

(١٢) المنصف : ٤٠٧ .

(١٣) ينظر شرح العكبرى : ٤/٧٥ .

وكأن الفريد والدر واليا قوت من لفظه وسام الركاز (١٤)

فقال : أما التشبيه بالذهب فغير معتاد ، وانما يعنى بسام الركاز، عروق الذهب فى معدنها ، وأقبح ما يكون الذهب كذلك ، وانما يحسن بالسبك ، فلابد للذهب من معدن ، فاضافة السام الى الركاز غير مفيدة، لأنه لا يكون ذهب بغير معدن ، وما طلب الا للقافية (١٥) •

وهذا البيت من قصيدة المتنبى فى مدح على بن صالح الكاتب ، وقد بين فيه حسن لفظه ، وانتظام كلامه ، فقال : ان الفريد والدر والياقوت وسام الركاز كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه ، وهذا من التشبيه المقلوب ، فالأصل أن يشبه اللفظ بالدر والياقوت ، وقد عكس المتنبى ذلك ، فشبه الدر والياقوت باللفظ ، وذلك للمبالغة فى وصف ألفاظ الممدوح بالحسن والانتظام •

وقد أخذ « ابن وكيع » على المتنبى ثلاثة أشياء :

(أ) أنه شبه اللفظ بالذهب ، وهذا غير مستعمل فى كلام العرب، والمشهور فى كلامهم تشبيهه بالدر •

(ب) أنه شبهه بسام الركاز ، وهو عروق الذهب فى معدنها ، والذهب فى هذه الصورة أقبح ما يكون وأقل شأنا من أن يشبه به ، لأنه يكون غير نقى ، ومختلطا بغيره من الشوائب ، ولا يجود الا بالسبك •

(ج) أضافته السام الى الركاز ، وهى غير مفيدة ، لأن الذهب لا يكون الا فى المعدن ، فجاء بالركاز من أجل القافية دون نظر الى عائدها المعنوى ، وهذا من عيوب الشعر •

---

(١٤) الفريد : الدر اذا فصل ونظم ، أو هو الكبار من الدر •
(١٥) المنصف : ٦١٥ •

٢ ـ عدم وضوح التشبيه ، وتشبيه الشيء بغير جنسه ، وعلى هذا عاب « ابن وكيع » قول المتنبي :

لو كنت عصرا منبتا زهـرا كنت الربيـع وكانت الوردا

وعلق عليه بقوله : أخذه من أبي تمام :

ومن زمن ألبسـتنيه كأنـه اذا ذكرت أيامه زمن الورد

معنى أبو الطيب : لو كنت عصرا وكان الملك زهرا ، كنت ربيعا وكان الزهر وردا ، وتشبيه الزمان بزمان من جنسه هو زمـان الورد أحسن وأشبه من تشبيه انسان بزمان الورد ، فتشبيه أبي تمام أوضح، وكلامه أرجح ، وهو للسبق أولى بما قال (١٦) •

فاستحسن « ابن وكيع » تشبيه أبي تمام وفضله على تشـبيه المتنبي ، لأن أبا تمام شبه الشيء بجنسه ، والمتنبي شبه الشيء بغـير جنسه •

ولا نخالف «ابن وكيع» في أفضلية بيت أبي تمام على بيت المتنبي، فبيت أبي تمام أجود سبكا وأوضح معنى ، ولكننا نخالفه في الأساس الذي بني عليه حسن التشبيه وهو اتحاد الجنس ، لأن البـلاغيين لا يرجعون حسن التشبيه الى اتحاد الجنس بين المشبه والمشبه به ، بل يرجعون ذلك الى المعاني المشتركة بين الطرفين ، وقدرة الشاعر على التأليف بين المتباعدين ، « فربما أشبه الشيء الشيء صورة ومعنى ، وربما أشبهه صورة وخالفه معنى ، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة ، وربما قاربه أو داناه ، وربما أشبهه مجازا لا حقيقة (١٧) • ومن وظيفة التشبيه أن يقرب بين الأشياء المتباعدة ، ويؤلف بين الأجناس المتنافرة، ويقيم علاقات بين المشاهد المختلفة •

---

(١٦) المنصف : ١٦٠ •
(١٧) عيار الشعر : ٢٥ •

والمعنى الذى فسر به « ابن وكيع » بيت أبى الطيب لا تؤديه ألفاظ البيت ولا تتنزل عليه،وهو من أبيات أرسلها الى عبيد الله بن خلكان شكرا على هدية له ، ومعناه : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد (١٨) . وهذا هو المعنى الذى تدل عليه كلمات البيت ، والمتلائم مع ما سبقه من أبيات .

٣ ـ كون التشبيه دالا على غير المراد ، ففى قول المتنبى :

جزى الله المسير اليه خيرا   وان ترك المطايا كالمزاد

يقول ابن وكيع : المزاد يكون فيه الملأى الجديدة ، فيكون التشبيه يدل على الصلابة والسمن وقلة الكد ، وليس هذا مراده ، لأنه لا يوجب على الممدوح ذماما فى قصده لأنه ما كد اليه راحلة ، ولا جهد نفسه فى اتيانه ، وقد تكون فارغة يابسة ، فتشبه الهزلى من الابل ، ولكنه ما أتبع هذا بنعت يفسر ارادته ، والجيد قول بعض الأعراب :

كأنها والشول كالشنان   تميس فى حلة أرجوان

و « الشنان » القرب البالية جمع شنه ، فدل بمعنى الشنان على بلاها وهزالها فرجح لفظه على لفظ أبى الطيب (١٩) .

فالتشبيه فى بيت المتنبى غير دال على المراد من وجهة نظر ابن وكيع ، لأنه يريد أن يقول : ان ابلنا قد أضناها المسير وهزلها حتى أصبحت كالمزاد الفارغة اليابسة التى نفد ماؤها ، والمزاد جمع مزادة وتطلق على الملأى الجديدة وعلى الفارغة البالية ولم يبين المتنبى أيهما

---

(١٨) شرح البرقوقى : ٢/٥٠ .
(١٩) المنصف : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

يقصد ، ومن هنا كان التشبيه غير دال على المراد وكلام ابن وكيع هنا لا يخرج عما ذكره الحاتمى فى رسالته عن هذا البيت (٢٠) .

وقد خرج ابن جنى كلامه على حذف الصفة استغناء بالموصوف فقال : يريد أنها صارت كالمزاد البالى فحذف الصفة (٢١) .

ونقل العكبرى عن ابن فورجة قوله : لا دليل على حذف الصـــفة ، وانما أراد كالمزاد التى نحملها فى مسيرنا اذ قد خلت من الماء والـــزاد لطول السفر ، والألف واللام فى المزاد للعهد (٢٢) . وهذا الرأى أولى عندى بالقبول مما ذكره ابن جنى ، وعليه لا عيب فى التشبيه . كما أن المتنبى أتبع هذا البيت ببيت يوضح مراده أبلغ توضيح اذ قال :

فلم تلق ابن ابراهيم عنسى   وفيها قوت يوم للقـــراد

فبين أن ناقته لم تصل الى الممدوح الا وقد أضناها السير ، حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القراد ، وهذا مبالغة فى الهزال . وهذا البيت يبين مراده خير بيان وهو مكمل لسابقه .

٤ — الجمع بين تشبيهات غير متجانسة ، وعلى هذا عاب «ابن وكيع» قول المتنبى :

بدت قمرا ومالت خـــوط بان   وفاحت عنبرا ورنت غـــزالا

فقال : ووقوع « فاحت عنبرا » بين هذه التشـــبيهات التى هى أعضاء ، قلة صنعة وضيق عطن بما يليق فى البيت ، ولو قال : وماجت لجة ، يريد ردفها كان البيت كله تشبيهات ، وكان أحسن فى صـــنعة الشعر ، ولو جعل البيت بثلاثة تشبيهات فقال :

---

(٢٠) الرسالة الموضحة : ١٠٣ .
(٢١) شرح العكبرى : ٣٥٧/١ .
(٢٢) السـابق .

تثنى مائدا ورنت غزالا

لاكتفى بذلك ، وجميع البيت موجود فى قول ابن الرومى :

ان أقبلت فالبـدر لاح وان مشت　　فالغصن مال وان رنت فالريـم

وقال البحترى :

فهى الشمس بهجة والقضيب النضـ　　ـر لينا والريم طرفا وجيدا

وهذه معان متداولة مستعملة ، ولكن اذا نشط لأخذها فلابد من اخراج مواضعها ، ومع ذلك فقد عرفتك نقصان صنعته فيها ، وكلاهما بالسلامة من مطعن أرجح وهما أولى بما قالا (٢٣) •

وكلام « ابن وكيع » يدور حول التشبيه وأخذ المعـانى • فمن جهة التشبيه جعل قول المتنبى : وفاحت عنبرا غير متجانس مع ما قبله وما بعده من تشبيهات لأنها تتعلق بالأعضاء وهذا ليس كذلك •

وأرى أن تشبيه رائحتها بالعنبر متجانس مع ما قبله وما بعده وان كان غير متعلق بعضو من الأعضاء ، لأنه شـبهها بالقمر فى الحسن ، وبالغصن فى الليونة ، وبالعنبر فى طيب الرائحة ، وبالغزال فى النظر ، وكلها تشبيهات حسية ، منها ما يدرك بحاسة البصر ، ومنها ما يدرك بحاسة الشم ، وهى تدور حول وصف المتغزل فيها دون غيرها ، وقـد صاغها الشاعر صياغة محكمة تختفى فيها الأعضـاء ، وتتوارى فيها الأجزاء •

ولو قال المتنبى : « ومجت لجة » بدل قوله : « وفاحت عنبرا » كما يرى « ابن وكيع » ما كان أحسن فى صنعة الشعر ، لخفـاء هذا

---

(٢٣) المنصف : ٥١٧ •

التشبيه من ناحية ، ولقلة اضافته المعنوية من ناحية أخرى ، حيث وقع وصفه باللينونة وعدم التماسك فى قوله : « ومالت خوط بان » ، وان كان غير متعلق بالأرداف •

ولو اقتصر المتنبى على ثلاثة تشبيهات وأصبح البيت كما يرى ابن وكيع :

بدت قمرا ومالت خوط بان   تثنى مائدا ورنت غزالا

لنقص البيت تشبيها بديعا ، واحتوى على حشو لا داعى له هو قوله : « تثنى مائدا » لملازمة هذه الصفة لغصن البان المشبه به من غير نص عليها ، اذ لا يعقل أن يكون المراد غصنا سميكا لا يهتز ، والا كانت المحبوبة خشبا جامدا لا حياة فيها •

ومن جهة أخذ المتنبى هذه المعانى ، فقد اعترف « ابن وكيع » أنها معان متداولة مستعملة ، شاعت على ألسنة الشعراء • وعلى هذا فأخذها لا يعد من قبيل السرقة • ولا أرى وجهـا لتفضيله ببيتى ابن الرومى والبحترى على بيت المتنبى ، فقد احتوى كل بيت منهما على ثلاثـة تشبيهات ظاهرة جاءت فى صياغة معتادة ، لا تفنن فيها ، بينما احتوى بيت المتنبى على أربعة تشبيهات ، صيغت صياغة فنية جميلة فى عبارات موجزة محكمة •

٥ — تقييد التشبيه بما لا فائدة منه • وعلى هذا عاب «ابن وكيع» قول المتنبى :

أنا صخرة الوادى اذا ما زوحمت   فاذا نطقت فاننى الجـوزاء

فقال : لو قال : أنا صخرة ان زوحمت ، ونجم اذا نطق ، قيل ان الصخرة لا يضرها مازاحمها ، وأنه يصير بكلامه فى محل النجم ، فلما

خصص صخرة الوادى والجوزاء احتجنا بهذا التخصيص الى فائدة ، ولا فرق بين صخرة الوادى وغيرها ولا بين الجوزاء وغيرها فى العلو ، ولو قال : فاذا نطقت فاننى عطارد لكان قد دل على ما دلت عليه الجوزاء ، وخبر عن جلالة النجم وتأثيره فى البلغاء والشعراء (٢٤) .

فابن وكيع يرى أنه لا فائدة من تخصيص الصخرة بلفظ الوادى لأنه لا فرق بينها وبين غيرها من الصخور ، ولا فائدة من التشبيه بالجوزاء لأنه لا فرق بينها وبين غيرها فى العلو .

وأرى أن هذا النقد غير سديد ، لأن المتنبى شبه نفسه فى الشطر الأول بصخرة الوادى فى الثبات والاستقرار وهى صخرة قد بل الماء أسفلها فازدادت رسوخا فى الأرض وتسمى أذن الضحل (٢٥) ، فهى أشد صلابة من غيرها بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلا فى الثبات ، لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها (٢٦) .

وعلى هذا فتخصيص الصخرة بالوادى مفيد فائدة جليلة لا تكون بدونه اذ دل هذا على شدة صلابته وقوة ثباته .

وشبه نفسه فى علو منطقة بالجوزاء ، أو جعل نفسه أساس الفضل والبراعة ، فهو كالجوزاء فى أنها تعطى من يولد فيها البراعة والمنطق ، كما يدعى العرب (٢٧) ، وهو فى هذا سائر على مذهب العرب فى التشبيه ؛ فقد جرت الجوزاء على لسانهم دون غيرها من الأبراج والنجوم ، حتى أصبحت مثلا فى العلو والسمو .

---

(٢٤) المنصف : ٤٧٥ .

(٢٥) تفسير أبيات المعانى : ٢٤ .

(٢٦،٢٧) ينظر شرح البرقوقى : ١/١٤٣ .

٦ ـ تشبيه الحقيقة بالاستعارة ، ففى قول المتنبى :

يتعثرن بالرءوس كما مر بتاءات نطقـــه التمتام

يقول ابن وكيع : فتعثر الخيل بالرءوس تعثر جسم بجسم ، وتعثر التمتام فى النطق استعارة ، ولم يكن يجب أن يشبه الحقيقـــة بالاستعارة (٢٨) .

والتمتام : الذى يتردد لسانه بالتاء ومعنى البيت : تتعثر خيولهم برءوس القتلى ، فيمنعها ذلك من العدو منعا شديدا ، كتردد التمتام فى التاء اذا حاول النطق بها (٢٩) .

فشبه المتنبى تعثر الخيول برءوس القتلى فلا تسرع بتعثر التمتام فى نطقه بالتاء وقد عاب ابن وكيع هذا التشبيه لأن المشبه حقيقة والمشبه به استعارة وليس من المستحسن تشبيه الحقيقة بالاستعارة .

وهو غير مصيب فى حكمه . فليس من شرط حسن التشبيه أن يكون المشبه به حقيقة كالمشبه،اذ يشبه الحسى بالعقلى والموجود بالمتخيل ولا ضير فى ذلك طالما وجد وجه شبه بين طرفى التشبيه ، ووجه الشبه هنا التعثر والتردد وهو موجود فى كل من المشبه والمشبه به ، ومن ثم فلا عيب فى هذا التشبيه .

٧ ـ الاتيان بالتشبيه فى مقام يحتاج الى التحقيق ، ففى قول المتنبى :

بقيت جموعهم كأنك كلها وبقيت بينهم كأنك مفرد

---

(٢٨) المنصف : ٥٧٣ .
(٢٩) شرح العكبرى : ٩٨/٤ .

يقول ابن وكيع : قال أبو تمام :

ثبت المقام يرى القبيلة واحدا ويرى فيحسبه القبيل قبيلا

فأبو الطيب جعل جموعهم كانفراده ، وأبو تمام جعل جموعهم كوحدته ، ووحدته كاجتماعهم فالمعنى واحد . وقد قال أبو تمام أيضا :

لو لم يد جحفلا يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها فى جحفل لجب

وقد أخذ معناهما ابن الرومى فقال :

بل لو توحدت دون الناس كلهم كنت الجميع وكانوا كالمواحيد

فخبر ابن الرومى أنك لو توحدت كنت جمعا ، ولم يخبر عنه أنه يرى الجميع كالواحد ففى كلام أبى تمام زيادة يستحق بها بيته . وأبو تمام مخبر محقق ، وأبو الطيب استعمل « كأن » فصار تشبيها ، والتحقيق أبلغ فى المدح من التشبيه ، فالمحقق أولى بما قال ممن أخذ منه (٣٠) .

وبيت أبى الطيب مترتب على ما قبله وهو قوله :

نظر العلوج (٣١) فلم يروا من حولهم
لما رأوك وقيل هذا السيد

والمعنى : أنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك شغلت أبصارهم عن غيرك فلم تقع الا عليك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو فقدوا كنت كل من بذلك المكان (٣٢)

---

(٣٠) المنصف : ٥٣٨ .

(٣١) العلج : حمار الوحش السمين القوى ، وأطلق على الغليظ الضخم من كفار العجم ، والمراد هنا : قواد الروم .

(٣٢) شرح لبرقوقى : ٢/٥٨ .

قال الواحدى : قال ابن جنى : أى كنت وحدك مثلهم كلهم لأن أبصارهم لم تقع الا عليك ، وشغلت وحدك أعينهم فقمت مقام الجماعة، هذا كلامه ، والمعنى : أنهم لصغرهم فى جنبك كأنه لا وجود لهم واذا فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، ثم حقق هذا المعنى فى المصراع الثانى، وأتى بكاف التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، والمعنى لا وجود (٣٣) .

وقد بين ابن وكيع فضل بيت أبى تمام على بيتى ابن الرومى والمتنبى ، وأخذ على أبى الطيب لجوءه الى التشبيه فى مقام يقتضى التحقيق ، لأن التحقيق أبلغ فى المدح من التشبيه كما فعل أبو تمام .

وابن وكيع لا يعيب التشبيه هنا ولكنه يعيب الاتيان به فى مقام المدح الذى يحتاج الى تحقيق على حد قوله ، وهذا الذى قاله لا يصح على عمومه ، فقد لا يحسن التعبير عن المراد الا عن طريق التشبيه ، والتشبيه وارد بكثرة فى مقام المدح فى الشعر القديم والشعر الذى يستحسنه ابن وكيع ، ولو حقق المتنبى لأخذ عليه ابن وكيع الاحالة والمبالغة المذمومة ، كما أخذها عليه عندما حقق فى قوله (٣٤) :

وقد لبست دماؤهم عليهم حدادا لم تشق لها جيوبا

فجعل الدماء اليابسة التى اشتد سوادها حدادا وهذا من المبالغة، قال ابن وكيع:ولو استعمل مكان الاخبار لفظ التشبيه كان أجود(٣٥). فأخذ عليه التحقيق الذى أوقعه فى المبالغة ، وبين أنه لو سلك سبيل التشبيه لكان أجود .

---

(٣٣) شرح الواحدى : ٧٧ .

(٣٤) من قصيدة فى مدح على بن مكرم التميمى . شرح العكبرى : ١٣٧/١ .

(٣٥) المنصف : ٦٠٧ . وينظر المنصف : ٣٠٧ ففيه مثال آخر .

وأبو تمام ليس محققا في كلامه كما ذكر ابن وكيع بل ان كلامه أيضا وارد على سبيل التشبيه حيث قال : يرى القبيلة واحدا ، ويحسب القبيل قبيلا وهذا عند التحقيق من قبيل التشبيه ، فرأى وعلم وحسب وظن ونحو ذلك من الأفعال المنبئة عن التشبيه تفيد التشبيه وفي المطول: وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كما في علمت زيدا أسدا ان قرب التشبيه وأريد به أنه مشابه للأسد مشابهة قوية لما في علمت من الدلالة على تحقق التشبيه وتيقنه ، وكما في حسبت أو ظننت أو خلت زيدا أسدا ان بعد التشبيه أدنى تبعيد لما في الحسبان من الدلالة على الظن دون التحقيق ففيه اشعار بأن تشبيهه بالأسد ليس بحيث يتيقن بأنه هو هو بل يظن ذلك ويتخيل(٣٦) .

وعلى هذا فبيت أبي الطيب لا يعاب بسبب التشبيه ، وان كان بيت أبي تمام يفضله بجودة السبك وزيادة المعنى .

وفي قول المتنبي :

ذات فرع كأنما ضرب العنـ ـبر فيه بماء ورد وعود

يقول ابن وكيع : والعود لا ذكاء له ولا رائحة الا أن يسحق أو يحرق ، فاذا كان ضرب مع ماء الورد فينبغي أن يتبعه بـ « مسحوق » حتى يصح معناه ، وقوله : « كأنما » على التشبيه . وقال ابن المعتز :

يقطر مسكا على غلائله شعر قفا كالعبير قد وكفا

فجعله يقطر مسكا ، ولم يقل : كأنما يقطر . فان احتج محتج بأنه ذهب الى قول امرئ القيس :

---

(٣٦) المطول : ٣٣٠ .

ألم تر أنى كلما جئت طارقا وجـدت بها طيبا وان لم تطيب

قيل له : انما يصح هذا التأويل لو لم يكن بعده :

تحمل المسك عن غدائره الريـ ـح ويفتر عن شنيت بـرود

فاذا كانت غدائره تحمل المسك فما حاجتنا الى « كأنما » ..(٣٧).

فابن وكيع أخذ على المتنبى فى هذا البيت شيئين :

(أ) أنه جعل العود مضروبا مع ماء الورد ، والعود لا رائحة له الا أن يحرق أو يسحق ، وقد رد على هذا فقال الواحدى : قيل أراد ضرب العنبر فيه بماء ورد ودخن بعود ، وحذف الفعل الثانى كقوله :

علفتها تبنا وماء باردا حتى غدت همالة عيناها

وكقول الآخر :

ورأيت بعلك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحـا

ومثله كثير (٣٨) .

وقال ابن الشجرى : يريد ودخان عود لأن العود لا ماء له (٣٩).

(ب) أنه سلك سبيل التشبيه ، وكان عليه أن يسلك سبيل التحقيق مثلما فعل ابن المعتز .

وقد ذكر فى بيت تال أن غدائرها طيبة الرائحة تفوح مسكا تحمله الريح ، واذا كانت غدائرها بهذه الصفة فلا معنى لتشبيه رائحة شعرها بالعنبر المضروب بماء الورد والعود قبل ذلك .

---

(٣٧) المنصف : ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣٨) شرح الواحدى : ٣١ .

(٣٩) شرح العكبرى : ٣١٦/١ .

وكلام ابن وكيع كان يمكن قبوله أو أن بيت التشبيه تال لقوله : تحمل المسك ... اذ يكون المتنبى قد انحط فى الوصف من الأقوى الى الأضعف ، ونزل من الأعلى الى الأدنى ، ولكن بيت التشبيه سابق على البيت الآخر ، ففى الوصف ارتقاء من الأدنى الى الأعلى ومن الحسن الى الأحسن ، فلا محل لمأخذ ابن وكيع على سلوك سبيل التشبيه .

الاستعارة :

عاب « ابن وكيع » بعض استعارات المتنبى ، ووصفها تارة بعدم الملاحة ، وأخرى بعدم الصحة ، وما أشبه ذلك .

ففى تعليقه على قول المتنبى :

أكلت مفاخـرك المفاخر وانثنت ... عن شأوهن مطى وصفى ظلعا

يقول : « أكلت » استعارة غير مليحة ، ولو قال : « فضحت » كان أحسن (٤٠) .

ومعنى بيت المتنبى : أن مفاخر الممدوح قضت على جميع مفاخر الناس ، وقد قصر الشاعر فى وصف هذه المفاخر ، وعجـز قولـه عن الوفاء بحقها فى الوصف .

وابن وكيع على صواب فى عدم استحسان هذه الاستعارة ، لأن المفاخر معان لا تأكل ولا تؤكل ، غير أنـه استحسن بـدل « أكلت » « فضحت » ، وأرى أن « فضحت » لا تـؤدى مراد الشـاعر ، ولو استعمل الشاعر مكان « أكلت » ، هدمت ، أو أفنت ، لكان أدل عـلى المراد ، وأبعد عن الشين .

---

(٤٠) المنصف : ٤٥٨ .

وفى تعليقه على قول المتنبى :

ولكن هب خوفك فى حشاهم هبوب الريح فى رجل الجراد

يقول : استعار استعارة غير صحيحة ، لأن الخوف عرض والهبوب لا يصح الا من جسم (٤١) .

ومراد المتنبى : أن خوف الممدوح عصف بهم ، ففرقهم كما تفرق الريح قطيع الجراد ، وقد أخذ « ابن وكيع » على المتنبى استعارة « هب » لتحرك الخوف فى أحشائهم وسيطرته عليهم ، وعلته فى ذلك : أن الخوف عرض ، والهبوب لا يصح الا من الأجسام .

وهذا تشدد من « ابن وكيع » وتضييق لواسع المجاز ، فهبوب الخوف استعارة لا غبار عليها ، وهى تصور شدة الخوف الذى تملكهم وعصف بهم ، وفى القرآن الكريم نقرأ قول الله تعالى : « فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » (٤٢) . فأثبت للخوف المجىء والذهاب ، وهما من صفات الأجسام على الحقيقة .

المطابقة :

عرض « ابن وكيع » لبعض مطابقات « المتنبى » وأخذ عليه عدم صحتها ، لبعد التضاد بين أطرافها .

فذكر قول المتنبى :

كبنان عبد الواحد الغدق الذى أروى وآمن من يشاء وأجزعا

---

(٤١) المنصف : ٣٥٥ .

(٤٢) الأحزاب : ١٩ .

وقال معلقا عليه : ... وأما قول أبى الطيب : « وآمن من يشاء وأجزعا » ليس الا من والجزع من جنس الرأى ، ولا من العبارات عن السحاب ... ولكن ينبغى أن يقول : أروى به جدب البلاد وأمرعا » ، والأمن ضد الخوف ، والصبر ضد الجزع ، فقد أساء المطابقة ووصف الغيث بما ليس من صفاته (٤٣) .

والبيت على الصورة التى ذكرها « ابن وكيع » لا طباق فيه ، اذ لا تضاد بين الأمن والجزع ؛ ولكن البيت مذكور فى ديوان المتنبى على هذا النحو :

كبنان عبد الواحد الغدق الذى أروى وآمن من يشاء وأفزعا(٤٤)

فختم البيت بكلمة « أفزعا » بدل كلمة « أجزعا » التى ذكرها صاحب « المنصف » ، ولم يشر محقق الكتاب الى هذا الخلاف ، على الرغم من أهميته ، حيث يترتب عليه بطلان ما ادعاه « ابن وكيع » من اساءة المطابقة ، لأنها على حسب بيت الديوان ستكون بين الأمن والفزع ، وهى مطابقة صحيحة لا عيب فيها ، لما بين الكلمتين من تضاد ظاهر .

وعاب « ابن وكيع » مطابقة المتنبى فى قوله :

فان حلموا فان الخيل فيهم خفاف والرماح بها عرام

فقال : وضد الحلم السفه والجهل ، وضد الحلم عند أبى الطيب الخفة ، وليس كذلك الا على التسامح فى العبارة ، والمجازفة فى الاستعارة ، ولو قال :

فان ثقلوا فان الخيل فيهم خفاف والرماح بها عرام

---

(٤٣) المنصف : ٤٥٤ .

(٤٤) شرح العكبرى : ٢/٢٦١ ، وشرح البرقوقى : ٣/٥ .

كان قد طابق بين الثقل والخفة ، والذى قاله أبو تمام :

عليه مطعن بطل حليم   سفيه السيف ذو رمح جهول

فجعل الحلم للرجل ، والسفه للسيف ، والجهل للرمح ، ووفى مطابقته أقسامه ، ورجح كلامه ، فهو أحق بما سبق اليه (٤٥) .

ومعنى بيت المتنبى : ان كانوا حلماء ذوى وقار وعقل ورزانة ، فان خيلهم خفاف فى العدو ، ورماحهم فيها شراسة تسرع الى الأعداء فتهلكهم (٤٦) .

وأرى أن الخفة فى بيت المتنبى وان كانت ليست الضد الحقيقى للحلم الا أنها صفة تلائم الخيل وتناسبها وهذا سر جمالها ، وكلمة « ثقلوا » التى اقترحها « ابن وكيع » ليتم التضاد بين الثقل والخفة ، لا تناسب مقام المدح ، ولو قالها « المتنبى » لأفسد المعنى الذى يقصده من أجل المطابقة ، ولن تشفع له صحة المطابقة عند فساد المعنى .

وحكم « ابن وكيع » هنا يبين غرامه بفنون البديع ،وجعلها عنصرا هاما من عناصر جودة الشعر .

ويتقرر هذا من تعليقه على قول المتنبى :

وام يعظم لنقص كان فيه   ولم يزل الأمير ولن يزالا

فقد قال : ولو قال : ولم يكمل لنقص كان فيه » لأجاد ، اذ الكمال ضد النقص ، وليس العظم ضده (٤٧) .

---

(٤٥) المنصف : ٤١١ .
(٤٦) شرح العكبرى : ٤/٧٨ .
(٤٧) المنصف : ٥٢١ .

فنراه فضل لفظ « يكمن » على لفظ « يعظم » الذى استعمله الشاعر وذلك من أجل أن تتم المطابقة ، ويتحقق التضاد ، دون نظر الى الفضيلة المعنوية ، للفظ « يعظم » وتفوقه فى مقام المدح على ما سواه.

وقد فضل ابن وكيع بعض أبيات المتنبى لما فيها من مطابقة ، وذكرنا بعضها فى أول هذا المبحث .

ومما أثني عليه وفيه مطابقة قوله فى بيت مفرد :

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا فقم فاطلب الشىء الذى يبتر العمرا

قال ابن وكيع : وهذا بيت جيد ، وفيه مطابقة من القيام والقعود، وفيه من ترديد اللفظ فى « يبتر » ما يستحسن ، ولكن لا أحب لشاعر قادر على الكلام ، محكم النظام أن يعمل بيتا مفردا بغير ثان ، فاذا فعل هذا فينبغى أن يكون البيت باهرا ومعناه نادرا ... (٤٨) .

وذكر العكبرى أن هذا البيت المفرد قاله فى صباه ، وروى قوم أنهما بيتان ، والبيت الثانى هو قوله :

هما خلتان : ثروة أو منية لعلك أن تبقى بواحدة ذكرا

ومعنى البيتين : اذ لم تجد القناعة والكفاية فاطلب ما يقطع العمر وهو قتل الأعداء وطلب الملك والرياسة . هما خصلتان اما الغنى أو الموت ، فانهض اما لتكسب المال واما لتقتل (٤٩) .

وقد أثنى ابن وكيع على هذا البيت المفرد واستحسن ما فيه من مطابقة بين القيام والقعود . كما استحسن لونا بديعيا آخر فيه هو « الترديد » وهو ما يعرف برد العجز على الصدر ، وقد تحدث عنه

(٤٨) المنصف : ٢٠٥ .

(٤٩) شرح العكبرى : ٢/١١٤ .

ابن وكيع فى حديثه عن فنون البديع فى الشعر (٥٠) وتحدثنا عنه فى الفصل الأول من هذا الكتاب •

وعاد ابن وكيع بعد الثناء على البيت ليسخر من المتنبى بدعوى فى هذا البيت مفرد وهو لا يجب من شاعر قادر على الكلام محكم النظام أن يعمل بيتا مفردا •••

وما ذكره ابن وكيع فيه حجر على الابداع وتحكـم فى الملكات الأدبية ، فلا ضير على الشاعر المبدع أن يقول البيت المفرد أو البيتين أو المقطوعة أو القصيدة الطويلة ، فهو يعبر عن تجربته ، ويصوغ فكرته ويدرك من أين تبتدىء والى أين تنتهى ويحدد طولها وقصرها من هذا المنطلق •

الجناس :

حكم « ابن وكيع » حكما عاما على « المتنبى » بأنه قليل المجانسة فى شعره ، وعاب ما عرض له من مجانساته بأنها قليلة الجدوى • ففى قول المتنبى :

يأيهـا الملك الذى ندماؤه   شركاؤه فى ملكه لا ملـكه

يقول ابن وكيع : فى هذا البيت تجنيس ، ولكنه غير طائل المعنى لأن شركة الندماء له فى ملكه أن يبسط قدرتهم فى دولته ، ويرفع منازلهم بتواتر نعمه ، وهذه تجمع الشركة فى الملك والملك(٥١) •••

والمتنبى يخاطب ممـدوحه بدر بن عمار ويقول له : أنت ملك ، وندماؤك شركاؤك فى مالك ، لا فى ملكك،لأن ملكك لا يقدر أحد عليه(٥٢)

---

(٥٠) ينظر المنصف : ٦٠ •
(٥١) السابق : ٥٥٣ •
(٥٢) شرح العكبرى : ٣٨٣/٢ •

والتجنيس بين ملك بكسر الميم وملك بضم الميم وقد بين ابن وكيع أن هذا التجنيس لا يحمل معنى كبيرا لتقارب اللفظين فى المعنى .

وفى قول المتنبى :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشـا
قـلاقل عيس كلهن قـلاقل

يقول ابن وكيع : هذا البيت مما ذكره أبو العباس النامى فى عيوب شـعره ، وما ظلمـه ، وهو ثقيل المجانسـة ، فلما جانس جاء بغير طـائل ...(٥٣) .

والجناس فى بيت المتنبى بين قلاقل الأولى ، جمـع قلقل بضـم القاف وهى الناقة الخفيفة السريعة الحركة ، وقلاقل الثـانية ، جمع قلقلة وهى الحركة .

والبيت معيب عند البلاغيين بسبب ما فيه من تنـافر الكلمات ، وهو من قصيدة قالها المتنبى فى صباه ومنها قوله :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله   ويجهل علمى أنه بى جاهل(٥٤)

وقد عابه البلاغيون لنفس السبب السابق .

ودافـع بعض النقـد عن المتنبى بأن هـذا مما جرت به عادة الشعراء ، وضربوا أمثلة لذلك من شعر الأعشى ومسلم بن الوليد(٥٥) وهو دفاع ضعيف لا ينهض مسوغا لمخالفة شروط الفصاحة فى الأعمال الأدبيـة .

---

(٥٣) المنصف : ١٩٢ .
(٥٤) شرح العكبرى : ٣/١٧٤ .
(٥٥) ينظر شرح البرقوقى : ٣/٢٩٣ .

التقسيم :

أسلوب بديع وجد فى شعر الجاهليين ، وأعجب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قول زهير :

فان الحق مقطعة ثلاث   يمين أو نفار أو جلاء

فقال : من علمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامته أقسامها؟!!(٥٦)

وجعله البلاغيون من ألوان البديع ، وله عندهم تعريفات مختلفة تدور حول تقسيم الكلام الى أقسام تستوفى جميع أجناسه(٥٧)•وقد ذكره ابن ابن وكيع فى حديثه عن فنون البديع(٥٨) •

والتقسيم يرفع من شأن النظم حيث يؤدى الى أن تتحد أجزاء الكلام ، وندخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول كما ذكر الامام عبد القاهر(٥٩)•

وقد أثنى ابن وكيع على بعض أبيات المتنبى بسبب استيفاء الأقسام وحسن النظام ففى قوله :

كالبحر يقذف للقريب جواهرا   جودا ويقذف للبعيد سحائبا

يقول ابن وكيع : هذا من قول المريمى :

بحره يغمر القرب واكا   ن بعيدا روى ثراه السحاب

وكلام أبى الطيب موفى الأقسام مليح النظام ، جعله يقذف للقريب أنفس ما فيه(٦٠) •

(٥٦،٥٧) ينظر معجم المصطلحات البلاغية : ٢/٣٢٩ ـ ٣٣٤ •
(٥٨) المنصف : ٦٥ •
(٥٩) دلائل الاعجاز : ٩٣ ـ ٩٥ •
(٦٠) المنصف : ٤٣٨ •

ولاريب فى أن بيت أبى الطيب محكم الصنعة حسن التقسيم ، فعطاء الممدوح يعم القريب والبعيد ، فمن أتاه أخذ أنفس ما لديه ، ومن غاب بعث له ماء الحياة • ومن ثم قال عنه العكبرى : وهذا من حسن الكلام وأحسن المدح(٦١) •

وفى قول المتنبى :

وربيعٌ يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالى

يقول ابن وكيع : هذا كلام مستوفى الأقسام ، مليح النظام ، قد ألم فيه بقول ابن الرومى :

أمطر جنابى ؛والا تكسه زهراً أنت المحيا برياه اذا نفحا(٦٢)

فأثنى على بيت أبى الطيب باستيفاء الأقسام ، وجودة النظام ، ومع ذلك زعم أنه ألم فيه بمعنى ابن الرومى ، وأين هذا من ذاك !! لقد أغفل ابن وكيع محاسن بيت المتنبى ، وأسرع يبحث عن مصدر معناه ليحط من قدره بتهمة السرقة ، وكأنى به رأى وصف السرقة يكشف تعسفه ضد المتنبى فاستبدله بقوله : ألم فيه بقول ابن الرومى.

ولله در العكبرى حين قال فى معنى البيت : استعار لمعاليه رياضا لما جعله ربيعا ، وجعل اعطاءه غيث ذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحكه الغيث ، لأن الزهر ينفتح ويحسن بعد مجىء الغيث ، كالشكر يكون بعد العطاء ، ولولا حبه للجود لما أثني عليه الشاكرون، فأقام النعمة مقام الروض ، وشكره مقام الزهر ، وهذا من أحسن الاستعارة(٦٣) •

---

(٦١) شرح العكبرى : ١/١٣٠ •
(٦٢) المنصف : ٤٦٦ •
(٦٣) شرح العكبرى : ٣/١٩٥ •

وعاب ابن وكيع بعض أبيات المتنبى بعدم صحة التقسيم ؛ ففى قوله :

أذم الى هذا الزمان أهيله   فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

يقول ابن وكيع : هذا تقسيم ردىء ، لأن الفدم : العيى فى المنطق ، وقد يكون الفدم عالما فلا يفسد ذلك علمه ، والوغد ، الضعيف ، أو العبد ، وقد يكون الحزم فى الضعيف أو العبد ولا تعد العبودية ولا ضعف الجسم قلة حزم ، وانما ينبغى أن يأتى بالشىء وضده كما تقول تمثيلا : أعلمهم جاهل ، وأحزمهم أخرق(٦٤) .

والبيت من قصيدة للمتنبى فى مدح محمد بن سيار التميمى ، وبعده قوله :

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم   وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

فابن وكيع يعيب التقسيم لعدم التضاد بين الصفات ، ولكنا نقول ان الصفات التي أتى بها المتنبى صفت ذم وتتلاءم مع ما قبلها فأعلم القوم اذا كان فدما أى عييا لا ينطق ، لم يستفد الناس منه فى خطبة أو موعظة أو رأى فما قيمة علمه ؟ وأحزمهم اذا كان وغدا أى يخدم الناس بطعام بطنه(٦٥) ، فلا يوفر لنفسه هياة سعيدة ولا يدخر شيئا لغده ، فما قيمة حزمه ؟ ومن هذا يتبين أن فى نقد ابن وكيع تحكم زائد .

وفى قول المتنبى :

غصن على نقوى فلاة ثابت   شمس النهار تقل ليلا مظلما

---

(٦٤) المنصف : ٦١٠ .

(٦٥) الصحاح : مادتا : وغد ، وفدم .

يقول ابن وكيع : وقال ديك الجن :

دعص يقل قضيب بان فوقه   شمس النهار تقل ليلا مظلما

فأخذ بيت ديك الجن بكماله ، وهو من اللفظ المدعى هو ومعنه معا ، ومع ذلك فتقسيم السابق أصح ، لأنه ذكر من آخره الى أوله على ترتيب صحيح ، فبدأ بردفه ، وقده ، ووجهه ، وشعره ، وهذا بدأ بقده ، ثم بردفه ، ثم رجع الى وجهه وشعره ، فترتيبه مخلط ، وان كانت شجاعته التى يذكرها عن نفسه فى اللقاء كشجاعته على سرقة هذا البيت انه لشجاع(٦٦) .

وابن وكيع محق فى نقده لهذا البيت ، وقد سخر من المتنبى سخرية لاذعة لسرقته الظاهرة فيه .

وفى قول المتنبى :

أنا ترب الندى ورب القوافى   وسمام العدا وغيظ الحسود

يقول ابن وكيع : وهذا مدح يكثر مثله ، ولا يغرب ، وهو من قول ابن مناذر :

كان عبد الحميد ضيم الأعادى   وملء عين الصديق رغم الحسود

وقسام ابن مناذر فى ضيم الأعادى وملء عين الصديق ، ورغم الحسود ، أحسن صنعة من ذكر الندى مع القوافى ، وذكر العدا مع الحسود ، فابن مناذر أحق ببيته(٦٧) .

وابيت من قصيدة للمتنبى فى صباه يتغزل ويفخر فيها بنفسه :

---

(٦٦) المنصف : ١٢٣ .
(٦٧) المنصف : ١٥٦ .

وترب الانسان : هو من ولد معه فى وقت وربيا معا ، والسم م جمع سم ، ومعنى البيت : أنه أخو الجود ، وصاحب القصائد ومبدعها ، وقاتل الأعداء لأنه سم لهم ، وسبب غيظ الحسود لأنهم يتمنون مكانه فلا يدركونه فيقتغظون(٦٨) .

وقد عابه ابن وكيع بعدم التناسب بين الأقسام ، وفضل عليه بيت ابن مناذر .

وأرى أنه صحيح الأقسام ، متلائم الأوصاف ، حسن الصنعة ، غزير المعنى ، يفضل بيت ابن مناذر حيث وصف المتنبى نفسه بأربع صفات متناسبة هى : الجود ، والشاعرية والشجاعة ، وعلو المكانة ، بينما وصف ابن مناذر صاحبه بصفتين منها . ولو قال أبو الطيب كقول ابن مناذر لأخل بالفخر بالعطاء والفصاحة(٦٩) .

حسن التعليل :

وهو لون من ألوان البديع يقوم على التخيل الواسع لدى الشعراء ، حيث يطلقون العنان لخيالهم فيخترع عللا للأشياء على خلاف الحقيقة وعلى الناقد أن يتعامل مع هذا اللون البديعى من هذا المنطق ، فلا يضع القيود العقلية ليحاسب الشاعر على تخيله مادام كلامه مطابقا للمقاييس البلاغية .

ولكن ابن وكيع وقف من هذا اللون موقفا عقليا بحتا وهو يتأمل شعر المتنبى ومن ثم عاب بعض أبياته التى وشيت بهذا اللون الخيالى ، ففى قول المتنبى :

ما به قتل أعاديه ولكن   يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

---

(٦٨) شرح العكبرى : ٣٢٣/١ ، وشرح البرقوقى : ٤٨/٢ .
(٦٩) ينظر حاشية المنصف : ١٥٦ .

يقول متعجبا : هـذا من طريق المدح !! أن تمدح الرجل بقتـل بنى آدم لئلا يخلف رجـاء الذئاب ، واذا كان لا يقتل أعاديه خـوفا منهم ولكن يقتلهم من أجل تحقيق رجـاء الذئاب ، والذئاب تريد أن تشبع ، ولا يشترط الشبع من لحوم الناس ، فاذا كان هذا همـه ، فالحسن أن يشبعها من لحم حلال ، ليحقق رجاءها ؛ ويصير من أهل العفو ، ويجتنب المآثم والكف عن الاستكثار بالمظالم(٧٠) •

فنرى من خلال نقده للبيت أنه نظر اليه بمنظار عقلى خالص ، فعاب على المتنبى خياله الذى صور به علة غير حقيقية لاقدام الممدوح على قتـل أعاديه •

ولم يكتف بهذا بل عاد فى موضع آخر من كتابه الى هذا البيت ، وكرر ما ذكره من أن دماء بنى آدم لا يحسن سفكها من أجل الذئاب والطـير •

ففى قـول المتنبى :

سفك الدماء بجوده لا بأسه كرما لأن الطير بعض عياله

يقول : فأخبر أن سفكه للدماء للجود لا للبأس ، ففى من فضيلة الأمراء ما هو أحوج اليه وأخص بصـفاته ، ولو كان قـائد جيش بخيلا كان أقل عيبا من أن يكون جبانا ، وقد استحسن هذا المعنى حتى كرره فقـال :

ما به قتـل أعاديه ولكن يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

فخبر أنه سفك دماء الناس خوفا من اخـلاف الذئب رجاءها ،

---

(٧٠) المنصف : ٥٣٠ •

وكذلك سفكها لأن الطير من عياله ،، وما يحسن أن تسفك دماء بنى آدم بغير استحقاق لتشبع لحومهم الذئب والطير ، قد يسفك له المقصد دم ما هو أحسن سفك دم من دماء الآدميين وأجل،فان قال قائل ، فقد قال النابغة :

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله اذا ما التقى الجمعان أول غالب

وقال الأفوه الأودى ، ومنه أخذ النابغة :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

وقال أبو نواس :

تتأبى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وقال مسلم :

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وقد سبقه الناس الى ما عيب عليه ، قلنا : ليس الأمر كما ظننت، لأن هؤلاء كلهم انما قصدوا أن الممدوحين مظفرون ويسفكون الدماء فى كل حرب ، وقد تعودت الطير ذلك منهم ، فهى تتبعهم واثقة بالعادة منهم،ولم يخبر أحد من الشعراء أن دماء الناس يقصد بسفكها اشباع الطير ، إنما تسفك بمقصد عقلى ، فإذا سفكت انتفعت الطير به،فهذا الفرق بين المذهبين(٧١) .

ومن هذا التعليق نرى قدرة ابن وكيع الفائقة فى استخراج المعانى المكررة وتتبعها لدى الشعراء على مر عصور الشعر ، وان كنا نعيب

---

(٧١) المنصف : ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

عليه تناقضه فى حكمه السابق ، ففى الوقت الذى رفض فيه خيال المتنبى ووقف منه موقفا جامدا،قبل خيال غيره من الشعراء على الرغم من عدم وجود فارق يعتد به بين ما قبله وما رفضه ، فالجميع يلتقون فى أن الممدوح قد عود الطير على تقديم الغذاء لها من لحوم أعدائه، ومن ثم تتبعه فى غزواته ثقة بوعده •

وقد كان الامام عبد القاهر الجرجانى موفق غاية التوفيق فى فهمه لتعليل فى بيت المتنبى ، وبيان وجه حسنه وفضله فقال : وهذا نوع آخر فى التعليل ، وهو أن يكون للمعنى من المعانى والفعل من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع،ثم يجئ الشاعر فيمنع أن يكون لتلك العلة المعروفة ، ويضع له علة أخرى ، مثاله قول المتنبى :

ما به قتل أعاديه ولكن   يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

الذى يتعارفه الناس أن الرجل اذا قتل أعاديه فلارادته هلاكهم، وأن يدفع مضارهم عن نفسه ، وليسلم ملكه ويصفو من منازعاتهم ، وقد ادعى المتنبى كما ترى أن العلة فى قتل هذا الممدوح لأعدائه غير ذلك •

وعلم أن هذا لا يكون حتى يكون فى استئناف هذه العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح أو يكون لها تأثير فى الذم فقصد المتنبى هنا فى أن يبالغ فى وصفه بالسخاء والجود وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين وأن يجنبهم الخيبة فى آمالهم قد بلغت به هذا الحد ، فلما علم أنه اذا غدا للحرب غدت الذئب تتوقع أن يتسع عليها الرزق ، ويخصب لها الوقت من قتلى عداه ، كره أن يخلفها ، وأن يخيب رجاءها ولا يسعفها ، وفيه نوع

آخر من المدح وهو أنه يهزم العدا ويكسرهم كسرا لا يطمعون بعده في المعاودة فيستغنى بذلك عن قتلهم واراقة دمائهم ، وأنه ليس ممن يسرف في القتل للغيظ والحنق ، ولا يعفو اذا قدر ، وما يشبه هذه الأوصاف الحميدة فاعرفه(٧٢) .

المبالغة :

وهى من ألوان البديع التى تحدث عنها « ابن وكيع » فى حديثه عن فنون البديع فى مقدمة كتابه ، وعرض لها تحت اسم « الاغراق » و « الغلو »(٧٣) . وبين رأى الأدباء فيها ، واستحسنها اذا كانت ممكنة لم تخرج الى المحال ، أو أدخل عليها ما يقربها من الصدق والاعتدال .

وقد عاب « ابن وكيع » كثيرا من شعر المتنبى بسبب ما فيه من مبالغات ، وسنعرض فيما يلى بعض الأمثلة الدالة على ذلك .

ففى قول المتنبى :

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم ... اذا رأى غير شىء ظنه رجلا

يقول ابن وكيع : هذه مبالغة مستحيلة ، لأن غير شىء لا تقع عليه رؤية ، وزعم بعض النحويين أن له مخرجا من كلام العرب ، وذلك قولها : ليس فلان بشىء ، لا يريد أن يخرجه من الوجود ، وانما هو استصغار واستقلال ، وليس الأمر عندى كما ذهب اليه لأن القائل : ليس فلان بشىء ، قد دل على مراده بأن أثبت له حقيقة ثم نفاه نفى استصغار فقد فهم مقصده ومن شأن العرب — فيما فهم معناه عنها —

(٧٢) أسرار البلاغة : ١٥٨/٢ .
(٧٣) المنصف : ٧٨ .

الحذف ، فاذا أشكل لم تحذف ، وفى الكلام محذوف بالضرورة ، لأنها لا تثبت وتنفى فى زمان واحد ، وانما تريد : ليس فلان بشىء طائل أو كبير . فأما قوله : « اذا رأى غير شىء ظنه رجلا » فلا يسوغ فيه هذا التأويل من الحذف .

وأما الهارب فالذى يحسن فيه قول جرير :

مازلت تحسب كل شىء بعدهم   خيلا تكر عليهم ورجالا

وقد أبان مقصده بقوله : « تكر عليهم ورجالا » . وأبو الطيب يذكر أنهم اذا رأى هاربهم غير شىء ظنه رجلا،والرؤية لا تقع الا على مرئى . فان قال قائل : هذا على مذهب من استحسن المبالغة المستحيلة أبلغ ، قلنا له : ما ادعاه جرير يصلح للجنون ، لأن الفزع يبلغ بصاحبه الى أن يرى شخصا غير رجل فيظنه رجلا ، لأن الفزع من الرجل يوهمه ذلك ، والجنون يفسد التخيل حتى يرى غير الشىء شيئا ، لأن صاحب الجنون يرى أشياء لا حقيقة لها ، لا يرى ذلك غيره ممن صح عقله ، فأما قول القائل :

كأن بلاد الله وهى عريضة   على الخائف المطلوب كفة حابل

تهدى اليه أن كل ثنية   تيممها ترمى اليه بقاتل

فهذا منساغ كأنه يظن أن فى كل ثنية يقصدها قاتلا قد مكن فيها لرعبه ، وقد قال الله تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم »(٧٤)فخبر أنهم يظنون كل صوت صائح هم المقصودون به ، ولم يقل : لايسمعون شيئا فيظنون عدم الصياح صياحا من أجلهم أو عليهم . ومن سبق الى المعنى فجاء فيه بسائغ ممكن ، وأتى من أخذه منه بغير ممكن ، فقد رجع كلام المأخوذ منه وصار أولى بما قال(٧٥) .

---

(٧٤) المنافقون : ٤ .
(٧٥) المنصف : ١٣٩ ، ١٤٠ .

فابن وكيع يرى أن فى بيت المتنبي مبالغة مستحيلة ، وقد أجهد نفسه فى اثبات ذلك ، والحق العيب بالبيت ، بدعوى أن غير الشيء لا يرى ، لأن الرؤية لا تقع الا على مرئى ، ولم يعجبه تخريج النحاة لقول المتنبى(٧٦) .

ورأى ابن وكيع فى البيت يشبه رأى الحاتمى فيه اذ خطأه بحجة عدم وجود مرئى يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء ، وحكم عليه بأنه نظر فيه الى قول جرير ولكنه أحال المعنى ، وعبر عنه بغير عبارته ، وقول جرير من التخيل المليح(٧٧) .

ورأى أن بيت المتنبى لا احالة فيه ، ولا خروج عن الممكن ، لأنه يريد أن يقول : انهم لشدة الخوف الذى لحقهم ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا ملجأ ، حتى ان هاربهم من شدة فزعه يتخيل الأشباح رجالا تطلبه ، ويتوهم أنه يرى شيئا يتعقبه وليس بشيء على الحقيقة .

وهذا شيء ملموس ، فالانسان اذا اشتد خوفه وملك عليه الفزع أقطار نفسه امتلأ عقله بالأوهام ، والخيالات فيرى فى الظلال والأشباح ما هو خائف منه ، والذى اشتد به الظمأ يرى السراب شيئا ، ويحسبه ماء فيسعى اليه ، وهو ليس بشيء على الحقيقة كما قال تعالى : « حتى اذا جاءه لم يجده شيئا »(٧٨) .

وقد قال ابن وكيع فى تعليقه : ان الفزع يبلغ بصاحبه أن يرى الشخوص فيظنها رجالا ، والجنون يفسد التخيل حتى يرى غير الشيء شيئا .

---

(٧٦) ينظر شرح العكبرى : ١٦٩/٣ .
(٧٧) الرسالة الموضحة : ٩٤ .
(٧٨) النور : ٣٩ .

فأقر بأن الفزع الشديد اذا سـيطر على الانسان قلب أحـواله وبدل كيانه ، وعلى هذا فمبالغة المتنبى ممكنة ومقبولة ، وهى تصور حالة الخائف المذعور أقوى تصوير ، ولو صح نقد الحاتمى وابن وكيع لوجب أن يحذف لفظ « شبح » من اللغـة فهو شىء يرى وهو غـير شىء(٧٩) ٠

وفى تخريج هذا البيت : قال ابن سيده : انما أراد المتنبى : اذا رأى غير شىء يحفل به ، فهو فى قوة قولك : اذا رأى شيئا لا يحفل به ظنه رجلا ، كقول العرب : انك ولا شىء سواء ٠ ومحال أن يسوى بين الموجود والمعدوم ، لأنهما فى طريق التضاد ، ولكنهم يريدون انك وشىء لا يعبأ به سواء ، ولكنهم قالوا : انك ولا شىء ، به من قولهم: وشىء لا يعبأ به ، لأن مالا يعبأ به كالمعدوم(٨٠) ٠

وفى قـول المتنبى :

سعوا للمعالى وهم صـبية وسدوا وجاءوا وهم فى المهود

يقول ابن وكيع : وهذه مبالغة مستحيلة غير ممكنة ، لأن السيادة وقود العساكر لم تكن قط لمن هو فى المهد ، وانما كان للمسيح عليـه السلام كلام فى المهد خرج به عن عادة البشر لتظهر المعجزة فى نبوته، وأما قول ابن بيض :

بلغت لعشر مضت من سنيـ ـك ما يبلغ السيد الأشيب

---

(٧٩) النقد المنهجى عند العرب : ١٩٤ ٠
(٨٠) شرح مشكل شعر المتنبى : ٣٣ ٠

وقـول البحترى :

قد أكمـــل الحلم واشتدت شـكيمته
على الأعـادى ولم يبلغ مدى الحلم

فقد وسعا ما ان كان يبعد فهو الى الامكان أقرب من ذكر عـدة السنين ومن سبق بلوغ الحلم ، وقد يمكن مع زائد الفضـل وافراط النبل أن يكون فى صبى من التمـييز بازاء ما هو فى شيخ هو دونه فى الفضل ، وقال سوار بن أبي شراعة :

تعرف السؤدد فى مواودهم   وتراه سيدا ان أيفعـا

ومعرفة السؤدد بظهور صحة التمييز فى الطفـل وما يخالف به أشكاله من الصـبيان فاذا أيفع كان سـيدا على مذهب ابن بيض والبحترى • فأما اطلاق السيادة على الأطفال وقود الجيوش فمحال واضح وكذب فاضح ، وعلى كراهية العلماء المبالغة المستحيلة فأصحاب الأبيات التى قبله أصح معنى وأحق بما أخذ منهم(٨١) •

فبين « ابن وكيع » ما فى بيت المتنبى من مبالغة مستحيلة ، حيث وصفهم بالسيادة وهم فى المهد ، وهذا محال واضح ، وكذب فاضح ، والذين تناولوا هذا المعنى من قبله كانوا أقـل منه مبالغة وأقرب الى الامـكان •

واذا كان قد وصف مبالغة المتنبى هنا بأنها محال واضـح وكذب فاضح ، فقد وصف مبالغة أخرى بأنها ملق كاذب ، ففى قول المتنبى :

أنت الذى طول بقـاء له   خير لنفسى من بقائى لها

---

(٨١) المنصف : ٢٥٢ •

يقول « ابن وكيع » : ذكر أن بقاء الممدوح خير من نفسه ، وانما المعتاد أن يقال : اذا بقيت لنا لم نبال من هلك،فأما أن يقال : ما نبالى أن تبقى ، ونهلك نحن ، فهو ملق كاذب غير صادق ، وفيه عدول عن طريق الحقائق (٨٠) .

وعلى الرغم من مبالغة المتنبى فى قوله السابق الا أنه قول قد اعتاده الناس ، ويجرى على ألسنتهم فكثيرا ما يقول الواحد لصديقه أنت خير لى من نفسى ، وما أشبه ذلك ، ولا يوصف قوله بأنه ملق كذب ، فكان الأحرى بابن وكيع أن ينظر الى ما فى البيت على أنه أسلوب شائع على ألسنة الناس والمبالغة فيه مقبولة .

ويبدو أن ابن وكيع ضاق صدره بمبالغات المتنبى فى شعره وظهر ضيقه فى سخريته من المتنبى واستهزائه به علاوة على الأوصاف التى رأيناها فى المثالين السابقين ، ففى قول المتنبى :

طوال الردينيات يقصفها دمى وبيض السريجيات يقطعها لحمى

يقول ابن وكيع : فهذه من المبالغات المستحيلات ، لأن دمه جسم سائل ، ولحمه جسم رطب ، فكيف يقطع هذان جسمين كثيفين من الرماح والسيوف ؟ !

وهذه معان غريبة ، وقد روى الناس أن قوما من الشعراء أخذوا بألسنتهم ، وقد روى عن رسول الله ﷺ ما يصحح ذلك من قوله : « البلاء موكل بالمنطق »(٨٣) ، فمما روى من ذلك أن أبا محجن الثقفى قال :

---

(٨٢) المنصف : ٥٥٦ .

(٨٣) الجامع الصغير : ١٢٨/١ .

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة ترَوى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفـننى بالفـــلاة فاننى أخاف اذا ما مات ألا أذوقهـا

فمات بسمساط الى جنب كرمة فدفن هناك ضرورة ؟

ورووا أن المؤمل بن أميل قال :

شف المؤمل يوم الحيرة النظـر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فما مات حتى عمى •

ورووا أن مجنـون ليلى قال :

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشىء غـير ليلى ابتلانيا

فذكر أنه ما مات حتى برص فان صحت هذه أتبعتها بأن أبا الطيب من القوم : ما مات الا بالردينيات والسريجيات • ولم يستثن فى قوله فى « فنا خسروا » :

فلو سرنا وفى تشرين خمس رأونى قبل أن يروا السماكا

وسار ، فقتل رؤية السمك(٨٤) !

لم يكتف ابن وكيع ببيان ما فى البيت من مبالغة ، ولكنــه أطلق لنفسه العنان فى السخرية من المتنبى بهذا البيت وبغــيره ، فبين أن منطقه جنى عليه وكان الســبب فى بلائه ، اذ ذكر فى البيت أن دمــه يقصف الردينيات ، ولحمه يقطع السريجيات ، فمــا مات الا بضربات الســيوف !!

ثم أشار الى مبالغته فى بيت آخر هو قوله :

فلو سرنا وفى تشرين خمس رأونى قبل أن يروا السماكا

---

(٨٤) المنصف : ٣٣٤ •

ومعناه : أنه لو خرج من شيراز بلد عضد الدولة وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول (أكتوبر) لبلغ الكوفة بلده ورآه أهلها قبل أن يروا كوكب السماك الذى يطلع بالغداة لخمس خلون من هذا الشهر ، وكأنه يقول : اذا أخذ السماك فى الطلوع وأخذت فى السير لسبقته الى الكوفة فرآنى أهلها قبل رؤيته ، وهذه مبالغة فى سرعته وجده فى السير فالمسافة بين البلدين تزيد على عشرين مرحلة .

والبيت من قصيدة فى مدح عضد الدولة ووداعه ، وهى آخر ما قال ، وورد فيها ما يوحى بأنه ينعى نفسه وان لم يقصد ذلك ، وأنشدها فى شعبان سنة ٣٥٤ ، وقتل بعدها وهو فى الطريق الى الكوفة(٨٥) . وقد علق ابن وكيع على البيت بما يدل على غيظ وشماتة اذ قال ان المتنبى لم يقل « ان شاء الله » فى هذا البيت ولذلك قتل قبل رؤية السماك ، وهو فى الطريق ، وهذا التعليق خارج عن نطاق النقد الأدبى ، وله دلالات نفسية تؤكد حنق ابن وكيع على المتنبى .

وكثيرا ما يترك ابن وكيع الحكم على المبالغة للنقاد تبعا لمذهبهم فيها غير قاطع باستحسان أو استهجان ، كما نرى فى تعليقه على قول المتنبى :

اذا الليل وارانا أرتنا خفافها بقدح الحصى ما لا ترينا المشاعل

حيث قال : القدح لا يستنير الا شرارا ، والمشاعل اغراط ، وقد قال أشجع :

يثرن نقع القاع حين يطأنه ويطرن مران الحصى بالفدفد

---

(٨٥) ينظر شرح البرقوقى : ٢/٣٩٥ .

ويقع على الشرار اسم الذر ، ولا يبلغ ذلك الى المشاعل ، قال الحصنى :

وللمرء عن قدح ما تستتير ســنابكها لهب مضرم

وكذلك ــ اللهب المضرم ــ قول أبى الطيب فيمن استحسن المبالغة أبلغ ، وفى مذهب من ذمها أنقص(٨٦) •

والمتنبى يبالغ فى وصف الابل بالسرعة ، فيقول : ان الليــل اذا سترهم بظلمته فانهم يرون بالشرر المتطاير من اصطكاك خفاف الابل بالحصى ما لا يرون بضوء المشاعل •

وقد عد ابن وكيع هذا من الافراط ، فان الشرر مهما أضاء لا يبلغ مبلغ المشاعل ولم يقطع فى هذه المبالغة باستحسان أو استهجان،ولكنه قال انها أبلغ عند من استحسن المبالغة ، وأنقص عند من ذم المبالغة•

ولعل هذا يشعر بأنها مبالغة مقبولة فى رأى ابن وكيع ، ولكنــه لم يشأ أن يصرح بهذا لغرض فى نفسه •

ويبدو ان ابن وكيع اتخذ مذاهب النقاد فى المبالغة حجة له يفسرها حسبما يريد ، ومن ثم نراه فى بعض المواضع يفضل بيتا لما فيــه من مبالغة ، وفى بعض المواضع يذم بيتا لما فيــه من مبالغة • ففى قــول المتنبى :

جريت من نار الهوى ما تنطفى نار الغضا وتكل عما تحرق

يقول : ابدال الهمزة هذا لا يجوز الا ضرورة ، وهذا مما ذكرت لك من اسقاط الهمز ، وأما معناه فمأخوذ من قول الشاعر :

---

(٨٦) المنصف : ١٩٢ ، ١٩٣ •

لو أن قلبى فى نار لأحرقها   لأن أحزانه أذكى من النار

ومن جعل النار تحترق من نار قلبه ، أشد مبالغة ممن ذكر أنها تعمل فى النار الانطفـاء والكلال ، وان كان الانطفاء من النار لا يكون مما هو أعظم منها ، انما يكون بضـدها من الماء ، فصاحب البيت فى مذهب من رأى المبالغة أحسن وأرجح كلاما ، وهو أحق ببيته(٨٧) .

وفى قـول المتنبى :

أرجـو بذاك ولا أخشى المطال به   يا من اذا وهب الدنيا فقد بخلا

يقول : والدنيا لا يقدر البشر أن يملكوا أكثر منها ، والبخل انما يكون ممن فى يده شىء لم يسمح به ، ولا أرى لأحد ملكا على الآخرة، فبأى شىء بخل ؟؟ ... وهـذه مبالغة مسـتحيلة ، أصح منها قـول أبى العتاهية :

ولو كانت له الدنيا   لأعطاها وما بالى

وهذا من نقل الجزل الى الرذل ، على ما فيه من الاحالة(٨٨) .

ففى المثال الأول مدح المبالغة الشديدة وفضلها على قول المتنبى، وفى المثال الثانى ذم المبالغة الشديدة التى جاءت فى قول المتنبى،ورجح قول أبى العتاهية ، وهذا يدل على تردده فى الحكم على المبالغة .

ويمتدح ابن وكيع الاقتصاد فى المبالغة والتخفيف منها عن طريق « لو » وما أشبهها فى ذلك ، ففى قول المتنبى :

فلما جئته أعلى محلى   وأقعدنى على السبع الشداد

---

(٨٧) المنصف : ١٦١ .
(٨٨) السابق : ١٤٤ .

يقــول : قد ألم بمعنى زهير :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم   قوم بآبائهم أو مجدهم قعدوا

فزهير احترس ، وقال : لو جاز أن يقعد قوم بحسب أو مجــد فوق الشمس لقعدوا ، وأبو الطيب حقق جلوسه على السبع الشداد، فليس هذا فى قدرة الممدوح ، فكان زهير بالاقتصاد فى المحال،ورجحان لفظه على لفظ من أخذ عنه أحق بما قال(٨٩) •

فاستحسن ابن وكيع بيت زهير لاحتراسه واقتصاده فى المبالغة باستعماله « لو » ورجحه على بيت المتنبى الذى حقق المبالغة الشديدة، وهى ليست فى قدرة الممدوح •

وفى قول المتنبى :

وقالوا هــل يبلغك الثــريا   فقلت نعم،اذا شئت استفالا

يقول ابن وكيع : هذا من محالاته،لأن القوم ما سألوه هل يبلغه الثريا الا وهو دونها ، فكيف يبلغ ما هو أعلى منه اذا شاء أن يستقل؟ ولو قال اقتصادا لو أمكن ذلك ، أو اذا طلبت دون أملى فيه ، أو ظنى بهمته فى رفع منزلتى لكان أصح(٩٠) •

فعاب البيت لما فيه من مبالغة مستحيلة ، وبين أنه لو اقتصد فى المبالغة بذكر ما يخففها لكان كلامه أصح •

وفى قــول المتنبى :

اذا ماست رأيت لها ارتجاجا   له لولا سواعدها نزوعا

---

(٨٩) المنصف : ٣٥١ •

(٩٠) السابق : ٥٢٣ •

يقول ابن وكيع : الهاء في « له » تعود على الثوب ، وتقدير الكلام : رأيت لها ارتجاجا نزوعا له لولا سواعدها ، وما أدري كيف ينزع ارتجاجها قميصها عنها ؟ !! أما لهذا القميص طوق ؟ أم ليس لها عنق يمنعك من خروجها من قميصها ؟

وقد وافق الناس بلولا في هذا الموضع ، فكان أحسن وأدنى الى الامكان(٩١) .

فبعد أن تعجب ابن وكيع من مبالغة المتنبي عاد وبين أن مجيء المتنبي بلولا في هذا البيت على خلاف عادته قربه من الامكان وجعله مقبولا .

والأمثلة السابقة تؤكد ما قلناه من انه يستحسن المبالغة الممكنة، ويدعو الى الاقتصاد في المبالغة المستحيلة حتى يكون مقبوله .

ولقد طالت وقفة ابن وكيع أمام مبالغات المتنبي وتعقبه في كثير منها ، ومرد هذا الى شيوع المبالغة في شعر المتنبي ، واستشهارها على أنها من عيوب شعره بين النقاد الذين تعرضوا لنقده كالحاتمي ، والصاحب بن عباد وغيرهما .

المبالغة التي تمس الدين :

وقد يدون المبالغات السابقة لعدم مساسها بأمر ديني ازاء ما أثر عن المتنبي من مبالغات تجاوز فيها حدود الدين ، وخرج فيها عن مراسم الشرع ، وهي مبالغات لا يمكن السكوت عليها ولا التهاون فيها،ولقد أخذ عليه ابن وكيع كثيرا من هذه المبالغات التي تجاوز فيها

---

(٦١) السابق : ٣٦٤ .

الجد فى أمور تتصل بالدين ، وخرج فيها عن حدود التقوى والورع والفضيلة ، ونرى هذا فى مواضع كثيرة من « المنصف » ، وسنكتفى بايراد بعضها لنتضح الصورة .

ففى قول المتنبى :

يأيها الملك المصفى جوهرا   من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهوتيه   فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

يقول ابن وكيع : هذا مدح متجاوز ، وفيه قلة ورع ، وترك للتحفظ لأنه جعله من ذات البارى ، وذكر أنه قد حل فيه نور لاهوتى ، ثم قال بعد هذا كله « فيكاد يعلم » فأتى بلفظ المقاربة ولم يطلق عليه علم الغيب ، وقد رأينا من الشعراء من لم يعط من مدحه هذه الصفات ، ولم يطلق على الممدوحين أنهم بالحس اللطيف يدركون ذلك كقول أبى على البصير :

وكيف يجوز أن على أديب   لطيف الحس تطلع الغيوبا

ومثله قول ابن الرومى :

جمال وافضال وظرف ونجدة   ورأى يريه الغيب لا رجم راجم

فهذا مذهبهم فى المبالغة على أنهم لم يعطوا الممدوحين الدرجة التى أعطاها أبو الطيب هذا الممدوح ، فكيف قنع له بأن يمنعه ما قد دفعه غيره ؟؟ ان كان تورع فورعه عما قال فيه أولى(٩٢) .

فعابه ابن وكيع فى هذا الموضع من ناحيتين :

الأولى : أنه تجاوز فى المدح وخرج عن حد الورع دون تحفظ

---

(٩٢) المنصف : ١٢٨ .

حيث مدحه بصفات لا تصح نسبتها للممدوحين لتعارضها مع الدين •

والثانية : استعماله « يكاد » ـ التى تخفف المبالغة ـ فى نسبة علم ما لم يعلم اليه فى الوقت الذى أجرى عليه من الصفات ما هو أشد فى الخروج والتجاوز •

وفى خلال ذلك يبين أنه خرج فى الناحيتين عن مذاهب الشعراء ، وينهى نقده بتعجب وتوبيخ وسخرية لاذعة •

والبيتان من قصيدة قالها فى صباه ، يمدح انسانا ، وأراد أن يستكشفه مذهبه ، وقد فسر شراح الديوان كلام المتنبى بغير ما ذهب اليه ابن وكيع فقالوا : هو يقول : يأيها الملك الذى خاص الله جوهره أصلا ونفسا من عند الله تعالى ، يريد أن الله تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى ، وأنه ظهر فيه نور الذى يكاد يعلم به الغيب(٩٣) •

وعلى هذا التفسير ينتفى ما ذكره ابن وكيع من أنه جعله من ذات البارى وقد حل فيه نور لاهوتى •

وقد كره الواحدى هذا المدح ، وذكر أنه وارد على سبيل استكشاف مذهب الممدوح فقال : وهذا مدح يوجب الوهم ، وألفاظ مستكرهة فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه فان رضى بهذا علم أنه ردىء المذهب ، وان أنكر علم أنه حسن الاعتقاد(٩٤) •

وعلى الرغم من كل هذا ففيما قاله المتنبى خروج عن الحد وتجاوز فى مدح البشر ، وكان عليه أن ينزه شعره عن مثل هذا •

---

(٩٣) ينظر شرح العكبرى : ٣١/٤ ، وشرح البرقوقى : ١٤٦/٤ •

(٩٤) شرح الواحدى : ١٩ •

وفى قـــول المتنبى :

يترشفن من فمى رشفات　　　　هن فيه أحلى من التوحيد

يقول ابن وكيع : هذه ألفاظ فيها قلة ورع وامتهان للدين لا أحب له استعمالها وأحسن من هذا وأبعد من الاثم قول ابن المعتز :

يقول العـــاذلون تسل عنها　　　　وطف عليل قلبك بالسلو
وكيف وقبلة منها اختلاسا　　　　ألذ من الشماتة بالعدو (٩٥)

فعاب ابن وكيع بيت المتنبى لما فيه من امتهان للدين ، وبعد عن التقوى والورع واستحسن قول ابن المعتز لتنزهه عن ذلك ، وهو محق فيما ذهب اليه .

وخرج ابن القطاع قول المتنبى على معنى جائز فقال : ذهب كثير من الناس الى أن لفظة « أفعل » من كذا توجب تفضيل الأول عـــلى الثانى فى جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعـــل يجىء فى كلام العرب على خمسة أوجه :

أحدها : أن يكون الأول من جنس الثانى ، ولم يظهر لأحـــدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل فهذا يكون حقيقة فى الفضل لا مجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهـــذا السيف أصرم من هذا .

والثانى : أن يكون الأول من جنس الثانى ومحتملا للحـــق به ، وقد سبق للثانى حـــكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح فهذا يكون على المقارنة فى التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم ،

---

(٩٥) المنصف : ١٤٦ . والبيت الأول فى ديوان ابن المعتز هكذا :
تقول العاذلات تعز عنهـــا　　　　واطف لهيب قلبك بالســـلو

وأشجع من عمرو • وبيت المتبنى من هذا القبيل ، أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد(٩٦) •

وقال بعضهم : ان التوحيد نوع من نار العراق ، وقال ابن جنى: ان المتنبى أنشده البيت هكذا : « هن فيه حلاوة التوحيد » فيكون كلامه على سبيل التشبيه ، وأن الترشف بلغ مبلغا كبيرا فى الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلمة التوحيد(٩٧) • وقال الواحدى يروى هكذا: « هن فيه أحلى من التأييد »(٩٨) •

ومع هذه التأويلات نرى أن البيت تشمئز منه النفوس المؤمنة، وتقشعر منه القلوب التقية ، ولا يمكن أن نبيح لشاعر مثل هذا التجاوز القبيح • استنادا الى التخريجات والتأويلات •

والمتنبى منذ صباه وهو معجب بنفسه الى درجة الغرور ، مما جعله يرفع نفسه الى أعلى المقامات ، ويخرج فى بعض فخره بنفسه الى ما يسىء الظن بعقيدته ، وكان من الخير أن يحذف ذلك من ديوانه كما تمنى ابن وكيع ومن ذلك قوله :

أى محــل أرتقى — أى عظيم أتقى
وكل ما قد خلق الله — ـه وما لم يخلق
محتقــر فى همتى — كشعرة فى مفرقى

وعلق ابن وكيع على هذه الأبيات بقوله : هــذه أبيات فيها قلة ورع،احتقر ما خلق الله عز وجل،وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين وخلق الجن والملوك والجبارين ، وهذا يجاوز فى العجب الغاية ، ويزيد

---

(٩٦) ينظر شرح العكبرى : ٣١٥/١ ، وفيه تفصيل الاوجه الخمسة
(٩٧) ينظر شرح البرقوقى : ٤٠/٢ •
(٩٨) شرح الواحدى : ٣٠ •

على النهاية ، وقد تهاون بما خلق وما لم يخلق ، فكأنه لا يستعظم شيئا مما خلق الله ، وهو من خلق الله عز وجل ، الذى جميعه عنده كشعرة فى مفرقه ، وهذا مما لا أحب اثباته فى ديوانه لخروجه عن حد الكبر الى حد الكفر(٩٩) •

ولم يشفع له فى هذا القول الشنيع أنه قاله فى صباه ارتجالا كما جاء فى ديوانه ومن ثم أهاج عليه الشراح والمنصفين فقال الواحدى يفسر قوله « ما لم يخلق » : ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقا كذات البارى عز وجل وصفاته لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول ، وانما أراد وما لم يخلقه مما سيخلقه(١٠٠) •

وقال العكبرى : وكذب فى ادعائه مرتقى العلو ، بل محله العلو فى الحمق(١٠١) •

وكان الجدير بشاعر فحل كالمتنبى أن ينأى بنفسه عن هذه المبالغات التى تجاوز فيها حدود الدين وتعرض بسببها للاتهام فى دينه وعقيدته ، وجرت عليه العناء وجلبت له الشقاء •

وموقف ابن وكيع من تجاوزات المتنبى التى تمس الدين موقف حق نمتدحه عليه ، ونؤيده فيه كل التأييد ، وعلى الشاعر أن يكون ملتزما بأمور الدين غير متعرض لها بما يدل على امتهانها والاستخفاف بها ، والا كان عرضة للحكم عليه بما لا يشرفه ولا يزينه •

والذى يثير دهشتنا أن ابن وكيع — وهو الذى أنكر على المتنبى تجاوزاته الدينية ووصفه بقلة الورع ، وما هو أبعد من ذلك — لم

(٩٩) المنصف : ٢٠٣ •

(١٠٠) شرح الواحدى : ٦٠ •

(١٠١) شرح العكبرى : ٣٤١/٢ •

يتورع عن وصف الخمر وتعداد محاسنها وتفضيلها على ما سواها ، في غير موضع من كتابه(١٠٢) . وبهذا أدخل نفسه في دائرة من وبخهم الله بقوله جل شأنه : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »(١٠٣) .

وللقاضي الجرجاني موقف من تجاوزات أبي الطيب الدينية يختلف عن موقف ابن وكيع ، اذ يقول : والعجب ممن ينقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة ... فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر(١٠٤) .

فهو يعجب ممن يعيبون أبا الطيب ويغضون من شعره بسبب أبيات قليلة وردت في شعره تدل على فساد مذهبه وضعف عقيدته فهو ليس بدعا في ذلك ففي المتقدمين من شاع في شعره هذا الفساد ولو عومل بمقتضاه لوجب أن يمحى اسمه من قائمة الشعراء .

فاتخذ القاضي الجرجاني من أغاليط الشعراء قبل المتنبي ومعايبهم أساسا للدفاع عما اعتور شعر المتنبي من تلك المآخذ المماثلة أو المقاربة لما وقع فيه المتقدمون من الشعراء منذ الجاهلية حتى عصره(١٠٥) .

---

(١٠٢) ينظر المنصف : ٢٥٨ ، ٥٦١ ـ ٥٦٣ .
(١٠٣) سورة البقرة : ٤٤ .
(١٠٤) الوساطة : ٦٣ ، ٦٤ .
(١٠٥) الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي : ١٢٠ .

وهو دفاع ضعيف لأن الخطأ لا يبرر الخطأ ، والمتنبى وقد وقف على أخطاء المتقدمين وعرفها كان الأولى به أن يتجنبها لا أن يتعمد الوقوع فيها(١٠٦) .

والقاضى الجرجانى لم يكن يقصد من دفاعه عن المتنبى الشهادة له بالعصمة ، وتبرئته من مقارفة الزلة ، وانما كان قصده أن يلحقه بأهل طبقته ويضعه فى مكانه الطبيعى بين فحول الشعراء لئلا تكون سيئات المتنبى سبيلا الى مصادرة شعره أو الغض منه كله أو بعضه(١٠٧) .

وهذا تفسير دقيق لموقف القاضى الجرجانى من أبى الطيب ، فهو لا يدافع عن أخطائه وانما يدعو من تعصبوا ضده الى الانصاف ، فلا يسقطون قصيدته من أجل بيت ولا يرفضون شعره من أجل أبيات، ولا يسلبونه شاعريته وفحولته بسبب بعض الزلات(١٠٨) .

---

(١٠٦) السابق : ١٢١ .
(١٠٧) الاتجاه الأخلاقى فى النقد العربى : ١٢١ .
(١٠٨) ينظر الوساطة : ٨٢ .
(١٠٨) ينظر الوساطة : ٨٢ .

المبحث الرابع

النقد المتعلق بالصنعة

صنعة الشعر تمتد لتشمل عناصره من ألفاظ ومعان وصور وموسيقى وغير ذلك ، وقد تحدثنا فى المباحث السابقة عن الألفاظ والمعانى والصور،وسنتحدث فى هذا المبحث عن بعض جوانب الصنعة المتصلة بنظم الشعر وصياغته وهى : التناسب والحشو ، والتعقيد ، والوزن والقافية ، اذ عهدنا ابن وكيع يستخدم تعبير الصنعة عندما يتناول هذه الجوانب •

والمتنبى فى نظر ابن وكيع من شعراء الصنعة يهتم بالنظر فى شعره مرة بعد مرة ، لتجويده وتثقيفه ، واخراجه فى أبدع صورة ، تتلاءم ألفاظه ، وتتناسب معانيه ، وتأخذ ألفاظه وجمله بأعناق بعض•

ويظهر هذا فى مقارنه بين أبى نواس والمتنبى اذ يقول:فلا تسامح الناس أبا نواس وهو مطبوع لا يطيل فى شعره تكرير نظره ، فكيف تسامح من لا تظهر له قصيدة الا فى الزمان الطويل فى اللفظ المقصر أو المعنى القليل(١) •

وهو يقصد بكلامه الأخير أبا الطيب ، فهو شاعر لا تظهر له القصيدة الا فى الزمن الطويل لأنه يطيل النظر فيها ، ومع هذا فاللفظ قاصر والمعنى قليل !!

وفى قول المتنبى :

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا   وصار بهارا فى الخدود الشقائق

---

(١) المنصف : ١٣٠ •

يقول ابن وكيع : كان أبو الطيب يختار « قرحا » على «قرحى» بغير تنوين ، روى ذلك عنه ، يقصد الى أن القرح والبهار مفـردان ، والأجفان والشقائق مجموعان ، فكأنه يؤثر تجويد صنعته(٢) .

والرواية التي ذكرها ابن وكيع صحيحة ، ولكن بيان قصد المتنبى منها غير صحيح ، قال ابن جنى : قلت للمتنبى عند القراءة عليه:قرحا، أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهم اسـم لا وصف ، وقوله « بهارا » : جمع بهارة ، والبهار : زهر أصفر . وقرحى بغير تنوين : جمع قريح ، كجرحى وجريح ومعنى البيت : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الخدود صفرة لأجل الفراق(٣) .

فعلم مما ذكره ابن جنى وما زاده العكبرى من الشرح أن : قرحا بالتنوين : جمع قرحة ، وأن قرحى بغير تنوين : جمع قريح،وأن بهارا: جمع بهارة ، وعلى هذا يكون قول ابن وكيع : يقصد الى أن القـرح والبهار مفردان غير صحيح .

وقد أخذ ابن وكيع من هذه الرواية أن المتنبى يؤثر تجويد صنعته، ومن ثم عامله فى نقده لشعره من هذا المنطلق ، فكان يأخذ عليه كثيرا من المآخذ ويعدها عيوبا مع جوازها ، تأسيسا على أنه يؤثر تجـويد الصنعة ولم يجودها . وقد صرح بهذا فى كتابه كما سنرى فى بعض الأمثلة التى سنعرضها فى هذا المبحث .

وسنتناول فيما يلى تفصيل الجوانب التى أشرنا اليها آنفـا .

---

(٢) المنصف : ٣١٩ .
(٣) شرح العكبرى : ٣٤٢/٢ .

١ ــ تناسب ألفاظ البيت :

احكام صنعة الشعر وانتقادها تقتضى أن تكون ألفاظ البيت متناسبة متلائمة يأخذ بعضها بأعناق بعض ، وقد اهتم ابن وكيع فى تحليلة لشعر المتنبى بتناسب الألفاظ وتلاؤمها ، ونظر فى ذلك الى زاويتين :

أ ــ تناسب الألفاظ من حيث الشكل .

ب ــ تناسب الألفاظ من حيث المضمون .

أ ــ تناسب الألفاظ من حيث الشكل :

ونعنى بذلك أن تكون الألفاظ متناسبة من حيث خصائصها اللغوية ، افرادا وجمعا وتعريفا وتنكيرا ، وما أشبه ذلك .

وقد أخذ ابن وكيع على المتنبى مآخذ ترجع الى هذه الناحية ، ففى قوله :

وعجاجة ترك الحديد سوادها   زنجا تبسم أو قذ الا شائبا

يقول : الأحسن فى صنعة الشعر لو أمكنه أن يقول : زنجيا تبسم أو قذا لا شائبا ، أو : زنجا تبسم أو قذلة شائبة » ، فيأتى بالجمع مع الجمع ، والمفرد مع المفرد(٤) .

ومعنى البيت : أن بريق الحديد فى سواد العجاجة كأسنان جماعة زنج تبسمت فبدت أسنانها ، أو كتشيب القذال ، وهو جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس فوق فأس القفا(٥) .

---

(٤) المنصف : ٤٣٥ .

(٥) شرح البرقوقى : ١/٢٥٥ .

وقد عابه ابن وكيع بعدم التناسب بين لفظى : الزنج والقذال من حيث الافراد والجمع ، حيث جاء الأول جمعا والثانى مفردا،والأحسن فى صنعة الشعر أن يتشابه المعطوف والمعطوف عليه فى الافراد أو الجمع ، ليقوى التلاؤم .

وفى قول المتنبى :

حاولن تفديتى وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائبا

يقول ابن وكيع:كان المليح أن ينكر فيقول:وضعن أيديا فوق ترائب، أو يعرف فيقول : وضعن أيديهن فوق ترائبهن ، لتعتدل الصنعة(٦) .

ومعنى البيت : حاولن أن يقلن لى نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن اشارة الى ذلك خوف الرقيب(٧) .

وصنعته عند ابن وكيع ليست معتدلة لاختلاف ألفاظ الجملة الأخيرة فى التعريف والتنكير والأحسن فى الصنعة أن تتحد الألفاظ تعريفا أو تنكيرا ليكون الكلام فى غاية التلاؤم .

وفى قول المتنبى :

ونكهتها والمندلى وقرقف معتقة صهباء فى الريح والطعم

يقول ابن وكيع : ولو أتى بما يستحسنه الحذاق فى الصنعة فقال :

ونكهتها والمندلى وراحها الـ ـمعتقة الصهباء فى الريح والطعم

كان أحسن فى التشبيه لكون جميعه معرفا مليحا ، وهو أحسن من تعريف بعضه(٨) .

---

(٦) المنصف : ٤٣٠ .

(٧) شرح البرقوقى : ١/٢٥٠ .

(٨) المنصف : ٣٣٢ .

والقرقف من أسماء الخمر وكذلك الصهباء،وهذه الأشياء معطوفة على فاعل « تساوى » فى البيت السابق ومعناه : استوت منها هذه الأشياء فى طيب الرائحة والذوق(٩) ٠

وقد أخذ ابن وكيع على المتنبى تعريف بعض الألفاظ وتنكير بعضها ورأى أن الأجود فى الصنعة أن تأتى الألفاظ على نمط واحد لتكون متلائمة ، وصاغ البيت صياغة جديدة ٠

وعاب الواحدى البيت من زاوية أخرى فقال : يقول قد استوت منها هذه الأشياء فى طيب الرائحة والذوق ، وانما يستوى فى الذوق شيئان النكهة والخمر ، لأن العود مر المذاق ، ولكنه جمع بينها فى الريح ، وأراد فى الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستقام الكلام الى ذكر الريح ثم احتاج الى القافية والى اقامة الوزن فذكر الطعم ، فأفسد ، لاختلاف ما ذكره فى الطعم(١٠) ٠

فبين أن الأشياء الثلاثة يجمعها وجه شبه واحد هو الريح ، أما الطعم فلا يجمع بينها لأن النكهة لا طعم لها ، والعود طعمه مر ٠

وقد رد عليه العكبرى فقال : ليس كما ذكر الواحدى ، فالمتنبى قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول فى الريح والطعم ، ولم يرد سوى الخمر فى الطعم(١١) ٠

---

(٩) شرح البرقوقى : ١٦٨/٤ ٠
(١٠) شرح الواحدى : ١٢٩ ٠
(١١) شرح العكبرى : ٥٠/٤ ٠

وهو رد ضعيف يقوم على الكشف عن ارادة المتنبى ، وهى أمر خفى وليس من السهل معرفتها ، ولا يوجد دليل واضح على هذه الارادة .

وفى قول المتنبى(١٢) :

يجنى للئام لو عقلوا   ما ليس يجنى عليهم العدم

يقول ابن وكيع : لو أمكنه « على » فى أول البيت لكان أحسن ليعتدل الكلام فى النصفين(١٣) .

فبين أن قوله « للئام » باستعمال حرف الجر «اللام» لا يتناسب مع قوله «عليهم» فى آخر البيت ، ولو كان الكلام : يجنى الغنى على اللئام ما ليس يجنى عليهم العدم لكان معتدلا متلائما فى شطرى البيت.

وبالنظر فيما ذكرناه من ملاحظات ابن وكيع على تناسب الألفاظ من حيث الشكل نرى أنها ملاحظات تقوم على وجوب تجويد الصنعة واتقانها مع التشدد فى ذلك ، وقد أشار فى بعض تعليقاته الى أنه تشدد فى هذه الأمور لكون أبى الطيب يؤثر تجويد الصنعة فوجب أن يعامله بمقتضى ذلك .

ففى قول المتنبى :

على ذا مضى الناس : اجتماع وفرقة   وميت ومولود ، وقال ووامق

يقول ابن وكيع : كان ينبغى أن يقول :

على ذا عهدنا الناس : راض وساخط   وميت ومولود وقال ووامق

---

(١٢) شرح العكبرى : ٤/٦٠ .
(١٣) المنصف : ٣٧٩ .

على ما يؤثره أبو الطيب من جودة الصنعة فى النظام ، أو يقول على التمثيل : « اجتماع وفرقـــة وموت وولادة وقلى ومقه » ليكـــون البيت اما أسماء كله وأما مصادر كله ، وكل ذلك جائز أن يقال ، ولكن رأينا تحفظـــه فى « قرحى » و « قرحـــا » فطـــالبناه بما طـــالب به نفسه (١٤) .

فهو يقر فى هذا التعليق بتشدده مع المتنبى فى النقد ، لأن وجود اسم ومصدر أو اسم مع فعل أو مفـــرد مع جمع وما أشـــبه ذلك من الأمور الجائزة فى الشعر ، ولكن لما كان المتنبى يؤثر تجـــويد الصنعة واتقان النظام عامله فى نقده لشعره بمقتضى منهجه فيه ، واستدل على ايثاره تجويد صنعته بما روى عنه فى « قرحا » «وقرحى» فى المثـــال الذى ذكرناه فى مطلع هذا المبحث .

وقد أخذ العكبرى هذا التشدد على ابن وكيع ووصفه بعدم فهم أبى الطيب فقال : وقد تعرب بعض من لا يفهم أبا الطيب فقال : كان ينبغى أن يقـــول :

على ذا عهدنا الناس راض وساخط   وميت ومـــولود وقال ووامق

أو يقول على التمثيل : اجتماع وفرقة ، وموت وولادة ، وقلى ومقة ليكون البيت مصادر ، وهذا لا يلزم الشاعر ، ولم يأت فى أشعار العـــرب (١٥) .

فساق العكبرى كلام ابن وكيع ولم يوافقه عليه ، وبين أن هذا لا يلزم الشاعر ولم يأت فى أشعار العرب ، فلماذا نلزم به أبا الطيب !!

---

(١٤) المنصف : ٣٢٠ .
(١٥) شرح العكبرى : ٢/٣٤٣ .

ب ــ تناسب الألفاظ من حيث المضمون :

ونعنى بذلك أن تتلاءم معانى الألفاظ ، وتتناسب مضامينها، وتكون من واد واحد .

وقد عاب ابن وكيع بعض أبيات المتنبى لعدم التناسب بين ألفاظها من حيث معانيها ومضامينها ، ففى قوله(١٦) :

أغر أعداؤه اذا سلموا   بالهرب استكثروا الذى فعلوا

يقول ابن وكيع « أغر » لا يشبه ما تبعه من الكلام ، وانما ينبغى أن يقول : « يقظان أعداؤه اذا سلموا » أو ما أشبه هذا اللفظ فى معنى الشجاعة(١٧) .

فتبين أن لفظ « أغر » لا يتناسب مع ما بعده من كلام فى شجاعة الممدوح ، وذلك لأنه يعنى أن الممدوح سيد شريف ، ولا مناسبة بين هذا وبين ما جاء فى البيت من أن أعداءه اذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه استكثروا هذا الفعل ، لأنه شجاعة لهم ، فكان على المتنبى أن يأتى بلفظ يتلاءم مع هذا الكلام .

وفى قول المتنبى :

بصارمى مرتد بمخبرتى   مجتزىء بالظلام مشتمل

يقول ابن وكيع : لو قال :

بصارمى مرتد وملتحف   بعزمتى بالظلام مشتمل

---

(١٦) شرح العكبرى : ٢١٣/٣ .
(١٧) المنصف : ٥٠٤ .

كان أجود فى الصنعة لتكون الثلاثة الألفاظ من جنس واحد: ارتداء والتحاف واشتمال(١٨) •

والبيت من قصيدة فى مدح بدر بن عمار وقبله قوله :

ومهمه جبته على قدمى   تعجز عنه العرامس الذلل

ومعنى البيتين : رب أرض بعيدة واسعة قطعتها على قدمى، تعجز عن قطعها النوق الصلبة المعتادة السير ، وأنا متقلد بسيفى ، مكتف بعلمى لم أحتج الى دليل يهدينى الطريق ، لابس ثوب الظلام مشتمل به(١٩) •

ولفظة «مجترىء » لم ترق لدى ابن وكيع لأنها لا تتناسب مع : مرتد ومشتمل ، ومن ثم استبدلها بلفظة « ملتحف » مراعاة للتناسب بين الألفاظ الثلاثة ، وصاغ البيت على النحو الذى أورده فى تعليقه وعده أجود فى الصنعة من بيت المتنبى •

وأرى أن بيت المتنبى على صورته أجود صنعة من بيت ابن وكيع الذى رعى فيه التناسب اللفظى ، بينما أهمل تعديل الأقسام ، وتوازنها فى الصياغة ، فجاء بيته مهلهل النسج ، ولو أمكنه أن يقول : بصارمى مرتد ، بعزمتى ملتحف ، بالظلام مشتمل » لكان لقوله وجه فى تفضيله على بيت المتنبى •

وفى قول المتنبى :

ما تريد النوى من الحية الذواق   حر الفلا وبرد الظلال

يقول ابن وكيع : هذا كلام ردىء الصنعة ، اما قال : حر الفلا وبرده . أو حر الهواجر وبرد الظلال(٢٠) •

---

(١٨) المنصف : ٥٠١ •
(١٩) ينظر شرح العكبرى : ٢١١/٣ •
(٢٠) المنصف : ٤٦٤ •

والمتنبى يعنى بالحية الذواق نفسه ، فهــو كالحية لا يســتقر فى موضــع ، ومعنى البيت : ما تريد النــوى منى وقد ذقت الأشــياء وجربتها وتعودت حر الفلوات وبرد الظلال (٢١) .

واجادة الصنعة عند ابن وكيع تقتضى أن يكون قد قال : حــر الفلا وبردها ، أو حر الهواجر وبرد الظلال ، لتتلائم الألفاظ،وتعتدل الأقسام ، وتتوازن الكلام

وفى قــول المتنبى :

أمنسى الكناس وحضرموتا ووالدتى وكندة والسبيعا

يقول ابن وكيع : حصول والدته بين هذه القبائل غير مستحسن ، وكان ينبغى الا يخرج عن ذكر قبيلة مكان والدته (٢٢) .

والكنــاس أو السكون كمــا فى بعض الروايات ، وحضرموت ، وكندة ، والسبيع ، أســماء أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها ، والمتنبى يريد أن يقــول : ان احسان الممدوح ألهــاه عن بلده وأهلــه (٢٣) .

والمعنى جيد ، ولكن ذكر والدته بين هذه الأسماء غير مستحسن كما ذكر ابن وكيع وكان عليه أن يقدم ذكر والدته على هذه الأسماء مراعاة لتوقيرها من ناحية وتحقيقا للتناسب من ناحية أخرى .

ويمكن الاعتذار عنه بأن هذه الأماكن هى بلده ، وقد بلغ حبه لها مبلغا كبيرا وصل الى درجة حبه لوالدته ، فجمع فى الكلام بينهمــا ، لاقترانهما فى ذهنه واحتلالهما مرتبة واحدة من الأهمية .

---

(٢١) ينظر شرح العكبرى : ٣/١٩٣ .
(٢٢) المنصف : ٣٧٥ .
(٢٣) شرح البرقوقى : ٢/٣٦٤ ، وينظر العكبرى : ٢/٢٥٧ .

وفى قـــول المتنبى :

لو حل خــاطره فى مقعــد لمشى　　　أو جاهل لصحا أو أخرس خطبا

يقول ابن وكيع : فقوله : « أو جاهل لصــحا » كان ينبغى أن يقول : « أو سكران لصحا ، أو جاهل لعقل » فأما قوله : « أو أخرس خطبا » فكلام بليغ ، لأنه لو قال : أو أخرس نطق كان جيدا ، فأمـا خطبا ، فنهاية لأنه ليس كل ناطق خطيبا (٢٤) •

والمتنبى يقول فى ممدوحه : ان خاطره لتوقده وقوته او كان فى مقعد لمشى ، أو جاهل لصحا من جهله وصار عالما ، أو فى أخــرس لقدر على النطق الفصيح (٢٥) •

وقد أخذ عليه ابن وكيع عدم التناسب بين الجهل والصحو، وكان عليه أن يقول : « أو جاهل لعقل ، أو سكران لصحا » ليتم التنــاسب بين اللفظين ، وهذا النقد قائم على وجوب مراعاة التضـاد بين اللفظين لتتحقق المطابقة ، وان كان الصحو يسبغ على الجاهل صفات الغفلــة والذهول وعدم الاحساس بما حوله •

وفى قــــول المتنبى :

نعج محاجره دعج نواظره　　　حمر غفائره سود غدائره

يقول ابن وكيع : جاء أبو الطيب بـ « حمر غفائره » بين صفات الخلق ، ولو ذكرت خضراء الغفائر أو صفراءها لم يفد ذلك الا أفــادة الحمر ، ولو قال : « بيض ترائبه ، سود غدائره » طابق بين البياض والسواد ، وكان البيت كله فى صفات الخلق لكان أحسن (٢٦) •

---

(٢٤) المنصف : ٣٩٢ ، ٣٩٣ •
(٢٥) شرح العكبرى : ١١٢/١ •
(٢٦) المنصف : ٢٠٧ •

والنعج : البياض ، والمحاجر : ما حول العينين ، والدعج : السواد ، والغفائر : جمع غفارة وهى خرقة تكون على الرأس تقى بها المرأة خمارها من دهن الطيب ، وقد تكون اسما للخمار نفسه ، والمعنى : هن بيض المحاجر لبياض ألوانهن ، سود الأعين ، حمر الغفائر لكثرة طيبهن بالمسك والزعفران ، سود الذوائب (٢٧) .

وابن وكيع يرى أن قوله « حمر غفائره » لا يتناسب مع ما قبله وما بعده ، فهو وصف للخمار ، وما قبله وما بعده ، وصف لأعضاء من الجسم لتتلاءم جمل البيت ، واقترح أن يقول : بيض ترائبه ليتم الطباق ويتحقق التلاؤم ، كما يرى أن وصف الغفائر بأنها حمر لا فضل فيه على أن تكون خضراء أو صفراء .

ووصف الغفائر بالحمرة مفيد لأنه يدل على كثرة استعمال الطيب من المسك والزعفران ، والغفائر وان كانت من غير الأعضاء الا انها تتناسب مع الغدائر ، لأن الغفائر غطاء الرأس والغدائر من شعر الرأس ، فالتلاؤم موجود ، والمتنبى فى وصفه لم يتعد وصف الوجه والرأس وهما متصلان ، ولو قال : « بيض ترائبه » كما اقترح ابن وكيع لكان قد خرج الى وصف جزء مستور لا يراه الناظر وهو الصدر وفى هذا ما يستحيا منه ، ولفقد البيت جمال الترصيع المتمثل فى تقسيمه الى مقاطع مستوية الأوزان متفقة الأعجاز (٢٨) .

٢ ـ تناسب شطرى البيت :

لحظ ابن وكيع على بعض أبيات المتنبى عدم التناسب بين شطريها مما أفقدها عنصرا هاما من عناصر جودة الشعر واتقان صنعته .

---

(٢٧) شرح العكبرى : ١١٦/٢ .

(٢٨) ينظر سر الفصاحة : ٢٢٣ ، ونهاية الايجاز : ٣٥ .

ففى قــــول المتنبى(٢٩) :

جللا كما بى فليك التبريح أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

ذكر ابن وكيع ما فيه من مآخذ لغوية وأطال فى بيان ضــعفه فى اللغــة ، ثم قال :

وفى البيت عيب ثالث ، وهو تباعد نصفه عن نصفه،حتى لا جوار بينهما ، فضلا عن المناسبة ، ولا تعلق لهما بشىء غير المقاربة .. بينا أبو الطيب يذكر تباريحه وأشجانه اذ عدل عن السؤال الى غذاء الرشأ، فان كان عن له بعد سلوة حبيبه ، فشبهه بالظبى ، فسال : هــل هو يأكل الشيح ، ليزول عنه الشك أنه غــزال على الحقيقة فهذا ســؤال أبله أو متبــاله ، واستدعاء اعــلام بما هو عالم به ، والمتقــدم من شكوى تباريحه لا يليق بالسؤال عن غذاء الظبى ، وان كانت التباريح من أجله ، وانما كان يحسن أن يقال فى هذا : ان التباريح التى شكوتها من صد ظبى ليس غذاؤه الشيح » ليفرق بين حبيبته والظبى ، ويدل على بشر مثل الظبى فى نفسه ، فأما السؤال عن غذاء الظبى فلا وجه له،لأن الفرق بين الانسان والظبى يحصل بالقرون والأظلاف والقوائم الأربــع .

فان قال لنا محتج له : أما سمعت قول العرنى .

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر؟

قلنا له : هذا أولا بيت لا لحن فيه ، وهو متناسب كله ، والى معناه ذهب أبو الطيب ، غــير أن « حسينا » دل عــلى مراده فشــبه الظباء بها فى الأجياد ، وضمور الأحشاء ، وخفة الأجسام ، وما يقع التشبيه منهــا .

---

(٢٩) شرح العكبرى : ٢٤٣/١ .

فأما غلط الناس فى تشبيه العيون بعيون الظباء فواضـح ، لأن عين الظبى سوداء ، وانما يقع التشبيه فى العين بعين البقرة الوحشية لأنها تجمع البياض والسواد ، واجتماعهما الحور ، وهذا من حسين العرينى على مذهب أبى بكر بن دريد أنشدنيه أبى رحمـه الله قال : أنشـده لنفسه :

أعن الشمس عشـيا كشفت تلك السجوف
أم على لميتى غـزال علقت تلك الشنوف ؟

فهو فى لفظ استفهام يدل به على خبر من قرب التشبيه. وما اقتصر أبو الطيب الا على الشيح ، فان اغتذى ذلك الظبى الذى يشبه حبيبته القيصوم أو البرير أو الكباث(٣٠) . أو غير ذلك من مراعى الظباء، أتراه يزول عن التشبه بحبيبته لاختلاف مراعيـه عن التى تغتـذى بهـا الظباء ؟

فان كان ذلك كذلك فحسنه أو شبهه فى الشيح لا غير ؟ . وأرى تباله حسين العرينى أرطب معنى ، وأعذب لفظا ، فهو بما سبق اليه أولى ممن أخذ عنه(٣١) .

فبين ابن وكيع فى هذا التحليل المفصل عدم وجود مناسبة بـين شطرى بيت المتنبى ، فالأول فى بيان شدة تباريحه وأشجانه والثانى استفهام عن غذاء الظبى على طريق التجاهل واستدعاء الاعلام بمـا هو عالم به ، ولا تناسب بينهما ، وان كانت التباريح من أجـل هذا الظبى الذى يسأل عن غذائه ــ وهذا ما يكون وجها للتناسب ــ فقد

---

(٣٠) القيصوم : نوع من النبات ، قريب من نوع الشيح،والبرير: ثمر الأراك ، والكباث : النضيج من ثمر الأراك . حاشية المنصف : ٢٩١

كان يحسن أن يبين هذا فيقول : ان التباريح التى شكوتها من صد ظبى ليس غذاؤه الشيح » ، وخرج ابن وكيع من هذا الى بيان خطأ الناس فى تشبيه العيون بعيون الظباء ، والأنسب أن تشبه بعيون البقر الوحشى •

والبيت مطلع قصيدة فى مدح مساور بن محمد الرومى ، ومعنى المصراع الأول : اذا كان أحد فى شدة فليكن كما أنا عليه ، تعظيما لما هو فيه من الشدة • ثم استأنف كلاما آخر فى المصراع الثانى فقال على سبيل التعجب والانكار : أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح • يريد أن الرشأ الذى يهواه انسى لا وحشى فيغذى بالشيح(٣٢) •

وابن جنى يقر بعدم التناسب بين الشطرين ، ولكنه يلتمس لذلك وجها هو أن البيت مصرع ، والمصراعان كالبيتين ، فلذلك أفرد كل واحد منهما بمعنى(٣٣) •

ويرى أصحاب المعانى أن مثل هذا قد يفعله الشاعر فى النسيب خاصة ليدل به على ولهه وشغله عن تقويم خطابه كما قال جران العود(٣٤) :

يوم ارتحلت برحلى قبل برذعتى والعقل مد له والقلب مشغول
ثم انصرفت الى نضوى لأبعثه اثر الحدوج الغوادى وهو معقول

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ، فكان يبعثه ليقوم ، وفى كلامه ما هو أدل على ولهه مما ذكر من حاله ، وهو قوله : ارتحلت ثم انصرفت الى نضوى ، كيف ارتحله

(٣٢) شرح لواحدى : ١٠٨ ، وشرح العكبرى : ١/٢٤٤ •
(٣٣) شاعر من بنى نمير وهذا لقبه ، واسمه : عامر بن الحارث •
(٣٤،٣٥) ينظر شرح الواحدى : ١٠٨ •

ولم يأته ؟ وان كان أتاه فكيف قال ثم انصرفت اليه ؟ وعلى مثل هذا يحمل قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الأرواح والديم(٣٥)

وبين القاضى الجرجانى ما بين المصراعين من اتصال وتناسب فقال : وبين المصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما خبر عن عظيم تبريحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشاء الذى شكله عليه شبه الغزلان فى غذائه(٣٦) .

وقال ابن فورجه : يريد ما غذاء هذا الرشأ الا القلوب وأبدان العشاق بهزلها ويمرضها ويبرح بها ، وقد صرح بعض المحدثين بهذا المعنى فقال :

يرعى القلوب وترتعى الـ ... غزلان بروقه وسيحه

وكأن المتنبى يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بى ، أتظنون من فعل بى هذا الفعل غذاؤه الشيح ؟ ما غذاؤه الا قلوب العشاق(٣٧) .

والمناسبة التى أبداها كل من القاضى الجرجانى وابن فورجة مناسبة دقيقة لا تدرك الا بالتأمل والاستنباط من الأحوال والملابسات، وقد ذكرها ابن وكيع فى نقده للبيت ، ولكنه بين أن هذه الصياغة لا تكشف عنها ، وأن التعبير عنها يكون بأسلوب آخر .

---

(٣٦) الوساطة : ٤٤٢ .

(٣٧) شرح الواحدى : ١٠٨ ، والعكبرى : ١/٢٤٤ .

وفى قـــول المتنبى :

تحمل المسك عن غـدائره الريـ ـــح ويفتر عن شنتيت برود

يقول ابن وكيع : ... بينا يخبرنا عن حمل الريح عن الغـدائر المسك اذ أخبرنا عن افترارها عن شنتيت برود ، وليس بينهـا وبين الثغر تناسب فيجمع بين الوصفين(٣٨) .

ورواية البيت فى الديوان:

تحمل المسك عن غدائرها الريـ ـــح وتفتر عن شنتيت برود

والمعنى : أنها طيبة الرائحة ، فكأن الريح اذا مرت بها تحمـل المسك من غدائرها ، وتضحك عن ثغر متفرق فى استواء(٣٩) .

ولا ندرى كيف لا تكون هناك مناسبة بين وصف شـعر المحبوبة وثغـرها مع كونهما متجاورين وعنصرين من عناصر الحســن فيها ، وهذا كاف فى تحقيق التناسب بينهما .

وفى قـــول المتنبى :

ما تجسر الفصحاء تنشد ههنا بيتا ولكنى الهزبر الباسل

يقول ابن وكيع : ترتيب هذا البيت غير صحيح لأنه كان يجب أن يـكون :

لا تصلح الشجعان تبرز ههنا لوغى ولكنى الهزبر الباسل

أو يقـــول :

ما تجسر الفصحاء تنشد ههنا بيتا ولكنى الفصيح الفاضل

---

(٣٨) المنصف : ١٤٨ .

(٣٩) شرح العكبرى : ٣١٧/١ .

يعدل بين الأقسام ويوازن بين الكلامين(٤٠) •

والبيت من قصيدة فى مدح القاضى أبى الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكى ، والمتنبى يريد أن يقول : لهيبتك وعلمك بالشعر وتمييزك جيده من رديئه لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى لجودة شعرى واقتدارى أجرؤ على ذلك(٤١) •

وابن وكيع يرى أن البيت غير ملائم • لأنه لا مناسبة بين انشاد الشعر وكونه هزبرا باسلا ، ومن ثم اقترح تعديله وصياغته على نهج، يجعله متوازنا متلائما •

ويمكننا أن نجد مخرجا للمتنبى من هذا المأخذ ، وذلك أنه لما وصف الشعراء والفصحاء بالخوف والهيبة من انشاد بيت بين يدى الممدوح ، جاز له أن يصف نفسه بأنه شجاع باسل يجرؤ على الانشاد بين يديه لجودة شعره واقتداره •

ولقوله « لا تجسر » فى أول البيت شأن فى التقريب بين شطريه، فهو يوحى بالشجاعة ومن ثم يؤهل الأذهان لقبول التشبيه فى آخر البيت •

وفى قول المتنبى :

وأين من زفراتى من كلفت به ؟ وأين منك ابن يحيى صولة الأسد؟

يقول ابن وكيع : وبينا هو يسأل عن زفراته اذ سأل : أين منك ابن يحيى صولة الأسد » فخرج عن حديث الهوى والحزن الشاغل

---

(٤٠) المنصف : ٥٩٥ ، ٥٩٦ •
(٤١) شرح البرقوقى : ٣٧٦/٣ •

الى أن يسأل ابن يحيى أين صولته من صولة الأسد ، وهذا من ذاك غيرمتقارب ولا متناسب(٤٣) •

ومعنى البيت : أين محبوبى من معرفة زفراتى ، وما بى من الشوق والحسرة على فراقه ، وأين تقع منك أيها الممدوح صولة الأسد ، فما صولتك الا فوق صولة الأسد ، فالمتنبى ينكر أن يعرف الحبيب حاله ، وينكر أن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح(٤٣) •

وعلى هذا فبين شطرى البيت تناسب صحح الجمع بينهما،حيث أنكر شيئين يجتمعان فى ذهنه ، ويستويان على نفسه وهما : أن تكون محبوبته عارفة ما به من الشوق والحسرة على فراقها،وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح ، وعادتهم أن يكون فراق المحبوبة من أجل الذهاب الى الممدوح طلبا لرفده •

ففى البيت تخلص حسن وخروج مليح وقد أثنى عليه العكبرى فقال : هذا من المخالص الجيدة(٤٤) •

تناسب الأبيات :

تكلم ابن وكيع عن تناسب الأبيات ، فى مواضع من كتابه ، وأخذ على المتنبى عدم اهتمامه بحسن الخروج من غرض الى غرض ففى قوله :

أبرحت يا مرض الجفون بممرض   مرض الطبيب له وعيد العود

---

(٤٢) المنصف : ٢٨٤ •

(٤٣) شرح الواحدى : ١٠٥ •

(٤٤) شرح العكبرى : ٢/٣٥٠ •

يقول : وبينا هو فى ذكر مرضه حتى خــرج خروجا غير مليــح ولا متقارب ولا متناسب الى قوله :

فله بنو عبد العزيز بن الرضا ولكل ركب عيســهم والفدفد

وما أشبه هذا بقــــوله :

جللا كما بى فليك التبريح أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح ؟

فبينا هو يشكو تباريحه اذ صار يسأل عن غذاء الرشأ ما هو ؟ وقد قيل للعجاج ليهنك ما يقول رؤبة من جيد الشعر ، قال : نعم ولكنى أقول البيت وأخاه ، وهو يقول البيت وابن عمه . وهذا الكلام الذى قاله لا يشبه ابن عم البيت ولا يستحق اسم جار قريب ! وما أفرح بهذا الخروج ولا أستحسنه(٤٥) .

وذكر الواحدى ما قاله ابن جنى وابن فورجــة فى معنى قوله : « أبرحت يا مرض الجفون ... » فقال : قال ابن جنى : أبرحت أى تجاوزت الحد ، وعنى بالمرض جفنها ، « ومرض الطبيب له وعيــد العــود » مثل ، أى تجــاوزت يا مرض الجفون الحد حتى أحوجتــه الى طبيب وعود ، يبالغ فى شدة مرض جفنها ، وقال ابن فورجة،أبرح أبو الفتح فى التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناهيا ، وانما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح كقول أبى نواس :

ضعيفة كر الطرف تحسب أنهـــا قريبة عهد بالافاقة من سقم

ولو أراد تناهيه لقال تحسبها فى برسام أو نزع روح،وانما عنى بالمرض نفســه وأنه أبرح به حبــه لذلك الجفن المريض ، وأنه بلغ

---

(٤٥) المنصف : ٢٣٢ . وينظر : ٢٨٨ ففيها حديث طويل عن قول المتنبى : جللا كما بى .. وقد سقناه آنفا .

ابراحه به أن مرض طبيبه وعيد عوده رحمة له على طريقتهم المعروفة بالتناهى فى الشكوى(٤٦) •

واختار الواحـــدى رأى ابن فورجة وأيده فى أن المراد بالمرض هو المتنبى نفسه وقال : والذى يدل على أن المــراد بالمرض المتنبى لا الجفن قوله :

فله بنو عبد العزيز بن الرضا ولكل ركب عيســهم والفدفد

أى للمرض المذكور وهو المتنبى هؤلاء ، فهم الذين يقصدهم ويبلغ بهم آماله ، ولسائر الناس من الراكبين المسافرين الى غيرهم الابل والمفازة ، أى لا يحصلون على شىء سوى التعب وقطع الطريق(٤٧) •

ورأى أنه مادام المرض هو المتنبى فان الخروج يكون متناسبا لأنه خرج من شكوى مرضه الى مدح من يلجأ اليهم لتخفيف شدته ، وازالة آلامه ، وتحقيق آماله ، فلا وجه لما ذكره ابن وكيع •

وفى قـــول المتنبى :

رأيت التى للسحر فى لحظاتها سيوف ظباها من دمى أبدا حمر

يقول ابن وكيع : بينا هو يصفها كالشمس اذا خرج الى وصـــف سحر جفونها وما تفعله به ، وكان ينبغى أن يجود صنعته ولا يخرج الكلام عن نور وجهها فيقول :

رأين التى للنور فيهـــا تألق برد عيون الناظرين بها بشر(٤٨)

وقبل بيت المتنبى السابق قوله(٤٩) :

(٤٦،٤٧) شرح الواحدى : ٧٤ •

(٤٨) المنصف : ٢٧٨ •

(٤٩) شرح العكبرى : ١٢٣/٢ •

رأت وجه من أهوى بليل عواذلى فقلن نرى شمسا وما طلع الفجر

فوصفها فيه على لسان عواذله بأنها شمس طلعت فى الليل ، وانتقل الى وصف سحر جفونها ، فقال : رأين التى سحر عينيها سيوف حدها محمر أبدا من دمى .

وابن وكيع يرى أنه لا تناسب بين البيتين ، وأن تجويد الصنعة كان يقتضيه ألا يخرج بالكلام عن نور وجهها .

ورأيى أن هذا تعسف فى النقد وشطط فيه ، فالمتنبى وصف نور وجهها فى بيت ، وانتقل الى وصف سحر عينيها فى بيت تال له ، ولا تباعد بين الوجه والعينين حتى تذم صنعته بحجة عدم التناسب، فالناظر للوجه يلمح أول ما يلمح نور الجبين وسحر العيون .

ولو قال المتنبى مثلما قال ابن وكيع لكان فى كلامه تطويلا لا فائدة منه ، وايضاحا لكلام واضح يقوم حسنه على الايجاز،يضاف الى هذا ما فى بيت ابن وكيع من ضعف فى الصنعة أبرزه تقديم المفعول على الفاعل دون سر بلاغى يدعو اليه ، ففصل بين الفعل وفاعله بكلام طويل مما أورث النظم تعقيدا والمعنى غموضا .

وفى قول المتنبى :

اذا ما ذكرنا جوده كان حاضرا نأى أو دنا يسعى على قدم الخضر

يقول ابن وكيع : هذا لا يقرن بالبيت الذى قبله ، ولا يجانسه(٥٠) .

والبيت ثالث أبيات ثلاثة قالها المتنبى فى أبى الحسين بن ابراهيم حين دخل عليه وهو يشرب وقبله قوله :

---

(٥٠) المنصف : ٣٤٤ .

رأيت الحميـــا فى الزجـــاج بكفه
فشبهتها بالشمس فى البدر فى البحر(٥١)

فشبه الخمــر بالشمس ، والزجــاجة بالبدر ، وكف الممــدوح بالبحــر(٥٢) •

ثم ذكر فى البيت التالى جود الممدوح ، فقال : لا يذكر جــوده الا وهو يحضر ، كالخضر عليه السلام فى سرعة حضروره(٥٣) •

وابن وكيع يرى عدم التناسب بين البيتين ، وربما نظر الى أن الأول فى وصف الخمر والثانى فى ذكر الجود ولم ينظر الى أنهما يتعلقان بشخص واحد فهو لا يصف خمرا على العموم وانما يصف خمــرا فى زجاج بكف الممدوح ، وانتقل من ذلك الى وصف جوده ، والكف هى آلة الجود وأداته ، ومن ثم فالتباعد بين البيتين غير كبير ، والقــول بتناسبهما قول سديد •

وفى قـــول المتنبى :

أيام فيك شموس ما انبعثن لنا   الا انبعثن دما باللحظ مسفوكا

يقول ابن وكيع : هــذا بيت ردىء الصنعة لأنه كان فى حــديث الوحش ، ثم قال « شموس » ولو قال « ظباء » كان قــد أورد ما يجانس البيت الأول(٥٤) •

(٥١،٥٢) شرح العكبرى : ٢/١٣٧ •
(٥٣) الســابق •
(٥٤) المنصف : ٢٧٣ •

فابن وكيع يرى أن ما فى هذا البيت لا يجانس ما فى البيت الذى قبله وهو قـــوله :

بأى حكم زمان صرت متخذا ريم الفلا بدلا من ريم أهليكا

يخاطب الربع ويقول : بأى حكم من أحكام الزمان جرى عليك ، فتبدلت الظباء بمن كان فيك من النساء ، أى تبدلت ظباء الانس بظباء الوحش(٥٥) .

والشموس : الجوارى الحسان ومعنى البيت : انى لأذكر أيــام فيك حسان ما ظهرن لنا الا أبكيتنا دما مصبوبا بنظــرنا اليهن ، أى : أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن (٥٦) .

وأرى أن البيت لا غبار عليه ، ولو قال المتنبى « ظباء » كما اقترح ابن وكيع لكان فى الكلام تكرار دونما فائدة ، حيث ذكر الظباء فى البيت الذى قبله ، وفى هذا البيت يتذكر أيام الربع التى كانت فيها الحسان تجئن وتذهبن ، وفى ألحاظهن دماء عشاقهن .

وقد أثنى ابن وكيع على بعض تخلصــات المتنبى واعتبرهــا من الخروج الحسن ، ففى قول المتنبى :

فاســتضحكت ثم قالت كالمغيث يرى
ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا

يقول : هذا من الخروج المليح الى ما أراد من المديح ، ولا تعرفه العرب ، انما قولها : دع ذا وامدح فلانا ... (٥٧) .

---

(٥٥) شرح العكبرى : ٢/٣٧٧ .
(٥٦) شرح البرقوقى : ٣/١١٦ .
(٥٧) المنصف : ٣٩٢ .

والبيت من قصيدة فى مدح المغيث بن على العجلى وقبله قوله :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها
من أين جانس هذا الشادن العربا

والمعنى أنها لما مرت بنا مع نظيرتها فى السن قلنا : من أن شابه هذا الظبى العرب ، فضحكت وقالت : كالمغيث : هو من عجل ويرى كأنه أسد ، وكذا أنا أرى كالظبى وأنا مع ذلك عربية (٥٨) •

وهذا خروج حسن من الغزل الى المديح ، لا يحس فيه القارىء بفجوة بين الغرضين وقد امتدحه ابن وكيع ، وبين أن طريقة العرب الأولين فى التخلص من غرض الى غرض لا تقوم على التناسب ولا على التمهيد للخروج بل يخرجون خروجا مباشرا بقولهم : دع ذا ، وعد عن ذا •••

وفى قول المتنبى :

حدق يذم من القواتل غيرها   بدر بن عمار بن اسماعيلا

يقول : هذا من الخروج المليح الى ما أراد من المديح(٥٩) •

والبيت من قصيدة فى مدح بدر بن عمار ، وقد تخلص فى هذا البيت من الغزل الى المديح وقبل هذا البيت قوله :

حدق الحسان من الغوانى هجن لى   يوم الفراق صبابة وغليلا

والمعنى : عيون الحسان هجن لى بفراقهن رقة الشوق وحرارة القلب ، وهى عيون لا يقدر على أن يجيرنى منها بدر بن عمار الذى

---

(٥٨) شرح العكبرى : ١١٢/١ •
(٥٩) المنصف : ٥٣٤ •

يجيرنى ويمنعنى من كل ما يقتل سواها (٦٠) ، وقد خرج المتنبى بهذا من الغزل الى المديح وهو خروج حسن مليح أثنى عليه ابن وكيع •

الحشـو :

وهو لون من ألوان البديع عند « ابن وكيع » اذا كان مفيدا ، وقد سماه : الحشو السديد فى المعنى المفيد (٦١) • وهو يطلقه على ما عرف عند البلاغيين « بالاعتراض » و « التتميم » و « الاحتراس » فان كان الحشو غير مفيد فهو عيب يستوجب القدح ويستدعى الذم •

وقد أخذ ابن وكيع على المتنبى كثرة الحشو الذى لا طائل تحته، ولا فائدة من ورائه ، وبين ذلك فى مواضع كثيرة من كتابه نكتفى بذكر بعضها •

ففى قـول المتنبى :

وليس كبحر الماء يشنق قعره   الى حيث يفنى الماء حوت وضفدع

يقول ابن وكيع : فى هذا البيت حشو غث ، وهو قوله : «بحر الماء» ولا معنى له ، وهو من جنس قول أبى العيال الهزلى :

ذكـرت أخى فعاودنى   صداع الرأس والوصب

الا أن يكون لليبس بحر يعبر عنه بهذا الاسم ، فيفيد كلامه (٦٢)•

والبيت من قصيدة قالها المتنبى فى صباه يمـدح على بن أحمد الطائى ، ومعناه : أن بحر جوده ليس كبحر الماء الـذى يغوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهيا الى قعره ، وانما هو بحر لا يبلغ منتهاه، يعنى أن جوده لا ينقطع (٦٣) •

---

(٦٠) ينظر شرح العكبرى : ٣/٣٣٥ •
(٦١) المنصف : ٧٥ •
(٦٢) السابق : ١٨٢ •
(٦٣) شرح البرقوقي : ٢/٣٥٤ •

وفى ذكره الماء بعد البحر حشو لا فائدة منه وكان عليه أن يكتفى بلفظ البحر ، اذ لا يوجد بحر للماء وبحر لليابس ، ومن ثم تهكم بــه « ابن وكيع » وهو يبين الحشو الذى فى البيت •

وفى قول المتنبى :

سهاد أتانا منك فى العين عنــدنا رقاد وقــلام رعى سر بكم ورد

يقول ابن وكيع : قوله « فى العين » حشو ردىء ، لأن الســهاد معلوم المكان ••• (٦٤) •

ومعنى البيت: أن السهاد اذا كان لأجلكم لذ فى أعيننا كالرقاد ، وأن القلام وهو نبات خبيث الريح اذا رعته ما شيتكم فهو طيب عندنا كأنه ورد • فهو لحبه اياهم يستلذ الألــم ويحسن فى عينــه ما ليس بالحسن (٦٥) •

وقوله « فى العين » حشو لا فائدة منه كما يرى « ابن وكيع » لأن السهاد لا يكون الا فى العين ، وقد جعل شراح الديوان قوله «فى العين» صلة لرقاد (٦٦) ، وهو حشو على هذا التفسير أيضا •

وفى قول المتنبى :

عمر العدو اذا لاقاه فى رهج أقل من عمر ما يحوى اذا وهبا

يقول ابن وكيع : هذا بيت كثير الحشو ، لأنه اذا ذكر اللقــاء فقد وجب أن يقل عمره اذا لاقى الممدوح وكان فى رهج أو ضده ،وجعل عمر ما له قليلا بشرط ، وهو أن يهب ، وكان امساكه عن أن يقول : اذا

---

(٦٤) المنصف : ٦١٧ •

(٦٥،٦٦) ينظر شرح العكبرى : ٣/٢ ، وشرح البرقوقى : ١٠٣/٢

وهب ، أعم وأتم ، لأنه يدل على بقاء ما يحويه كل زمان ، وعلى ضنه فى كل أوان الا فى الحين الذى يسنح له أن يهبه ، فهذا حشو غير مفيد، ولا معنى سديد ... (٦٧) .

وهذا البيت من قصيدة فى مدح المغيث بن على العجلى ، ومعناه : أن الممدوح اذا لقى عدوه فى غبار الحرب قصر عمر العدو حتى يكون أقصر من عمر المال عند الممدوح اذا أخذ فى العطاء ، وقال ابن القطاع: يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل اليه فلا يكاد حتى يهبه (٦٨) .

ولعل المتنبى قيد كلامه بالقيدين المذكورين ليدل على التناهى فى قلة العمر وقصره ، اذ أن الرهج وهو الغبار يدل على اشتداد الحرب وحميان الوطيس ، وعمر العدو فى هذه الحالة يكون أقصر من عمره فى بداية اللقاء ، كما أن عمر المال فى حال الهبة والعطاء يكون أقصر منه فى الأحوال العادية ، وبهذا يكون الحشو مفيدا ومقبولا .

وفى قول المتنبى :

ونؤى كأنهــن عليهــ ن خدام خرس بسوق خدال

يقول ابن وكيع : قوله : « خرس بسوق خدال » حشو لا ينتفع به،انما المعنى أن انعطاف النؤى كانعطاف الخلخال ، سواء كان الخلخال ناطقا أو أخرس ، أو على ساق خدلة أم خمشة ... (٦٩) .

والبيت من قصــيدة فى مدح عبد الرحمن بن المبــارك ، والنؤى بضم النون وتشديد الياء جمع نؤى كدلو ، وهو ما يحفر حول الخباء

---

(٦٧) المنصف : ٣٩٤ .

(٦٨) شرح العكبرى : ١/١١٤ ، وشرح البرقوقي : ١/٢٤٢ .

(٦٩) المنصف : ٤٦٣ .

ليقية ماء المطر أن يدخله ، كالخندق حول البلد ، والخدام : الخلاخيل، والخرس : التى لا صوت لها ، والخدال : السمان • شبه المتنبى الحفر حول آثار البيوت فى استدارتها بالخلاخيل حول السيقان الغليظة ، وهو يعنى أن هذه الحفر ما زالت على حالتها أم تدفن فى التراب ، وأن ما أحدقت به ملأها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال (٧٠) •

وابن وكيع يرى أن قول المتنبى : خرس بسوق خدال » حشـو لا فائدة منه ، وأرى أنه قد حاف فى هذا الحكم ، لأن القيود المذكورة فى البيت يفهم منها ما يلى :

١ ـ اتساع دائرة هذه الحفر لأنها محـدقة بشىء غليظ ، وهذا يشير الى سعة البيوت ورحابتها من قبل أن تصبح أطلالا •

٢ ـ استدارة الحفر من غير تعرج اذ أن الخلخال فى السـاق النحيفة يكون مائلا من ناحية ومرتفعا من أخرى •

٣ ـ أن ما أحدقت به هذه الحفر يملؤها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال •

ومن ثم أثني العكبرى على البيت ووصف التشبيه بأنه حسن(٧١)•

التعقـيد :

عاب ابن وكيع بعض أبيات المتنبى لما فيها من تعقيد ناتـج عن الخلل الواقع فى نظمها وترتيبها ، مما تسبب عنه خفاء المعنى المراد ، واختلاف الشراح فى فهمه ، ففى قول المتنبى :

---

(٧٠) ينظر شرح العكبرى : ١٩٢/٣ ، وشرح البرقوقي : ٢١٠/٣

(٧١) ينظر شرح العكبرى : ١٩٤/٣ •

فتبيت تسئد مسئدا فى نيها اسآدها فى المهمه الانضاء(٧٢)

يقول ابن وكيع : الاسآد : اغذاذ الليل ومثله الا يساد ، وقيل : الاسآد سير الليل خاصة ، والانضاء : المصدر من أنضاه ينضيه اذا هزله فأذا به •

وفائدة هذا الكلام : تبيت هذه الناقة تسرع فى سيرها ، كما يسرع تعبها فى شحمها و « مسئدا » منصوب على الحال منها ، و « الانضاء » مرفوع بـ « مسئد » ، والعائد عليه من هذه الحال فى « نيها » ، و « اسآد » منصوب على المصدر ، والناصب له « مسئد » ، وتقديره: فتبيت هذه الناقة تسئد مسئدا ، الانضاء فى نيها كأسآدها فى المهمه ، مثاله : تبيت هند مصليا عمرو فى دارها كصلاتها فى المسجد • أى : تبيت على هذه الحال تصلى ، فـ « مسئد » فعل الانضاء ، وجرى حالا على الناقة لما تعلق به من ضميرها الذى فى « نيها » كما تقول : مررت بهند واقفا عندها عمرو •

وقد جاء بمعنى غير لطيف ، ولفظ غير شريف ، وفيه من التعسف والتعجرف ما لو ورد عن الأفوه الأودى ، ما اشتغل الناس باخراج وجهه ، فكيف بمحدث جاء على ساقة الشعراء •

ولا يخلو أن يكون قائل هذا لا يعرف وجه الخلاص فأتعب المحتج له ، أو عرف ذلك ، وهو قاصد أن يسأل فيجيب حرصا على أن يحسن به الظن فى علم العربية ، ونحن نعلم ضعفه فيها ! •

وقد أتى بهذا المعنى أبو تمام فأتى بأحسن كلام وأوضح نظام فقال :

---

(٧٢) الاسآد : اسراع السير في الليل خاصة ، والني : الشحم • والمهمه : الأرض الواسعة البعيدة •

رعته الفيافى بعد ما كان حقبةً   رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

فهذا يرجح لفظه ويفهم معناه ، وليس فيه من الصعود والحدور ما أوقعنا فيه المتنبى لتعجرفه (٧٣) •

والبيت من قصيدة له فى مدح هارون بن عبد العـزيز الكاتب ، ومعناه : أن هذه الناقة تبيت تسير سائرا فى جسدها الهزال سيرها فى الأرض الواسعة •

وفى قول المتنبى :

أنى يكون أبا البريـة آدم   وأبوك ـ والثقلان أنت ـ محمد

ينقل ابن وكيع ما ذكره أبو العباس النامى المصيصى فى هذا البيت فيقول : قال أبو العباس بعد ايراد هذا البيت يخاطب أبا الطيب : فأين ذهبت ؟ وفى أى ضلالة همت ؟ ومن أى قليب جهالة اغترفت ؟• هذا النوع الذى أكثرت العجب به هو الذى أكثر التعجب منك •

ثم يقول ابن وكيع : فلم يزد على سب أبى الطيب سبا من غـير ايضاح العيب من قوله •وفى البيت كلفة وليس بلفظ مطبـوع ، ولا ملتذ المسموع ، وفى اعرابه مطعن ، وتقديره : كيف يكون آدم أبا البرية وأبوك محمد وأنت الثقلان ، ففصل بين المبتدأ الذى هو « أبوك » وبين الخبر الذى هو « محمد » بالجملة ، هذا قول بعض النحويين • ويجوز عندى أن يكون مراده : «أنى يكون أبا البرية آدم وأبوك محمد» ابتداء وخبر ، و « الثقلان أنت » عطف على المبتدأ •

وهذه تعقيدات يحتمل ورود مثلها لبدوى لا يعرف الاختيـار ويستعمل وجوه الاضطرار ، فأما المحدث المطبوع فلا عذر له أن يأخذ من الكلام جوهره ويصطفى منه متخيره (٧٤) •

(٧٣) المنصف : ٤٧٧ ، ٤٧٨ •
(٧٤) المنصف : ٢٤٢ •

الـــوزن :

عاب ابن وكيع بعض أبيات المتنبى بسبب مخالفته قواعد العروض فيها ، وهى قليلة الا أنها تدل على أن ابن وكيع لم يترك جانب الوزن فى شعر المتنبى بل تأمله ووضع يده على مخالفات أبى الطيب فى هــذا الجانب •

ففى قول المتنبى :

تفكره علم ومنطقه حكم   وباطنه دين وظاهره ظرف

يقول ابن وكيع : أهل العروض ينكرون هذا البيت ويقولون : هذه القصيدة من العروض الطويلـــة من الضرب الأول ، وعروض الطويل الأول أبدا يجئ مقبوضا على مفاعلـــن الا أن يصرع البيت ، وهذا البيت غير مصرع ، فهو غير جائز عندهم (٧٥) •

فعاب ابن وكيع البيت لما فيه من مخالفه عروضية ، حاكيا انكار أهل العروض له ، وقد سبق ابن جنى الى بيان هذه المخالفة فقـــال : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل تجئ أبدا مقبوضة على « مفاعلن » الا أن يصرع البيت ، فيكون ضربه على مفاعيلن أو فعولن ، فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا، وقد جاء بعروضه على « مفاعيلن » وهذا تخليط منه (٧٦) •

وحاول ابن جنى تخريج هذه المخالفة فقال : وأقـــرب ما يصرف اليه هذا أن يقال : انه رد « مفاعلن » الى أصلها : « مفاعيلن » لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر اظهار التضعيف ، وصرف ما لا ينصرف ، واجراء

---

(٧٥) المنصف : ٤٢٣ •

(٧٦،٧٧) شرح العكبرى : ٢/٢٨٧ •

المعتل مجرى الصحيح ، وقصر الممدود وما يطول ذكره مما ترد فيه الأشياء الى أصولها (٧٧) •

وأخذ عليه الواحدى هذه المخالفة فذكر كلام ابن جنى ثم قال : ولو قال ومنطقه هدى أو تقى صح الوزن (٧٨) •

ونقل القاضى الجرجانى دفاع المحتجين لأبى الطيب فقال : قال المحتج : انما جاء البحر على مفاعيلن ، وليس يحظر على الشاعر اجراؤه على الأصل ، وقد جاء عن العرب مفاعيلن فى المصرع وما خرج عن الوزن لم يحتمله المصرع ولا غيره ••• وقد جاء فى شعر المحدثين ما أجروا فيه غير المصرع مجرى المصرع فقال شاعرهم :

فالوجه مثل الصبح مبيض   والشعر مثل الليل مسود

وأبو الطيب أعذر من هذا لأنه جرى على أصل البحر فى الدائرة، وقد جرى أبو تمام الى ما هو أقبح من الأمرين فصرع المصراع فى قوله :

يقول فيسمع ، ويمشى فيسرع
ويضرب فى ذات الاله فيوجع (٧٩)

ونحن نقبل الشق الأول فى دفاع المحتجين لأبى الطيب لقيامه على حجة معقولة ، ولا نقبل اعتذارهم عنه بشعر المحدثين لأن الوقوع فى الخطأ لا يبرر الخطأ •

وفى قول المتنبى :

انما بدر بن عمار سحاب   هطل فيه ثواب وعقاب

---

(٧٨) شرح الواحدى : ١٧٠ •

(٧٩) الوساطة : ٤٦٧ ، ٤٦٨ •

يقول ابن وكيع : قال العروضيون هذا البيت صحيح لأنه مصرع، فتبعت عروضه ضربه ، فأما ما بعده من هذه القطعة فمضطرب الوزن، وهى من « الرمل » لأنه جعل العروض « فاعلاتن » والعروض ههنا لم تستعمل الا محذوفة السبب ووزنها « فاعلن » قال عبيد :

مثل سحق البرد عفى بعدك الـــ قطر مغناها وتأويب الشمال (٨٠)

والبيت مطلع قصيدة فى مدح بدر بن عمار ، والعيب العروضى ليس فى هذا المطلع فهو مصرع فتبعت عروضه ضربه ، انما العيب فى باقى أبيات القصيدة حيث جاءت العروض فيها على « فاعلاتن » وقواعد العروض تقتضى أن تكون محذوفة السبب فتأتى على « فاعلن » •

وقد أخذ الشراح عليه هذه المخالفة فقال الواحدى : هذه القطعة مضطربة الوزن وذلك لأنه جعل العروض « فاعلاتن » وهو الأصل فى الدائرة ، ولكن لم يستعمل العروض ههنا الا محذوفة السبب على وزن « فاعلن » ، واستشهد بقول « عبيد » السابق (٨١) •

وتابعه العكبرى فحكم على القصيدة بالاضطراب وردد كلام الواحدى وان كان لم يشر اليه (٨٢) •

ونلاحظ أن ابن وكيع فى الملاحظتين المتصلتين بالوزن يحكى قول العروضيين ، وكأنه بذلك يقول : ان هذا ما قاله أهل الاختصاص ولا مجال لنقضه أو الاعتذار عنه •

---

(٨٠) المنصف : ٥٢٩ •

(٨١) شرح الواحدى : ٢٢٣ •

(٨٢) شرح العكبرى : ١/١٣٣ •

القافيـة :

نظر ابن وكيع فى قوافى المتنبى ، وحكم عليه حكما عاما بأنه قليل الركوب للقوافى الصعبة ، وعاب بعض قوافيه بالتكلف والتعجرف وما أشبه ذلك . ويتجلى نقده لقوافيه فى عرضه لقصيدته فى مدح مساور بن محمد الرومى ومطلعها (٨٣) :

أمساور أم قرن شمس هذا … أم ليث غاب يقدم الأسـتاذ ؟

وعلق عليه ابن وكيع بقوله : هذا معنى مبتذل ، وقد حشى بقوله « يقدم الأستاذا » حشوا غير مفيد .. (٨٤) .

فحكم على المعنى بالابتذال ، وعلى الجملة المحتوية على القافيـة بأنها حشو لا فائدة منها ، أى أنه قد جاء بها من أجل القافية لا من أجل معنى مفيد تضمنته كما هو شأن الشعر الجيد .

والمتنبى شبه ممدوحه بقرن الشمس فى حسنه وظهوره ، وبليث الغاب فى شجاعته ، والأستاذ أى الوزير وكان الممدوح يتقدمه (٨٥) ، وأرى أن لهذه الجملة فائدة حيث وصفت الممدوح بصـفة جديدة غير مستفادة مما سبق فى البيت ، هى كونه يتقدم الوزير ، ومن ثم فليست حشوا كما ادعى ابن وكيع .

وفى قول المتنبى :

فى موقف وقف الحمام عليهم … فى ضـنكه واسـتحوذ استحوذا

---

(٨٣) شرح العكبرى : ٨٢/٢ .
(٨٤) المنصف : ٣٠٦ .
(٨٥) شرح البرقوقى : ١٨٥/٢ .

يقول ابن وكيع : حشى بالمصدر كلامه لضيق القافية عليه (٨٦) •

فحكم على القافية بأنها حشو جاء به من أجل القافية ، وهو بهذا ينفى فائدة المصدر علما بأن وجوده يؤكد الكلام ويمنع توهم المجاز ، والمصدر المؤكد واقع فى الكلام البليغ ووارد فى القرآن الكريم المعجز قال تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » (٨٧) قال ابن قتيبه : فوكد بالمصدر معنى الكلام ونفى عنه المجاز •• وأفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار فتقول : قالت الشجرة فمالت ولا تقول : قالت الشجرة فمالت قولا شديدا (٨٨) •

وعلى هذا فوقوع المصدر قافية فى بيت المتنبى ليس من قبيل الحشو ، فهو يؤكد الاستحواذ ويرفع توهم المجاز فيه •

وفى قول المتنبى :

جمدت نفوسهم فلما جئتها   أجريتها وسقيتها الفولاذا

يقول ابن وكيع : قد أركبته هذه القافية كل تعجرف وتكلف ، ذكر جمود نفوسهم ولم يذكر علة للجمود ، وقال : سقيتها الفولاذا » والفولاذ ليس مما تسقاه النفوس ، لأن السقى لا يصلح الا لمائع ، بل الفولاذ يعبر عنه بالسقى اذا حد بالماء على المسن (٨٩) •

ومعنى البيت كما ذكر ابن جنى : قست قلوبهم وصبروا وتشجعوا واشتدوا كالشىء الجامد ، وأجريتها : أسلتها على الحديد ، فصارت بمنزلة الماء الذى يسقى الحديد (٩٠) •

---

(٨٦) المنصف : ٣٠٧ •

(٨٧) النساء آية : ١٦٤ •

(٨٨) تاويل مشكل القرآن : ١١١ •

(٨٩) المنصف : ٣٠٧ •

(٩٠) شرح العكبرى : ٨٣/٢ •

فالمتنبى لا يقصد أن النفوس شربت الفولاذ ، ولكن يقصد العكس وهو أن الفولاذ قد سقى النفوس لما سالت على حده دماء جارية ، وهو معنى صحيح وافق عليه ابن وكيع فى كلامه •

وفى قول المتنبى :

فغدا أسيرا قد بللت ثيابــه بدم وبل ببوله الأفخــاذا

يقول ابن وكيع : هذا من غث الكلام ، وهو قليل الركوب لقافيــة صعبة ، فلما ركب ذلك فى قصيدة قليلة العدد استعمل فيها كل كلفــة ، وكان تركها أوفق له ، ومن هذا الجنس قوله :

طلب الامارة فى الثغور ونشــؤه ما بين كرخايا الى كلــواذا (٩١)

وما يمنع من نشأ فى قرية أن يلى لفضل أجل بلد ؟ لكنه تســلق على حصول القافية بكلواذا ؟ •••

وأتبع هذا بأن قال :

فكأنه حسب الأسنة حلــوة أو ظنها البرنى والآزاذا (٩٢)

فى هذا البيت مع غثاثة لفظه مطعن ، وهو أنه كان يكتفى بنصفه عن تمامه لأن الفائدة فى باقية مثل الفائدة فى ماضيه،اذ البرنى والآزاذ لا يخرجان عن حد الحلاوة ، فقد غنى عن تكريره ، وكذلك كل ما وقع عليه اسم الحلاوة •

ولو أمكنه أن يقول : وظنها البرنى والأزاذا » • أى ظنها هذا الجنس من الحلاوة ! وهذا يشبه أن يقول عائب فيه : حسب الأسنة

---

(٩١) كرخايا وكلواذا : قريتان من أعمال بغداد •

(٩٢) البرنى والآزاذ : نوعان من جيــد التمر ، والثــانى أجود من الأول وأقل وجودا •

حلوة أو ظنها حلوة » ، فلا يكون لهذا الكلام معنى ، وكان ينبغى اذا بلى بايراد هذا المعنى أن يقول فى قافية مخفوضة : كحلاوة البرنى والآزاذ » (٥٣) .

وقد تناول ابن وكيع فى هذا التحليل ثلاثة أبيات :

البيت الأول معناه : أن هذا الأسير قد تلطخ بالدماء والبول وقد حكم عليه ابن وكيع بأنه كلام غث وقافيته متكلفة . وهو محق فى هذا، فألفاظ البيت مبتذلة ، ولا تحمل معنى يدل على شجاعة ممدوحه .

والبيت الثانى معناه : أنه حاول أن يكون أميرا على الثغور وهو خسيس لا يصلح لهذا لأنه نشأ فى القرى والسواد.وقد حكم ابن وكيع على آخره بالتكلف وعدم الافادة ، وما جاء به المتنبى الا من أجل القافية ، وهو مصيب فى هذا أيضا ، فما الذى يمنع من نشأ فى القرى اذا كان صاحب فضل أن يلى أفضل البلاد ؟ !

والبيت الثالث يقول فيه انه ليس أهلا للطعان وكأنه حسب الأسنة تمرا يأكله ، فهو متعود على ذلك .

وقد حكم ابن وكيع على شطره الأخير بأنه حشو لا فائدة منه ، واقتراح صياغة جديدة له تجعله مقبولا من وجهة نظره .

وأرى أن الشطر الأخير على صياغة المتنبى لا يخلو من الفائدة، ففى الشطر الأول يقول : كأنه حسب الأسنة حلوة ، وهذا حكم عام بحلاوتها غير ممثل بمحسوس ، وفى الشطر الثانى يقول : أو ظنها هذا التمر الجيد فأتى بمحسوس دل على تمام الحلاوة وعلى اقباله عليها ، لأنها حلاوة شىء محبوب لديه .

---

(٥٣) المنصف : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

ونقد ابن وكيع للأبيات الثلاثة ينصب فى جملته على القافية ، فهى متكلفة ، ولا تفيد معنى يعتد به ، وقد تسلق الشاعر للحصول عليها ، وليس هذا من سمات الشعر الجيد الذى تكون قوافيه متمكنه فى موضعها ، مفيدة لمعان جديدة لا يستغنى عنها ٠

وقد تناول الحاتمى هذه الأبيات بالنقد وحكم على قوافيها بأنها قلقة مجتذبة مجتلبة معلولة غير مقبولة ، وسبيل الشاعر أن يعنى بتهذيب القافية فانها مركز البيت حمدا كان ذلك الشعر أو ذما وتشبيبا كان أو نسيبا ، ووصفا كان أو تشبيها ، وأن يتأمل الغرض الذى يرميه فكره ، فينظر فى أى الأوزان يكون أحسن استمرارا ، ومع أى القوافى يكون أشد اطرادا ، فيكسوه أشرف معارضه ، ويبرزه فى أسلم عباراته، ويعتمد اقرار المعاني مقارها ، وايقاعها مواقعها ، وقد حكى عن الحطيئة أنه قال : نقحوا القوافى فانها حوافر الشعر(٩٤) ٠

والقافية فى نظر ابن وكيع يجب أن يتطلبها المعنى ويقتضيها السياق لا أن تكون مطلوبة لذاتها ولا فائدة منها سوى ختم البيت ، وهذا واضح فى تحليله لما سبق عرضه من نماذج ، ويتجلى فى نماذج أخرى نظر فيها الى القافية ٠

ففى قول المتنبى :

لولا الأمير مساور بن محمد ما جشمت خطرا ورد نصيح

يقول ابن وكيع : فقوله : ما جشمت خطرا » متعلق بما تقدم ، وقوله : ورد نصيح » من غير اعلام بما نصح فيه ضيق عطن ، وطلب للقافية ، وحشو ليس كحشو امرىء القيس حيث يقول :

---

(٩٤) الرسالة الموضحة : ٤٢ ٠

كأن عيون الوحش حــول خبائنا   وأرحلنا الجزع الــذى لم يثقب

فأفاد مع طلب القافية لفظا مليحا ، ومعنى صحيحا (٩٥) •

ومعنى البيت : لولا الممدوح ما كلفت الابل خطرا بقطعها المفاوز ولا رددت الناصح الذى ينهى عن ركوب المفاوز لهولها وبعدها (٩٦) •

ولا حاجة للمتنبى ــ فى نظرى ــ الى الاعلام بالنصيحة كما ذكر ابن وكيع ، فقد نصح بعدم ركوب المفاوز خوف الهلاك ، وهذا مفهوم من قوله فى البيت السابق لهذا البيت :

نازعته قلص الركاب ، وركبها   خوف الهلاك حداهم التسبيح

فهم من خوفهم من هول الطريق الموصل الى الممــدوح كانــوا يسبحون الله بدل الحداء طلبا للتبرك والنجاة •

وقوله « ورد نصيح » ليست من قبيل الحشو فهى تفيد معــنى جديدا زائدا على المعنى المفهوم من قوله : ما جشمت خطرا ، وفاعــل جشمت ضمير يعود على « قلص الركاب » فى البيت الذى أوردناه آنفا ، والذى رد الناصح هو المتنبى ومن معه من الركبان ، فــكل جملة من الجملتين تفيد معنى لا تفيده الأخرى وعلى هذا فلا حشو فى القافية •

وقد أطلق ابن وكيع مصطلح « الحشو » على قول امرىء القيس: الذى لم يثقب » وقال انه حشو مفيد لفظــا ومعــنى ، والبلاغيون لا يسمون هذا « حشوا » انما يسمونه « ايغالا » وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها (٩٧) •

---

(٩٥) المنصف : ٢٩٨ •
(٩٦) شرح العكبرى : ٢٤٩/١ •
(٩٧) بغية الايضاح : ١٣٧/٢ •

وقد ذكره ابن وكيع فى حديثه عن فنون البديع ومحاسن الشعر(٩٨) وبيناه فى حديثنا عن جهوده البلاغية فى الفصل الأول .

وفى قول المتنبى :

أما ترى ما أراه أيها الملك ... كأننا فى سماء مالها حبك

يقول ابن وكيع : ما لذكر الحبك ههنا فائدة غير اتمام القافية (٩٩) .

والبيت أول بيتين قالهما لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه عند المصباح وثانى البيتين قوله :

الفرقد ابنك ، والمصباح صاحبه ... وأنت بدر الدجى والمجلس الفلك

وفى البيت الأول شبه مجلس ابن عبد الوهاب لعلو قدره وشرفه بالسماء الا أنه غير ذى طرائق كطرائق السماء .

وفى البيت الثانى شبه ابنه بالفرقد ، وأخاه بالمصباح ، والممدوح ببدر الدجى ، ومجلسه بالفلك (١٠٠) .

وأرى أن قوله « مالها حبك » من الايغال الذى يفيد تحقيق التشبيه . ويتمم التشابه بين الطرفين ، كما فى قول امرىء القيس السابق ، وعلى هذا فلا حشو ولا طلب للقافية فى بيت المتنبى .

وقد رأينا فيما سقناه من أمثلة لنقد القافية أن ابن وكيع حكم على المتنبى بأنه لا يركب القوافى الصعبة ولا يلجأ اليها ، وأنه لما استعملها

---

(٩٨) ينظر المنصف : ٧٠ .

(٩٩) المنصف : ٢٥٩ .

(١٠٠) ينظر شرح العكبرى : ٢/٣٧٦ .

فى قصيدة قليلة الأبيات ركب كل تكلف وتعجرف ، وفى هذا غمز لـه بقلة المحصول اللغوى وعدم القدرة الا على السهل الميسور من القوافى.

وهذا الحكم حيف على شاعر فحل ملك زمام اللغـة وصرفها فى أغراضه الشعرية المتنوعة ، والمتتبع لديوانه يرى أنه نظم الشعر فى أوزان متعددة واستعمل فى قوافية أكثر حروف الهجاء ، ولا يلزم الشاعر أن يتناول كافة حروف الهجاء فى قوافيه ، فمنها ما لا يتسع لأفكاره ، ومنها ما لا يتلاءم مع أغراضه ، ومن ثم فان الشاعر يختار من الأوزان والقوافى ما يعبر عن خلجات نفسه ، ويبرز تجربته الشـعرية فى أبهى حللها ، ولا يقدح هذا فى شاعريته ، ولا يزحزحه عن فحولته .

الفصل الرابع

بين التأثر والتأثير

أولا : تأثره بالسابقين :

الناظر فى كتاب « المنصف » يحكم بأن ابن وكيع ذو ثقافة أدبية واسعة ، تظهر فى كثرة محفوظة من الشعر قديمه وحديثه ، وتتبعه للمعانى المشتركة لدى الشعراء على اختلاف عصورهم • ومقارنته بين صياغة هذه المعانى عند كل منهم ، كما تبدو فى استيعابه لما ألف فى الأدب بعامة ، وما كتب فى النقد والسرقات الأدبية بخاصة •

وقد تأثر ابن وكيع بما كتبه السابقون حول الشعر ونقده ، وفى مقدمة هؤلاء : الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن المعتز ، وابن طباطبا ، وقدامة ابن جعفر ، وابن دريد ، والصولى ، وغيرهم •

وقد أشرنا الى كثير من ذلك فى حديثنا عن نظريتــه فى السرقات ، وتناوله للفنون البديعية ، وفى مواضع أخرى من مسيرتنا مع كتــاب « المنصف » • ومن ثم فلا نرى ضرورة لتكراره فى هذا المقام •

ثانيا : بين ابن وكيع ومعاصريه :

عاصر ابن وكيع عددا من النقاد الذين خاضوا المعركة النقدية حول المتنبى ، ومنهم : النامى ، والحاتمى ، وابن عبــاد ، وابن جنى والقاضى الجرجانى ، وسنعرض ــ بايجاز ــ لمؤلفات هؤلاء النقاد حول المتنبى ليتضح لنا ما بينها وبين المنصف من اتفاق واختلاف •

النـــامى :

هو أبو العباس أحمد بن محمد الدرامى المصيصى، المعروف بالنامى ولد سنة ٢٠٩، وتوفى سنة ٣٧١ أو ٣٩٩هـ وكان شاعرا من فحول شعراء عصره ، وخواص شعراء سيف الدولة ، بل كان شاعره المقدم فلما وفد عليه المتنبى صار تلوه فى المنزلة والرتبة ، وقد تأثر النامى بهذا ، حتى انه عاتب سيف الدولة فى ذلك (١) . وكان النامى واسع الاطـلاع فى اللغة والأدب ، وله مع المتنبى وقائع ومعارضات (٢) .

وقد صنف النامى رسالة فى بيان عيوب شـــعر المتنبى وسرقاته ، أشار اليها ابن وكيع فى المنصف ، ونقل عنها فى مواضع مختلفة منه ، وفيما نقله نقد يتعلق بسرقات المتنبى ، وأخطائه فى الألفاظ والمعانى ، وركوبه التكلف والتعقيد ، وقد وافقه ابن وكيع على نقده فى بعـــض المواضع (٣) واعترض عليه فى بعضها ساخرا منه لعدم دقته فى النقـــد مع ادعائه أنه قرن المتنبى ونظيره (٤) .

ويشير أسلوب الرسالة فى بعض المواضع الى أن النامى كتبهـــا فى حياة أبى الطيب ، فقد أورد ابن وكيـــع تعليـــق النامى على بيت أبى الطيب :

أنى يكون أبا البريـــة آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

نقل : قال أبو العباس فى رسالته بعد ايراد هذا البيت يخاطب أبا الطيب :

---

(١) يتيمة الدهر : ٢٢٥/١ ، والصبح المنبى : ٨٠ .
(٢) ينظر وفيات الأعيان : ١٢٥/١ .
(٣) ينظر المنصف : ١٩٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٥٩٨ .
(٤) ينظر المنصف : ١٣٥ ، ٥٣٥ .

فأين ذهبت ، وفى أى ضلالة همت ، ومن أى قليب جهالة اغترفت؟ هذا النوع الذى أكثرت العجب به هو الذى أكثر التعجب منك •

وعلق ابن وكيع على هذا بقوله : فلـــم يزد على سب أبى الطيب سبا من غير ايضاح العيب من قوله ••• (٥) •

ففى هذا النص يخاطب النامى أبا الطيب ، ويوجه الكلام اليـــه، فاذا كانت هذه المخاطبة ليست نوعا من الالتفات ، فان هذا يعد دليلا على أن رسالته تعد أقـــدم ما كتب فى الكشـــف عن أخطـــاء المتنبى وسرقاته (٦) • وعلى فرض أن المخاطبة نوع من الالتفات فهذا لا يمنع من أن تكون أقدم رسالة فى نقد شعر المتنبى ، بدليل قدم اللقـــاء بين النامى وأبى الطيب فى بلاط سيف الدولة ، ومشاركته فى الحملة التى قادها خصوم المتنبى فى مجلس سيف الدولة ، حيث احتل المتنبى منزلته بعد أن نحاه عنها ، ووقوع معارضات بينهم فى الشعر ، وهذه أســـباب قوية تدفع النامى الى المسارعة بعمل رسالته فى هذه الآونـــة ونشرها لتكون زادا لخصوم المتنبى فى معركتهم معه وتساهم فى اسقاطه عن العرش الذى سلبه من النامى •

ويتبين من النص الذى سقناه آنفا افراط النامى فى السخرية من أبى الطيب والاستهزاء به وسبه وشتمه مع عدم التعليل لأحكامه النقدية حتى أخذ عليه ابن وكيع ذلك • مما يدل على شدة عداوته له ، وحقده عليه ، وان كان فى قرارة نفسه يعترف بتقدم المتنبى فى الشعر ، وسبقه الى المعانى العجيبة التى كان يتمنى أن يكون سابقا اليها (٧) •

---

(٥) المنصف : ٢٤١ •

(٦) تاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٧١ •

(٧) الصبح المنبى : ٨١ •

وتتبع ابن وكيع للنامى ورسالته ، ونقله عنها موافقا أو معترضا، يدل على تأثره به وان خالفه فى بعض أرائه أحيانا .

الحـاتمى :

ومن أشد خصوم المتنبى وأبرزهم : أبو على محمد بن الحسن الحاتمى : ت ٣٨٨هـ الكاتب الشاعر الناقد الذى شهد له مؤرخو الأدب بغزارة العلم ، وكثرة الاطلاع ، وترك مصنفات جليلة منها : حلية المحاضرة ، والحالى والعاطل ، وسر الصناعة ، وغيرها .

وقد ألف فى نقد شعر المتنبى رسالتين : الموضحة ، والحاتمية . والموضحة هى أولى الرسالتين وأهمها ، وذكر محققها د.محمد يوسف نجم : أنها أول رسالة وافية صنفت فى نقد شعر المتنبى ، وتعتبر أصلا لجميع الدراسات النقدية التى تلتها ، والتى ألفها أصحابها فى نقد شعر المتنبى (٨) .

ولا نؤيد هذا الرأى ، فقد قدمنا فى حديثنا عن « النامى » ما يدل على أن رسالته يمكن أن تكون أقدم رسالة ألفت فى بيان عيوب شعر المتنبى وسرقاته ويؤيد هذا أن لقاء الحاتمى الثابت بأبى الطيب جاء متأخرا الى ما بعد قدومه من مصر الى الكوفة ثم نزوله ببغداد سنة ٣٥٢ هـ وفيها التقى الحاتمى بأبى الطيب فى مجلس الوزير المهلبى ، وجرت بينهما المشاجرات النقدية التى هى أصل هذه الرسالة كما سنرى بعد ذلك ، بينما لقاء النامى بالمتنبى قديم وحدث منذ وصول المتنبى الى بلاط سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ حيث كان النامى شاعر سيف الدولة الأول قبل قدوم المتنبى .

---

(٨) الرسالة الموضحة . المقدمة

ويدل كلام الحاتمى فى مقدمة رسالته على أن أصل هذه الرسالة ما دار فى المشاجرة التى وقعت بينه وبين أبى الطيب فى مجلس الوزير أبى محمد الحسن بن محمد المهلبى : ت ٣٥٢ هـ ، اثر وصوله الى بغداد بعد رحيله عن مصر ، وأن المهلبى هو الذى أغراه بالهجوم على أبى الطيب وتتبع عواره ، فانه — نضر الله وجهه — لما تثاقل أبو الطيب عن خدمته ... سامه هتك حريمه ، وتمزيق أديمه ، ووكله بتتبع عواره، وتصفح أشعاره ، واحواجه الى مفارقه العراق واضطراره ... (٩) .

وكتب الحاتمى رسالته « الموضحة » بعد وفاة المتنبى بناء على رغبة الوزير أبى الفرج محمد بن العباس الشيرازى : ت ٣٧٠ هـ ، وقدمها اليه ، وقد بين أنه لم يقتصر فيها على ما دار بينه وبين أبى الطيب فى مجلس المهلبى ، بل أردف هذا بذكر منازعات نازعها أبا الطيب ، تتعلق بشعره ، فى عدة مجالس ضمته واياه من بعد مجلس المهلبى المشهور ، وأضاف الى ذلك مواضع طالعها من اجتلاباته وسرقاته ، وسقطات أسقطها فى شعره لم تجر فيها مراجعة ولا منازعة بينهما ، لتكون أمتع لقاريها ، وأجمع لشمل ما توخاه فيها (١٠) .

ويضيف محقق الرسالة الى أسباب تأليفها سببا آخر هو أن الحاتمى كان فى بلاط سيف الدولة وقت أن كان المتنبى منعما فيه ، وعرفه هناك ، ولابد أن يكون قد ناله بعض أذاه ، مما أحنقه عليه ، وجعله يهتبل فرصة لقائه به فى بغداد ، ويصب عليه جام غضبه ، وساعده على ذلك : نقمة معز الدولة ووزيره المهلبى على الشاعر الذى ترفع عن مدحهما . والجو العام الذى كان منعطفا اليهما (١١) .

---

(٩) السابق : ٢ ، ٣ .

(١٠) السابق : ٣ ، ٤ .

(١١) مقدمة الموضحة : ك .

وبدأ الحاتمى رسالته بتمهيد ناطق بتحامله الشـديد على المتنبى يقول فى مطلعـه : لما ورد المتنبى مدينة السـلام منصرفا عن مصر ، ومتعرضا للوزير أبى محمد المهلبى للتخييم عليه والمقام لديه : التحف رداء الكبر ، وأذال ذيول التيـه ، وصعر للعراقيين خـده ، وارهف للخصام حده ... يخيل عجبٌ اليـه أن الأدب مقصور عليـه ، وأن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره .. وساء معز الدولة أن يرد حضرته وهى دار الخلافة . رجل صدر عن حضرة سيف الدولة ، وكان عـدوا مباينا ، فلا يلقى أحد بمملكته يستطيع مساجلته ... نهـدت له متتبعا عواره ، ومقلما أظفاره ، ومذيعا أسراره ، وناشرا مطاويه(١٢) .

وذكر بعد ذلك أنه أخذ يتحين الفرص ليجتمعا فى دار ، ليجـريا فى مضمار ، يعرف به السابق من المسبوق ... وشرع فى الفخر بنفسه، وأطال فى ذلك ، ثم بدأ فى ذكر وقائع المجلس المشـهور . ويبين أنه انحدر فيه انحدار السيل الى قرارة الوادى يعنف المتنبى ، ويوبخه، ويسخر منه ، ويهزأ به(١٣) .

وبعد أن شفى غليله بالسخرية منه ، أخذ يعرض عليه أبياتا من شعره ، يخبره بمكان الضعف فيها ، وما حوته من غث الألفاظ وقبيح المعانى ، ويستخرج له هجين كلامه ، ومسـتكره تراكيبه ، وسـيىء عباراته ، ومستهجن استعارته ، وردىء تشبيهاته ، ويدله على ما ركبه من التعسف والتكلف والتعقيد ، وكشف له ما وقع فيه من المبـالغة والاحالة والافراط ، وغير ذلك من العيوب .

وفى ثنايا كلامه يذكر بعض ردود مقتضبة للمتنبى على المآخذ ، ولا يطيل فى ذلك مما أظهر المتنبى فى صورة المهزوم المخذول .

---

(١٢) الموضحة : ٦ ، ٧ .

(١٣) السابق : ٧ ، ١٠ .

ويمضى الحاتمى على هذه الوتيرة فى المجـالس التى ذكرها الى آخر رسالته •

وأول بيت عرض له الحاتمى قول المتنبى :

خف الله واسـتر ذا الجمـال ببرقع
فان لحت حاضت فى الخدور العـواتق

قال الحاتمى : أهـكذا ينسب بالمحبين ؟ فقال المتنبى : هـذا فى قوله تعالى : «فلما رأينه أكبرنه» (١٤) أى حضن شهوة له واستحسانا لصورته ، قال الحاتمى : لم يقل هذا أحـد من محصلى أهل العـلم ولا شهد به ثقة ، وانما روى بيت شاذ لم ينسب الى أحد :

نأتى النساء على أطهارهن ولا   نأتى النساء اذا أكبرن اكبارا (١٥)

والبيت مروى فى معظم الدواوين بلفظ «ذابت» لا «حاضت»(١٦)، ورواه ابن وكيع بلفظ « ذابت » ممـا يدل على صحة هـذه الرواية لشهرتها وضعف رواية الحاتمى، والبيت على رواية ابن وكيع والدواوين، لا محل فيه لنقد الحاتمى ، وقد رد ابن وكيع على أبى العباس النامى لأنه جعل هذا البيت من غث كلامـه ، وبين أن الجمال مما يمـدح به الملوك ، فمعناه صحيح ولفظه فصيح(١٧) •

---

(١٤) سورة يوسف آية : ٣١ • وتفسير أكبرنه بمعنى حضن مروى عن ابن عباس وقد ضعف المفسرون هذه الرواية وأنكر أبو عبيدة وغيره هذا التفسير • ينظر الألوسى : ١٢/٦ /٢٣١ •

(١٥) الموضحة : ١٣ •

(١٦) ينظر شرح العكبرى : ٣٤٩/٢ ، وشرح البرقوقى : ٨٩/٣ •

(١٧) المنصف : ٣٢٦ •

وقارىء الرسالة يتضح له تحامل الحاتمى فيها على أبى الطيب ، وقد أظهر نفسه فى كل موقف فيها بمظهر المنتصر(١٨) .

والرسالة توضح موقف الحاتمي من قضايا النقد الأدبى ، وتدل على وفرة اطلاعه ، ولكنها موسومة بالانفعال فى أكثر مراحلها،ودواعى التحامل فيها مفضوحة(١٩) .

ويبدو أن الحاتمى أحس بحيفه على المتنبى فوعد فى آخر رسالته بأن يصنف كتابا ينصف فيه أبا الطيب ، ويبين فيه ما له وما عليـه . فقال : وأنا أشفع هذه الرسالة بما تتبعته من عواره ، ووقفت عليـه من سرقه ... وأذكر أيضا من محاسن شعره ومن عيون مدائحه ... ما أجرى فى جميعه مع الحق الذى لا يسع تعديه ، منصفا ومنتصـفا منه،لا ألته حقه ، ولا أنحله ما ليس له،وأفرد بذلك كتابا وأستقصيه ، وأنتهى الى الغاية التى تبلغها القدرة فيه(٢٠) .

ولعل رسالته الثانية الموسومة بالحاتمية أو جبهة الأدب أثر من آثار احساسه بأنه حاف على المتنبى وجار عليه يدل على ذلك ما جاء فى ختام الرســالة الأولى من نشرة « دار المعارف » : ومن فضـيلته وصفاء ذهنه وجودة حذقه ما حدانى الى عمل الحاتمية الثانية وتأكد بينى وبينه صحبة وثيقة ، فصرت أتردد اليه أحيانا(٢١) .

والرسالة الحاتمية الثانية خاصة باســتخراج الحكم والمعـانى الفلسفية التى اقتبسها المتنبى من أرسطو ، وقد ذكر فيها الحاتمى مائة

---

(١٨) ينظر النقد المنهجى : ١٩٩ .
(١٩) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ٢٧٠ .
(٢٠) الموضحة : ١٩٦٠ .
(٢١) الرسالة الحاتمية . ضمن كتاب الابانة : ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

معنى من المعانى التى وردت فى شعر أبى الطيب ، وجاءت فى حكم أرسطو ، ونبرته فيها تختلف عن نبرته فى الرسالة الأولى ، حيث يبدو هادئا فى كلامه ، غير متحامل فى أحكامه ومقدمتها تنطق بزوال ما كان من جفوة بينه وبين المتنبى ، فقد جاء فيها : ووجدنا أبا الطيب أحمد ابن الحسين المتنبى قد أتى فى شعره بأغراض فلسفية،ومعان منطقية، فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق فى درس العلوم، وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والألفاظ العربية ، وهو على الحالتين على غاية من الفضل، وسبيل نهاية من النبل ، وقد أوردت من ذلك ما يستدل به على غضله فى نفسه ، وفضل علمه وأدبه ، واغراقه فى طلب الحكمة مما أتى فى شعره موافقا تقول أرسطا ليس فى حكمته(٢٢) •

ومشكلة أخذ المتنبى عن أرسطو مشكلة شاقة تختلف فيها وجهات نظر الباحثين ما بين مثبت للأخذ ، وناف له ، ومتوسط بين الرأيين ، والرأى الغالب عند النقاد هو أن أبا الطيب لم يكن فيلسوفا ، وأنه لم يأخذ حكمته عن أحد ، وانما أملتها عليه الحياة(٢٣) •

والناظر فى الموضحة الحاتمى والمنصف لابن وكيع لا يرى شبها بينهما لما يلى :

١ ـ يقوم منهج الحاتمى على انتقاء أبيات معينة يلتقطها من ديوان المتنبى من هنا ومن هناك دون ارتباط بترتيب معين ، وابن وكيع يقوم منهجه على تتبع شعر المتنبى من أوله الى آخره مبتدأ بأول شعر قاله ، ومتدرجا معه حتى نهاية شعره •

---

(٢٢) النقد المنهجى عند العرب : ٢٠٠ •

(٢٣) السابق : ٢٠٠ وما بعدها •

٢ — الأبيات التى اشترك الناقدان فى تناولها ، هى فى الغالب أبيات مشهورة كانت تدور على ألسنة النقاد فى المجالس والمناظرات ، وكلام كل منهما عن هذه الأبيات يختلف عن كلام الآخر والمثال الذى سقناه آنفا شاهد على ذلك ، ونحيل القارىء الى شواهد أخرى فى الكتابين يرى من خلالها اختلاف وجهة كل من الناقدين فى تناولها(٢٤).

٣ — توسع ابن وكيع فى الاستشهاد بشعر المحدثين من مشهورين ومغمورين ، وهذا ما لا نجده عند الحاتمى .

٤ — بالغ الحاتمى فى شتم المتنبى والسخرية منه وتحقيره ، ولم يبالغ ابن وكيع فى هذه الناحية التى لا تتصل بالنقد ، ومن أشد ما قاله تعييره بالسرقة والضعف فى اللغة .

٥ — لم يشر ابن وكيع الى رسالة الحاتمى ولا الى أى مصنف آخر من مصنفاته على الرغم من اشارته الى رسائل ومؤلفات لغيره .

٦ — رسالة الحاتمى تعتمد على المناظرة والمواجهة وليس لها خطة معينة ، فهى عبارة عن خواطر متفرقة حول شعر المتنبى . بينما كتاب المنصف يقوم على خطة محكمة مبنية على أسس مفصلة فى أول الكتاب .

وبناء على هذه الأسباب نرى أن تأثر أحد الناقدين بالآخر غير ظاهر ، والحكم بالتأثر بينهما غير دقيق .

ويرى الدكتور احسان عباس أن صورة الحاتمى واضحة فى المنصف ، ويتعجب لم لم يصرح ابن وكيع بذكر الحاتمى ؟ ويقول : فقد ضلله الحاتمى بمفهوم الاستعارة عند أرسطو حين جعلها تعنى

(٢٤) ينظر الموضحة : ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، وينظر المنصف ٣٢٣ ٣٤١ ، ٣٢٨ ، ١٩٧ ، ٣٤٥ .

الأخذ لا الفن التصويرى ، كما أن كثيرا من تعريفاته للفنون البديعية منقــول عنه وكشــفه عن المعــانى المسروقة فى شــعر أبى الطيب يلتقى فيه فى كثير من الأمثلة مع الحاتمى ، بل ان تقسيماته لضروب السرقة ينظر الى ما صنعه الحاتمى(٢٥) •

وأدلة الدكتور احسان عباس غير صحيحة ، فقوله : قد ضــلله الحاتمى بمفهوم الاستعارة عند أرسطو •• قول غامض ، وابن وكيع لم يعرض لمفهوم الاستعارة فى كتابه لا فى مقدمته عن البديع ولا فى نقده لشعر المتنبى ، ولم يرد ذكر أرسطو فى المنصف أصلا •

وقوله : ان كثيرا من تعريفاته للفنون البديعية منقول عن الحاتمى ، غير صحيح لأن معظم الفنون التى ذكرها ابن وكيع وردت فى البــديع لابن المعتز ونقد الشعر لقدامة وكذا الأمثلة التى ذكرها لهذه الفنون ، وقد أشار ابن وكيع الى نقله عن قدامة(٢٦) فى أكثر من موضــع ، وبعض هذه الفنون ورد عند الجاحظ وقد بين ابن وكيع هــذا(٢٧) ، وسبق ابن المعتز وقدامة للحاتمى ، وشهرتهما فى ميدان البديع لامراء فيهما ، فليس من الصواب أن يقال انه تأثر بالحاتمى ، وهو لم يصرح بذلك ، ويترك ما صرح به ، وهو الأصل فى ميدان البديع ، ولا مراء فى أن الحاتمى تأثر فى « الحلية » بما جاء فى بديــع ابن المعتز ونقــد قدامة ، وقوله : انه يلتقى فى كشف المعانى المسروقة فى كثير من الأمثلة مع الحاتمى قول مبالغ فيه فالأبيات التى يلتقيان فيها قليلة بالنســبة لما استخرجه ابن وكيع وأكثرها مشهور متداول على ألسنة النقاد ،

---

(٢٥) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ٢٩٨ وما بعدها •

(٢٦) ينظر المنصف : ٥٥ ، ٦٧ •

(٢٧) ينظر المنصف : ١٩٠ •

وكلام كل منهما يختلف عن الآخـر فى هذه الأبيات ، بل يختلفـان فى مصدر السرقة فى أكثر هذه الأبيات وعلى سبيل المثال فى قول المتنبى :

فتى كالسـحاب الجون يخشى ويرتجى
يرجى الحيا منها وتخشى الصـواعق

يقول الحاتمى : هو من قول بشار :

يرجو ويخشى حالتيك الورى   كأنك الجنـة والنار (٢٨)

ولم يزد على هذا فى تعليقه •

ويقول ابن وكيع : لو كان قال :

فتى كالسحاب الجون يرجى ويتقى   يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق

كان قد وفى • وقال أبو تمام :

سماحا وبأسا بالصواعق والحيا   اذا اجتمعا فى العارض المتراكم

ومثله لابن الرومى •• وقال الديك •• ولأبى مسـهر الرملى •• ومبانى هذه الأبيات ومعانيها متساويات ، فالسابق أولى بها (٢٩) •

فجعل الحاتمى البيت مأخوذا من قول بشار ، ولم يزد على ذلك ، ولكن ابن وكيع أعاد صياغة البيت على حسب ما يراه مؤديا للمعنى ، وبين أن معناه عند أبى تمام ، وابن الرومى ، وديك الجن ، وأبى مسهر الرملى • فالخلاف بين التناولين واضح ، والأمثلة على ذلك كثـيرة لا داعى لذكرها خشية التطويل •

---

(٢٨) الموضحة : ١٦ •
(٢٩) المنصف : ٣٢٣ •

وقوله : ان تقسيماته لضروب السرقة ينظر الى ما صنعه الحاتمى ، غير دقيق ، فأقسام ابن وكيع معروفة وقد ذكرناها وحللناها وأقسام الحاتمى عرضنا لها فى تعقيبنا على نظرية السرقات عند ابن وكيع والخلاف بين القسمين واضح وضوح الشمس وابن وكيع لا يلتقى فى أقسامه مع الحاتمى(٣٠) ٠

وبعد هذا نقول لا محل لتعجب الدكتور احسان عباس من عدم تصريح ابن وكيع بذكر الحاتمى ، لأنه لم يتأثر به ، وربما ألف كتابه قبل أن يؤلف الحاتمى كتابه أو كان تأليفهما فى مدة زمنية واحدة ٠

الصاحب بن عباد :

وهو اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ت ٣٨٥هـ لقب بالصاحب لصحبته ابن العميد ، وهو من كبار الكتاب فى عصره ، وله مؤلفات كثيرة منها : المحيط باللغة ، وديوان رسائله ، وكتاب الأعياد ، وكتاب العروض والقوافى وغيرها ٠

ونشأت بينه وبين المتنبى خصومة سببها انه كان يطمح الى أن يزوره المتنبى فى أصفهان عندما توجه الى فارس لمدح عضد الدولة ووزيره ابن العميد ، ولكن المتنبى أعرض عنه ، لم يعرج عليه فصيره الصاحب غرضا يرشقه بسهام التوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته فى شعره وهفواته ، وينعى عليه سيآته(٣١) ٠

ولعل هذا ما دفعه الى تأليف رسالته المسماة : الكشف عن مساوىء المتنبى ، وهى رسالة قائمة على ذم أبى الطيب والسخرية

---

(٣٠) يراجع الفصل الأول ٠

(٣١) الصبح المنبى : ١٤٥ ، ١٤٦ ٠ وينظر يتيمة الدهر : ١٢٢/١

منه ، والاستهزاء به ، فى ثنايا أبيات عرض لنقدها ، وعدها من سقطاته .

ويرى « بلاشير » أن الصاحب ألف رسالته فى حوالى سنة ٣٦٤هـ وحول هذا التاريخ بدون شك عنى الحاتمى بنقد ديوان أبى الطيب(٣٢).

وفى رأينا أن نقد الحاتمى لديوان أبى الطيب واهتمامه به متقدم عن هذا التاريخ لوجود أسباب الخصومة بينهما قبل وجودها بين أبى الطيب والصاحب ، وهذا مبين فى حديثنا عن الحاتمى .

ويرى د. محمد مصطفى هدارة أن أول المهاجمين للمتنبى هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد الذى ألف رسالة موضوعها الكشف عن مساوىء شعر المتنبى(٣٣) .

ولا يوجد دليل على أوليته ، وخصومة الحاتمى للمتنبى سابقة على خصومته مع الصاحب بن عباد ، وخصومة النامى سابقة على خصومتيهما .

وبدأ الصاحب رسالته بذم الهوى والعصبية ، ثم أشار الى سبب تأليفها فقال : ان بعض المهتمين بالأدب والأشعار وقائليها سأله عن المتنبى فقال له : انه بعيد المرمى ، وشعره كثير الاصابة فى نظمه ، الا أنه ربما أتى بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء ، فرأيته قد هاج وحمى وتأجج، وادعى أن شعره مستمر النظام متناسب الأقسام، ولم يرض حتى تحدانى فقال : ان كان الأمر كما زعمت ، فأثبت فى

---

(٣٢) ديوان المتنبي في العالم العربي : ٦

(٣٣) مشكلة السرقات : ٦٩ .

ورقة ما تذكره ، وقيد بالخط ما تذكره ، لتتصفحه العيون ، وتسكبه العقول ، ففعلت ذلك(٣٤) .

ويعتذر ابن عباد عن أقدامه على هذا العمل فتطلب العثرات ليس من شيمته ، وتتبع الزلات ليس من طريقته ، وأنه ما أورد من كثير من زل فيه الا قليلا ، وقد فعل ذلك ردا على الأغمار الذين يتعصبون له دون علم بالشعر ... واذا تكلموا رأيت بهائم مرسنة، وأنعاما مجفلة(٣٥).

ويتحدث عن منهجه فى رسالته ، بأنه سيخرج بعض الأبيات التى يستوى فى معرفة سقوطها جميع الناس ، دون ما يخفى أمره ويغمض نقده ، وأنه لا يذمه بالسرقة لاتفاق الشعراء عليها ، ولكن يذمه لأنه كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحترى وغيره ويدعى عدم معرفتهم(٣٦) .

ويأخذ ابن عباد فى ذكر بعض الأبيات التى يراها ساقطة وهى أبيات كانت تدور على ألسنة خصومه وتتردد فى كتبهم ورسائلهم ومجالسهم ، ومن ثم فاستخراجه لها وحكمه عليها ليس من جديده ولا من اكتشافه ، انما هو تابع فيها لغيره من النقاد كالحاتمى ، وأبى العباس النامى وغيرهما ، ولعل الذى اختص به وبرز فيه اغراقه فى الذم والسخرية وأكثره من اللوم والتعنيف حتى بدت الرسالة كأنها رسالة هجاء لا نقد .

ومن عباراته فى السخرية منه قوله : ولقد وردت على مرثية له

(٣٤،٣٥) رسالة الكشف ضمن كتاب الابانة : ٢٤٢ .

(٣٦) السابق : ٢٥٠ .

فى أم سيف الدولة ، تدل على فساد الحس ، وسوء أدب النفس فما ظنك بمن يخاطب ملكا فى رزية أمه بقوله :

رواق العز حولك مسبطر ... وملك على ابنك فى كمال

ولعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق ، الدقيق ، المغير(٣٧) .

فسخر الصاحب من المتنبى سخرية لاذعة ، وأخذ عليه استعمال لفظة « مسبطر » بمعنى ممتد ، مع ورودها فى الشعر ، وعدم انكار كثير من النقاد لها ، قال ابن فورجة : ولا خذلان فيما صح واستعمل كثيرا ، ومثله قول عمرو بن معدى كرب :

ــ جداول زرع خليت واسبطرت ــ

وشكك بعض الأدباء فى رواية البيت بهذه اللفظة ، قال العروضى : سمعت أبا بكر الشعرانى خادم المتنبى يقول : قدم علينا المتنبى ، وقرأنا عليه شعره ، فأنكر هذه اللفظة ، وقال : مستظل، قال العروضى : وانما غيره الصاحب ، وعابه عليه(٣٨) .

ومما ذكره العروضى هنا شبيه بما ذكره فى قول المتنبى :

انى على شغفى بما فى خمرها ... لأعف عما فى سراويلاتها

حيث قال : هذا مما غير عليه الصاحب وكان المتنبى قد قال : لأعف عما فى سرابيلاتها جمع سربال وهو القميص(٣٩) ، ولئن صح ما نقله العروضى ، كان ما فعله الصاحب خارجا عن نطاق الأمانة العلمية ، ارضاء لهوى نفسى ومطلب شخصى .

---

(٣٧) السابق : ٢٥٣ .
(٣٨) شرح العكبرى : ١٣/٣ .
(٣٩) شرح الواحدى : ٢٧٨/١ .

ويمضى الصاحب فى رسالته على هذا المنوال من التهكمات اللاذعة، والتعليقات السخيفة .

ويأخذ على المتنبى بعض الألفــاظ التى لا تلائم المقــام ، وبعض الكلمات النافرة والشاذة ، ويعيب بعض تشبيهاته واستعاراته،ويذمه بالتفاصح والتكلف والتعسف واللجوء الى التعقيد واغماض المعانى ، ويعد عليه خطأه العروضى فى قوله :

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

حيث جاء بالعروض على « مفاعيلن » فى غير المصرع وصحتها أن تكون على « مفــاعلن » ويبين أن هذه ســقطة عظيمة لا يجــد لها مســاغا(٤٠) .

ثم ينهى رسالته بقوله:هذه مقدمة علقتها ليستدل بها على ما بعدها، ولو أتيت بنظائرها مما أخرجت من شعره لأضجرت القارىء ، وأمللت السامع ، فان دام هؤلاء الأغمار على النقار ، لم يعدموا المادة ، ولم يفقــدوا الزيادة .

فمن شــــاء فليؤمن ومن شــاء فليلم
وللصدق أولى من وفاق البهــائم(٤١)

فختم رسالته بوصف الأغمار بالبهيمية ، كما بدأها بذلك ، وهذا يدل على كبره الواضح وعلى أن حظه من الانصاف أقل ممــا يدعى لســانه(٤٢) .

---

(٤٠) الكشف : ٢٦٥ .
(٤١) الكشف : ٢٧٠ .
(٤٢) النقد المنهجى : ٢٢٠ .

وكما ذكرنا آنفا فرسالة الصاحب لا تدلنا على شيء من عيوب المتنبى غير ما كان يدور على الألسنة ، ويتداول فى مجالس خصومه ، وجميع ما ذكره من عيوب لا تسقط شاعرا(٤٣) ، وهى رسالة تغلب عليها السخرية ويقل فيها التعليل ، وتكاد تنعدم المناقشة(٤٤) .

ويبدو أن الصاحب فى رسالته لم يكن يصدر عن رأيه الحقيقى فى المتنبى ومن ثم وضع رسالة أخرى ضمنها زهاء ثلاثمائة وسبعين بيتا تعد من الأمثال السائرة والحكم الرائعة ، وقال فيها : وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته ، وتبريزه فى صناعته ، له فى الأمثال خصوصا مذهب يسبق به أمثاله(٤٥) . وكان الصاحب أكثر الناس استعمالا لكلماته فى محاضراته ومكاتباته ، وأغار على بعض معانيه واستعملها فى شعره(٤٦) ونثره وقد ذكر الثعالبى نماذج كثيرة لذلك(٤٧) .

ومن عرضنا لرسالة الصاحب ومقارنتها بما قدمنا فى هذا الكتاب من فصول حللنا فيها كتاب المنصف ، نرى أنه لا صلة بين المنصف وبين رسالة الصاحب لا فى المنهج ولا فى الأمثلة ولا فى الحجم ولا فى الاسفاف فى السب والتجريح وهو ما شاع فى الرسالة .

وبعض الأمثلة المتشابهة هى من قبيل ما كان مشهورا دائرا على ألسنة النقاد فى المجالس كما سبق أن قدمنا .

وبناء على هذا نحكم بعدم صحة ما ذكره بلاشير فى قوله عن

---

(٤٣) تاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٧٥ .
(٤٤) النقد المنهجى : ٢٢١ .
(٤٥) السابق : ٢٢٥ .
(٤٦) الصبح المنبى : ٢٧٠ ، ٢٧٧ .
(٤٧) يتيمة الدهر : ١/١٢٢ وما بعدها .

المنصف : وهذا الكتاب خال من الجدة خلو اسمه من الصحة ، ويشبه في كل شيء مصنف ابن عباد(٤٨) •

فهذا حكم قائم على غير أساس ، ويبدو أن قائله لم يقرأ كتاب المنصف قراءة جيدة ، وما قدمناه من تحليل للمنصف يرد هذا الحكم ويبطله •

ابن جنى :

وهو أبو الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢هـ تلميذ المتنبى وروابته وأحد المقربين لديه ، والمخلصين له(٤٩) • وكان له هوى كبير فى أبى الطيب كثير الاعجاب بشعره ، لا يبالى بأحد يذمه أو يحط منه(٥٠) ، ولما مات رثاه بقصيدة مطلعها :

غاض القريض وأذوت نضرة الأدب
وصوحت بعد رى دوحة الكتب(٥١)

وصنف حول شعره ثلاثة كتب هى : «تفسير ديوان المتنبى الكبير» فى أكثر من ألف ورقة ، « وتفسير معانى ديوان المتنبى » فى مائة وخمسين ورقة،والنقض على ابن وكيع فى شعر المتنبى وتخطئته(٥٢)•

ولم يبق لنا الزمن من هذه المؤلفات سوى تفسير ديوانه(٥٣) • ويعتبر شرحه لديوان المتنبى أول شروح هذا الديوان فله بذلك فضل

---

(٤٨) ديوان المتنبى فى العالم العربى : ٣١ •
(٤٩) المتنبى بين ناقديه : ٣٧ •
(٥٠) الصبح المنبى : ١٦١ •
(٥١) معجم الادباء : ١٢/٨٦ ـ ٨٨ •
(٥٢) معجم الادباء : ١٢/١١٠ •
(٥٣) المتنبى بين ناقديه : ٣٨ •

السبق(٥٤) • وقد قرأ ابن جنى شعر المتنبى عليه ، وناقشه فيما غمض من معانيه ، وخفى من ألفاظه ، ونقل عنه فى شرحه لديوانه كثيرا مما سمعه منه من تفسير وشرح ، وقال فى مقدمته : وجميع ما فيه من تفسير معنى ، وشرح غريب ، واختلاف لغة من املائه عند قراءته عليه(٥٥) •

وكان المتنبى يعتز بابن جنى ويقدره ، وقال فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس وسئل وهو بشيراز عن معنى قوله :

وكان ابنا عدو كاثراه   له ياءى حروف أنيسيان

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضرا لفسره(٥٦) •

وتفسير البيت : أن لفظة « انسان » خمسة أحرف اذا كانت مكبرة فاذا صغرت قيل : أنيسيان ، فزاد عدد حروفها ، وصغر معناها، فيقول للممدوح : ان عدوك الذى له ابنان يكاثرك بهما ، كانا زائدين فى عدده ، ناقصين من فضله وفخره ، لأنهما ساقطان خسيسان ، كيائى أنيسيان ، تزيدان فى عدده ، وتنقصان من معناه(٥٧) •

وترتب على ما ذكرناه أن أصبح شرح ابن جنى لشعر المتنبى أساسا لكثير من الشروح والدراسات التى ظهرت حول المتنبى من بعده(٥٨) •

والناظر فى شرح ابن جنى لديوان المتنبى ، يصعب عليه أن يصف

---

(٥٤) شرح البرقوقى : ٨١/١ •
(٥٥) شرح ديوان المتنبى (الفسر) : المقدمة •
(٥٦) معجم الادباء : ٨٩/١٢ •
(٥٧) معجم الادباء : ١٠٢/١٢ •
(٥٨) ديوان المتنبى فى العالم العربى : ١٨ •

عليه أن يصف صاحبه بالتعصب للمتنبى كما يروج خصومه ، فالرجل وان كان يعمل على التماس العلل لتخريج كثير من أخطاء المتنبى على وجه صحيح ، الا أنه لا يخفى عيوبه ، ولا يتستر عليها ، بل يتعقبها، ويظهر رأيه فيها بوضوح ، ويلوم المتنبى من أجلها ، ولا يسلم له بكثير من ردوده عندما يسأله أو يناقشه .

ففى شرحه لقــول المتنبى :

وأنت الذى ربيت ذا الملك مرضعا ... وليس له أم سواك ولا أب

يقول : الوجه أن يقال : وأنت الذى ربى ذا الملك ، ليعود ضمير « الذى » اليه على لفظ الغيبة ، لأن الذى انما وقع فى الكلام توصلا الى وصف المعارف بالجمل ، فكأنه قال : أنت الذى ربى ، أو الانسان الذى ربى ، ولكن جاز ربيت لما تقدم «أنت» فحمله على المعنى وهو ضعيف مع ذلك ، ولولا أننا سمعناه من الثقة لرددناه ولم نقبله،على أن مثله فى الشعر كثير ... وكلمت المتنبي غير مرة فى هذا ، فاعتصم بأنه اذا أعاد الذكر على لفظ الخطاب ، كان أبلغ وأمدح من أن يرده على لفظ الغيبة ، لأنه لو قال : وأنت الذى ربى ذا الملك ، لعاد الضمير من « ربى » على لفظ الغيبة ، واذا قال : ربيت ، فقد خاطبه ، فكان أبين ، ولعمرى انه لكما قال ، ولكن الحمل على المعنى عندنا لا يسوغ فى كل موضع ، ولا يحسن ، والوجه ما ذكرته لك وله ، وفى شعره مواضع كثيرة مثل هذا ، والى ما حكيت عنه من أنه أمدح كان يذهب ، وتسليمه أن المخاطبة أمدح سهو منه ، وذلك أنه أبين لعمرى ، وليس بأمدح ، لأن خطاب الغيبة هو خطاب الســلاطين ، وهو أجل(٥٩) .

فهذا المثل الذى سقناه يوضح طريقة ابن جنى فى شرح شعر

---

(٥٩) شرح ابن جنى (الفسر) : ٣٤/٢ ـ ٣٨ .

المتنبى ، وقد رأيناه ينقد البيت ، ويقـول رأيه فيه دون محـاباة ، ويناقش المتنبى فيه ، ولا يسلم برأيه ، بل ظل متمسكا بما رآه مؤديا للمعنى على أحسن وجه .

وفى شرحه لقـول المتنبى :

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه　　　يصيره الضرغام فيما تصيدا

يقول : قلت له وقت القراءة : لم جعلت « من » شرطا صريحا ، وهلا جعلتها بمنزلة الذى وضمنت الصلة معنى الشرط ، حتى لا ترتكب الضرورة ــ بعدم جزم جواب الشرط ــ فقال : هذا يرجع الى معنى الشرط والجزاء،وأنا جئت بلفظ الشرط صريحا لأنه أبلغ وأوكد وأردت الفاء فى « يصيره » وحذفتها ، والذى قال جائز ، والوجه ما سـمته اياه(٦٠) .

فابن جنى لم يجامله ولم يخف رأيه فى البيت ، وناقشه فيـه ، وتمسك بأفضلية ما يراه .

وتتبع ابن جنى ما أخذه المتنبى من معان سبق اليها ، ووقع على أشياء لم يهتد اليها غيره ، ويتجلى ذلك فى شرحه لقول المتنبى :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى　　　وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقد ذكر ابن جنى قال : حدثنى المتنبى وقت القراءة عليه قال : قال لى ابن حنزابة وزير كافور : أعلمت أنى أحضرت كتبى كلهـا ، وجماعة من أهل الأدب ، يطلبون لى من أين أخـذت هذا المعنى، فلم يظفروا بذلك ؟ وكان أكثر من رأيت كتبا ، قال ابن جنى : ثم انى عثرت بالموضع الذى أخذه منه ، اذ وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ لـبين

(٦٠) شرح ابن جنى : ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

صغير جدا ، فيه معنى بيت المتنبى كله ، على جـلالة لفظه ، وحسن تقسيمه ، وهو قـوله :

ــ والشمس نمامة والليل قواد ــ (٦١)

فظـل ابن جني يفتش فى معانى المتقـدمين حتى عثر على بيت المتنبى فى عجز بيت لابن المعتز ، على الرغم من أن ابن جنزابة ومن شايعه من الأدباء لم يعثروا على أصل المعنى ، مع شدة خصـومتهم للمتنبى ، واهتمامهم بكشف سرقاته .

وفى كثير من الأبيـات التى عابها خصـوم المتنبى نجـد تعليق ابن جنى عليها لا يختلف عن نقدهم لها الا فى التجرد عن السـخرية منه والتهكم به ، وعلى سبيل المثال نراه فى شرحه لبيت المتنبى :

فرعوس الرماح أذهب للغيـ ـظ وأشفى لغل صدره الحقود

يقول : كان الوجه أن يقول : أشد ذهابا للغيظ ، لأنك تقـول : أذهبت الغيظ ، ولا تقول : ذهبته ، انما تقول : ذهبت به ، ولكنـه جاء على خلاف الزائد ... على أنه لو قال : أذهب بالغيظ لاستغنى هذا القول كله(٦٢) .

وهذا النقد لا يختلف عما ذكره ابن وكيع ، غير أن ابن وكيـع تخطى الموضوعية الى ذم المتنبى ووصمه بالضعف فى اللغة(٦٣) .

ومن الأمثلة التى ذكرناها يتضح لنا أن ابن جنى لم يكن متعصبا للمتنبى كما يدعى خصومه ، ولو فرضنا أنه كان يدافع عنه فى المجالس

---

(٦١) الصبح المنبى : ٢٨٨ . وصدر البيت : لا تلق الا بليـل من تواصـله .

(٦٢) شرح ابن جنى : ٢١٨/٢ .

(٦٣) ينظر المنصف : ١٥٢ .

والمناظرات الا أن ما قيده وأثبته فى شرحه لديوانه يبين اعتداله الى حد كبير ، وتمسكه بذكر ما له وما عليه ، وان كان يدافع عنه فى أحيان كثيرة .

ولم يخل شرح ابن جنى من نقاط ضعف استوقفت كثيرا من النقاد ، وهذه النقاط بعضها تفسيرى وبعضها نقدى :

ففى الجانب التفسيرى لجأ ابن جنى الى الاعتذار عن المتنبى فى بعض المآخذ ، وفسر بعض الأبيات بما ينأى بها عن المعنى المقصود فى السياق ، وأسرف فى ايراد مسائل نحوية استفرغت وقته وجهده ، وصرفته عن النواحى الهامة ولذلك كثرت الردود على شرحه من هذا الجانب ، فرد عليه الربعى تلميذ المتنبى فى شيراز بكتابه « التنبيه على خطأ ابن جنى » .

ويقول ان للتوحيدى كتابا عنوانه « الرد على ابن جنى فى شعر المتنبى » ولابن فورجة(٦٤) كتابان هما « التجنى على ابن جنى » و « الفتح على أبى الفتح » ولأبى القاسم الأصفهانى(٦٥) كتاب « الواضح فى مشكلات شعر المتنبى » وهو رد على ابن جنى فى شرحه لأبيات المعانى ويرد الواحدى(٦٦) كثيرا على ابن جنى فى شرحه للديوان ، ولأحمد بن على الأزدى كتاب « المآخذ على شراح ديوان أبى الطيب » والفصل الأول فيه رد على ابن جنى(٦٧) .

وفى الجانب النقدى ، فابن جنى لم يكن ناقدا ولهذا تورط فى

---

(٦٤) محمد بن حمد بن فورجة ولد : ٣٣٠ هـ

(٦٥) عبدالله بن عبد الرحمن الاصفهانى كان حيا : ٣٧٩ هـ

(٦٦) أبو الحسن على بن أحمد النيسابورى ت ٤٦٨ هـ

(٦٧) ينظر الصبح المنبى : ٢٦٩ ، وديوان المتنبى فى العالم العربى : ١٩ وما بعدها .

وتاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٨٤ وما بعدها .

أحكام كان من السهل تزييفها أو رفضها ، وقد رد عليه « الوحيد » (٦٨) فى هذا الجانب وحط عليه حطا بالغا (٦٩) وذكر أنه تصدى لشىء لا يحسنه ، ولو كان لنقد الشعر والحكم فيه محتسب لمنعه من ذلك لأنه ليس من عمله (٧٠) •

وبهذا أحدثت شروح ابن جنى لشعر المتنبى حركة نقدية كبيرة ، احتلت جانبا واسعا فى المعركة النقدية حول المتنبى •

وابن وكيع من الذين تعقبوا ابن جنى فى شرحه لشعر المتنبى ، وخطأه فى تفسير وتخريج كثير من الأبيات ، وسخر منه فى بعض المواطن ، ولم يصرح ابن وكيع باسم ابن جنى وانما كان يشير اليه ويلمح له وينقل عبارته التى وردت فى شرحه لديوان المتنبى •وتناقلتها الشروح الأخرى ، ولعله لم يصرح باسمه زيادة فى السخرية منه ومن كلامه ، وقد ألمح اليه بصفات متعددة • فنراه يقول :

تكلف بعض أدباء عصرنا تفسير هذا البيت فقال •• (٧١) ويقول: فسر هذا بعض المتكلفين فقال : •••(٧٢) ، ويقول : فسر هذا بعض الأدباء فقال : ••• وهذا تفسير نحوى غير عالم بالشعر (٧٣) • وفى قول المتنبى :

مال كأن غراب البين يرقبه فكلما قيل : هذا مجتد نعبا

---

(٦٨) الوحيد : أبو طالب سعد بن محمد الازدى البغدادى ، كان بمصر والمتنبى موجود بها • تاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٨٧ •

(٦٩) نصرة الثائر : ١٨١ •

(٧٠) ينظر تاريخ النقد الادبى عند العرب : ٢٨٧ •

(٧١) المنصف : ٩٢ •

(٧٢) السابق : ٩٣ ، ٦٠٣ •

(٧٣) السابق : ٤٧٨ •

يقول : قال بعض النحويين المحققين بتفسير كلام أبى الطيب : ان معنى البيت : أن غراب البين متصل الصياح كاتصال عطاء هذا الممدوح(٧٤) ، وليس النحو من صناعة الشعر ، وانما تقع على معانى الشعر فطن الذهناء ، وتستخرجه قرائح العقلاء ، كما قلت أنا فى بعض النحويين :

عليك بالنحو لا تعرض لصنعتنا فان شعرك عندى أشهر الشهر
لو كان بالنحو قول الشعر مكتسبا كان الخليل به أحظى من البشر

وانما أراد أبو الطيب : أن غراب البين انما يتعب لفراق ، فاذا رأى الغراب مجتديا علم أن اتيانه سبب لفراق المال ، فنعب لذلك ، وليس ما ذهب اليه النحوى بشىء(٧٥) .

فنرى ابن وكيع يسخر من ابن جنى ويرد تفسيره ، ويعرض بالنحو والنحاة مشيرا الى أنهم لا يصلحون لتفسير الشعر،وليس هذا من صناعتهم . ولعله متأثر فى هذا بما روى عن البحترى من تهكمه بثعلب وحكمه بأن نقد الشعر والشعراء ليس من شأنه ولا شأن أصحابه ، فقد سأل عبيد الله بن طاهر البحترى عن مسلم وأبى نواس: أيهما أشعر ؟ فقال البحترى : أبو نواس . فقال عبيد الله : ان أبا العباس ثعلبا لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه ، من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، انما يعلم ذلك من دفع فى مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته(٧٦) .

وقد ذكر العكبرى تفسير ابن جنى للبيت ، وساق اعتراض « العروضى » و « ابن فورجة » و « الواحدى » على شرحه ، ذاكرا

---

(٧٤) ينظر النص فى الفسر : ٢٦٤/١ .
(٧٥) المنصف : ٣٩٧ ، ٣٩٨ .
(٧٦) دلائل الاعجاز : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

شرح كل منهم له ، والذى راق عندى شرح ابن فورجة اذ قال:يقول المتنبى : كأن غراب البين يرقب ما له ، فكلما جاء مجتد — سائل — نعب فيه فتفرق شمله(٧٧) .

وسخرية ابن وكيع من ابن جنى ، ورده لكثير من شروحه هو ما دفع ابن جنى الى تأليف كتابه « النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبى وتخطئته » ومن ثم نتصور أن هذا الكتاب يتعلق برد بعض الأحكام النقدية وتفسير المعانى ، لا بالسرقات — كما يشعر بذلك كلام د. محمد مصطفى هدارة حيث قال : وبدا ابن وكيع متعنتا فى أكثر السرقات التى أوردها مما دعا ابن جنى أن يرد عليه فى كتاب سماه « النقض على ابن وكيع ... »(٧٨) .

أبو القاسم البصرى :

وهو أبو القاسم علي بن حمزة البصرى التميمى ت ٣٧٥هـ فى صقلية ، وكان أحد أعيان اللغة الفضلاء ، وله ردود على جماعة من أئمتها كابن دريد والأصمعى وغيرهما ، وهو راوية المتنبى فى الشرق والغرب ، وهو أول من جمع ديوانه ، وروى عنه ابن جنى شيئا من أخبار المتنبى وغيرها ، ولما نزل المتنبي ببغداد نزل عليه ضيفا ، وظل فى ضيافته الى أن رحل عنها(٧٩) ، وكان منزل البصرى فى « ربض حميد » وقد أصبح بنزول المتنبى فيه ندوة أدبية مزدهرة يفد اليها المثقفون من رجال الطبقة الوسطى البعيدون عن خصومه من رجال الحكم ، فيستمعون الى شعر المتنبى ويقرأون ديوانه ، وينصتون الى

---

(٧٧) شرح العكبرى : ١/١١٧ .

(٧٨) مشكلة السرقات : ١٩٧ .

(٧٩) معجم الادباء : ١٣/٢٠٨ ، وحاشية المنصف : ١١٦ .

شرح الشاعر وتفسيره لما غمض من معانيه ، وكان لهذه الندوة أكبر الأثر فى شرح شعر المتنبى ودراسته(٨٠) •

وقد اجتمع ابن وكيع بالبصرى ، وسمع منه بعض أخبار المتنبى(٨١) ، وتناقشا فى أبيات من شعره ، ووصفه بأنه كان من المجردين فى صحبة المتنبى ، والمغرقين فى صفته •

ولم يترك البصرى مصنفا فى الدفاع عن المتنبى والرد على خصومه ، ولكننا نقرأ بعض ما روى عنه فى شروح ديوان المتنبى والكتب التى تعرضت لنقده ؛ ومن ذلك ما ذكره ابن وكيع عندما عرض لبيتى المتنبى :

أرسلتها مملوءة كرما   فرددتها مملوءة حمدا
جاءتك تطفح وهى فارغة   مثنى به وتظنها فردا

اذ قال : قد رأيت بعض أهل الأدب تقول علينا ، وهو أبو القاسم على بن حمزة البصرى بأن قال : لأبى الطيب معان لا يفسرها غيره ، فسألناه عنها فكان هذا منها ، وسألناه عن معنى ذلك : أى شىء أراد به ؟ فقال : جاءه جام حلواء ففرغه ، وكتب هذه الأبيات ، فصار فارغا من الحلواء مملوءا من الحمد ، فهو فارغ طافح ، يظن فردا وهو بالحمد مثنى ، فقلت له : الشعر على مقصد قائله ، وأبيات المعانى كلها تجرى هذا المجرى ، فسكت(٨٢) •

فهذا مثال يبين قيام أبى القاسم البصرى بالدفاع عن المتنبى عن طريق شرح أبياته ، وتفسير معانيه ويدل على اجتماعه مع ابن وكيع، ونقاشهما معا حول بعض معانى المتنبى •

---

(٨٠) ينظر النقد المنهجى : ٢١٤ ، ٢١٥ •
(٨١) ينظر المنصف : ١١٦ •
(٨٢) المنصف : ١٥٩ •

القاضى الجرجانى :

هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ت ٣٩٢ هـ وهو فقيه مفسر شاعر كاتب (٨٣) ، وقد ألف كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » لينصف المتنبى ممن هاجموه ، ويبين ما له وما عليه وذكر الثعالبى فى سبب تأليفها : أن الصاحب بن عباد لما عمل رسالته فى اظهار مساوىء المتنبى عمل القاضى أبو الحسن كتابه الوساطة ، فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمر فى فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره فى الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار فى البلاد بغير جناح(٨٤) .

وأرى أن هذا من جملة الأسباب التى دعته الى تأليفه ، وليس هو السبب الرئيسى الذى نرجح أن يكون تلك الحملة الشرسة التى شنها خصوم المتنبى عليه فى كل مكان ، وأسفرت عن مؤلفات شتى فى بيان عيوبه ، واظهر سرقاته ؛ فى الوقت الذى ضعف فيه أنصاره عن مواجهتهم ، فنصب نفسه وهو القاضى العادل للوساطة بين المتنبى وخصومه ، واظهار ما له وما عليه .

ويمكن تقسيم كتاب الوساطة الى ثلاثة أقسام (٨٥) :

القسم الأول : وهو بمثابة مقدمة بين فيها منهجه العام فى النقد تمهيدا للدفاع عن المتنبى ، وبدأ كلامه بكشف بعض الأبعاد النفسية للخصومة بين الأقران ، للكشف عن نفسية خصوم المتنبى(٨٦) .

---

(٨٣) ينظر يتيمة الدهر : ٣/٤ .
(٨٤) السابق : ٤/٤ .
(٨٥) تنظر هذه الاقسام فى النقد المنهجى : ٢٧٦ ـ ٣٠٧ .
(٨٦) ينظر الوساطة : ١ .

ولخص رؤيته لموقف الأدباء من المتنبى ، فذكر أنهم فريقان : فريق مطنب فى تقريظه .. ، وفريق عائب يروم ازالته عن رتبته ... وكلا الفريقين اما ظالم له أو للأدب فيه(٨٧) .

وبين الأساس الذى يجب أن يتبع فى الحكم على الناس ، وهو النظر اليهم بمقتضى عموم الفضل ، لا ببعض الهفوات التى يمكن تلمس العذر لهم فيها(٨٨) . وهو بهذا يريد أن يضع منطلقا للحكم على المتنبى ، الذى يجب أن يكون بمقتضى محاسنه وفضائله ، لا بمقتضى بعض هفواته وأخطائه .

وتكلم عن أغاليط الشعراء الجاهليين والاسلاميين ليبين عدم سلامة أحد منهم من العيب(٨٩) ، وانتقل الى الحديث عن الشعر وما يلزم له من الطبع والرواية والذكاء والدربة(٩٠) وتحدث عن عدد من فنون البديع(٩١) .

والقسم الثاني : وفيه يدافع الجرجانى عن أبى الطيب سالكا فى دفاعه مبدأين : مبدأ المقايسة الذى يقوم على قياس المتنبى على غيره من الشعراء ، فما من شاعر الا وله أخطاء ومع هذا فلم يسقط بسبب أخطائه ، والمتنبى ينبغى أن يكون كذلك ، ومبدأ المقاصة بين جيده ، ورديئه ، فشعره المختار كثير ، ورديئه قليل ، ولو طرحنا رديئه لبقى لنا من جيده ديوان كبير كاف للحكم عليه بالجودة والتقدم(٩٢) .

---

(٨٧) الوساطة : ٣ ، ٤ .
(٨٨) ينظر الوساطة : ٤ .
(٨٩) السابق : ٤ ـ ١٥ .
(٩٠) السابق : ١٥ ـ ٢٩ .
(٩١) السابق : ٣١ ـ ٤٨ .
(٩٢) ينظر الوساطة : ٥٥ ـ ٨١ .

وشرح منهجه فى السرقات ليكون أساسا فى الحكم على المتنبى والشعراء عامة ، ومجمل رأيه فيها : أن المعانى على ثلاثة أقسام :

١ ــ معان مشتركة عامة ، وهذه لا سرقة فيها .

٢ ــ معان خاصة سبق اليها المتقدم ، ولكنها تدوولت وكثر استعمالها فصارت كالقسم الأول فى الجلاء والانتشار ، والتفاضل بين متنازعى هذه المعانى يكون بحسب مراتبهم فى صنعة الشعر (٩٣) .

٣ ــ المعانى المبتدعة المخترعة ، والاستعارات النادرة ، والمعانى المتداولة التى تفنن أصحابها فيها حتى أصبحت فى حكم المبدع وهذا ما تجرى فيه السرقة .

واذا تفنن الشاعر فى المعنى الموجود عند غيره فأتى بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن ... أو زيادة اهتدى اليها فهذه السرقة لا تعد من المعايب ، وصاحبها أحق بالتفضيل (٩٤) .

وتناول سرقات أبى نواس وأبى تمام والبحترى ودافع عنهم ، ثم انتقل الى بيان سرقات المتنبى وأطال فى ذكرها ، حتى يظن قارىء الكتاب أنه نسى مهمته فى الوساطة وتحول الى مستخرج لسرقاته (٩٥) .

ولم يناقش القاضى ما استخرجه الخصوم من سرقات ، ولم يرفض دعواهم فى هذا السبيل ، ولم يشر الى المعانى المشتركة أو المتداولة التى لا يمكن القطع فيها بالسرقة ، ولو ألزم نفسه بنقد ما ذكره على ضوء منهجه فيها لرد كثيرا من هذه السرقات .

---

(٩٣) السابق : ١٨٥ .
(٩٤) السابق : ١٩٢ .
(٩٥) السابق : ٢١٦ ــ ٤١١ .

والقسم الثالث : هو نقد تحليلى للأبيات التى عابها نقاد المتنبى، وقد أقامه القاضى على عرض أقوال الخصوم ، وردود الأنصار عليها ، من خلال حوار يحكى أقوال كل منهم ويفند المآخذ والردود(٩٦) •

ويمكننا أن نستخلص من خلال عرضنا الموجز لكتاب الوساطة أن الجرجانى أقام وساطته على نقاط أهمها :

١ — التسليم بما ذكره خصوم المتنبى من عيوب فى شعره ، مع التأكيد على أنه يمكن تخريج بعض هذه العيوب على وجه مستساغ ولعل هذا مما جعل بعض الأدباء يرى أن القاضى الجرجانى لم يسلم من الحيف على المتنبى ، قال الصفدى : وللجرجانى رحمه الله كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه • ما خلا فيه من التمالى عليه(٩٧) •

٢ — العيوب التى ذكرها خصومه لا تسقطه عن رتبته ، كما لم تسقط العيوب شاعرا قبله ، وليس هذا تبريرا لأخطائه ، فقد كان عليه أن يهذب الأبيات المعيبة ، ليسلم من الطعن •

٣ — دعوة الخصوم الى تحرى العدل فى حكمهم على أبى الطيب بمعاملته مثل غيره من الشعراء ، وعدم احباط حسناته بسيئاته •

٤ — لأبى الطيب شعر جيد كثير يغطى على عيوبه ، ويلحقه بالفحول من الشعراء ويحله منزلة رفيعة بينهم •

وبذلك يعتبر كتاب الوساطة مثلا على نزاهة الحكم ، وتحرى العدل ، وقد أصبح لذلك مصدرا جامعا لعيوب المتنبى ومحاسنه ، ويرى الدكتور احسان عباس : انه عجز عن تقديم الجواب الشافى فى موقف الخصوم والأنصار (٩٨) •

---

(٩٦) السابق : ٤١١ — ٤٤١ •
(٩٧) نضرة الثائر : ١٨١ •
(٩٨) تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٣٣٥ •

ونرى أن الكتاب قد أدى ما قصده مؤلفه منه ، وهو الوساطة بين المتنبي وخصومه ، والمعهود فى الوساطة أن يتحرى فيها ارضاء الطرفين ، الخروج بموقف متفق عليه بين المتنازعين ، وهذا ما فعله الجرجانى فى كتابه ، حيث أثبت أن المتنبى شاعر فحل له حسناته الكثيرة وعليه سيئاته ، كما هو حال غيره من فحول الشعراء ، ولا يصح أن يجحد فضله • وينكر تميزه بسبب أخطاء معدودة لا تحسب فى جانب جيده الغزير •

وفى رأينا أن كتاب المنصف ألف قبل كتاب الوساطة لأن كتاب الوساطة جاء فى مرحلة متأخرة نرجح أن تكون بعد وفاة الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ ، لأن القاضى كان على صلة وثيقة بالصاحب فهو الذى ولاه قضاء الرى ، ومكن له عند ذوى السلطان ، وعرفه القاضى للصاحب كيف يجزيه عن وده ويكافئه عن تحفيه به ، فسير فيه مدائح أخلصت على قصد ، وأتت من فرد ، وما فيها الا صوب العقل وذوب الفضل(٩٩) •

فلا ينتظر من القاضى بعد ذلك أن يؤلف الوساطة فى حياة « الصاحب » وهى رد صريح على رسالته وغيرها مما ألفه خصوم المتنبى •

وعلى هذا فلم يتأثر ابن وكيع بكتاب الوساطة لأن كتابه متقدم فى تأليفه على الوساطة •

---

(٩٣) يتيمة الدهر : ٤/٣ :

ابن القـــارح :

وهو على بن منصور الحلبى المعروف بابن القارح ولد بحــلب سنة ٣٥١هـ . وجالس ابن وكيــع وصحبه وقرأ كتــابه « المنصف » وناقشه فى أمر المتنبى ، واتهمه بالحيف عليه والحط من قدره . وقد روى صاحب « الصبح المنبى » عنه فقال : قال على بن منصور الحلبى المعروف بابن القارح : كان أبو محمد بن وكيع متأدبا ظريفا ، ويقول الشعر ، وعمل كتابا فى سرقات المتنبى ، وحاف عليه كثيرا ، وسألنى يوما أن أخرج معه ، واستصحب مغنيا وأمــره ألا يغنى الا بشــعره فغنى :

لو كان كل عليـــل   يزداد مثلك حسنا
لكان كل صــحيح   يود لو كان مضنى
ياأكمل الناس حسنا   صل أكمل الناس حزنا
غنيت عنى ومــالى   وجــه به عنك أغنى

فقلت له : هل تثقل عليك المؤاخذة ؟ قال : لا . فقلت : ان أبياتك مسروقة الأول من قول بعضهم :

فلو كان المريض يزيد حســنا   كما تزداد أنت على السـقام
لما عيد المريــض اذن وعــدت   شكايته من النعم الجســام

والثانى من قول رؤبة :

سـلم ما أنســاك ما حييت   لو أشرب السـلوان ما سليت
مالى غنى عنك ولو غنيت

فقال : والله ما سمعت بهذا ، فقلت : اذا كان الأمر على هــذا

فاعذر المتنبى على مثله ، ولا تبادر الى الحط عليه ، ولا المؤاخذة له ، والمعانى يستدعى بعضها بعضا(١٠٠) •

ثالثا : المنصف بين المتأخرين :

شاع كتاب « المنصف » لابن وكيع بين الأدباء الذين جاءوا من بعده ، ونقل عنه كثير منهم • وسنعرض فيما يلى لبعض هؤلاء الأدباء لنوضح مكانة المنصف فى تراث المتأخرين •

ابن شرف :

قرأ ابن شرف القيروانى ت ٤٦٠ هـ كتاب ابن وكيع ورد عليه فى رسالة سماها « أبكار الأفكار » نقل منها الصلاح الصفدى فى « نصرة الثائر » قول ابن شرف فى ابن وكيع : هو أجور من قاضى سدوم(١٠١)•

ابن رشيق :

قرأ ابن رشق ت ٤٧١هـ كتاب المنصف ، ونقد مقدمة ابن وكيع فى السرقات فقال : وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم ، وسماه كتاب « المنصف » مثل ما سمى اللديغ سليما ، وما أبعد الانصاف منه(١٠٢) •

وعلق على رأى ابن وكيع فى العكس فقال : وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة(١٠٣) •

---

(١٠٠) الصبح المنبى : ٢٦٥ ، ٢٦٦ •
(١٠١) نصرة الثائر : ٨١ • وابو الطيب فى آثار الدارسين : ٤١٤ •
(١٠٢) العمدة : ٢/٢٨١ :
(١٠٣) السابق : ٢/٢٨٩ :

ويجب أن نقرر هنا ما قلناه سابقا من أن ابن وكيع لم يعب العكس على الاطلاق ولكنه عاب عكس الثناء الى هجاء ولعله فى ذلك ينظر الى المقاييس الأخلاقية التى تفضل الثناء وتذم الهجاء .

ونقل ابن رشيق عن ابن وكيع فى مواطن من كتابه ففى باب التسهيم يقول : وقدامة يسميه التوشيح ... وأما ابن وكيع فسماه المطمع .. وتسميته المطمع لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف فاذا حوول امتنع وبعد مرامه(١٠٤) .

وفى باب التقسيم يروى بيت المتنبى ،

عش ابق اسم سد قد جد مر انه ره فه اسر نل

غظ ارم صب احم اغز اسب رع زع دل اثن بل

ويعلق عليه بقوله : فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع(١٠٥) . وبالنظر فى المنصف لم نجد هذا البيت وهذا دليل على نقص الكتاب كما أثبت ذلك محققه .

ويظهر نقل ابن رشيق عن المنصف فى باب الاستثناء حيث يتشابه كلامه مع كلام ابن وكيع وان كان لم يصرح باسمه(١٠٦) .

ابن منقذ :

تأثر أسامة بن منقذ ت ٥٨٤هـ فى كتابه « البديع فى نقد الشعر » بما ذكره ابن وكيع فى أقسام السرقات ، ونقل عنه كثيرا من كلامه وأمثلته ، وشرح بالنقل عنه فى أول باب نقله وهو باب نقل الطويل الى القصير ، فقال : قال ابن وكيع التنيسى : السرقات المحمودة عشرة.

---

(١٠٤) العمدة : ٣١/٢ ، ٣٤ . وينظر المنصف : ٦٩ .

(١٠٥) العمدة : ٢/ ٣٠ .

(١٠٦) ينظر العمدة : ٤٨/٢ والمنصف : ٧١ .

أولها : استيفاء اللفظ الطويل فى المعنى القصير•ومثل بأمثلة ابن وكيع ومنهـا قول طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد

ولم يذكر نظيره المختصر منه وهو قول ابن الزبعرى :

والعطيات خساس بيننا وسواء قبر مثر وبخيل

وذكر أمثلة أخرى لا توجد فى المنصف(١٠٧) •

وذكر أبوابا أخرى غير الباب السابق ، اتفق مع ابن وكيـع فى عنوان بعضها واختلف عنه فى بعضها الآخر وهى كما يلى :

١ ـ باب نقل القصير الى الطويل ، وهو الباب الأول من السرقات المذمومة عند ابن وكيع ، ومثل بأمثلته وزاد عليها أمثلة أخرى(١٠٨)•

٢ ـ باب نقـل الرذل الى الجـزل • وهو النوع الثـانى من السرقات المحمودة عند ابن وكيع ، ومثل بأمثلته ، وزاد عليهـا أمثلة أخرى(١٠٩) •

٣ ـ باب نقل الجزل الى الجزل وهذا النوع لا يوجد عند ابن وكيع، ومثل له ابن منقذ بالأمثلة التى ذكرها ابن وكيع تحت باب نقل ما قبح مبنـاه دون معنـاه الى ما حسن مبنـاه ومعناه ، وزاد عليهـا أمثلة أخرى(١١٠) •

٤ ـ نقل الجزل الى الرذل • وهو النوع الثانى من السرقات المذمومة عند ابن وكيـع ، ولكن ابن منقـذ لم يذكر شيئا من أمثلـة

---

(١٠٧) البديع : ١٨٣ ، والمنصف : ٩ •
(١٠٨) البديع : ١٨٥ ، والمنصف : ٢٧ •
(١٠٩) البديع : ١٨٦ ، والمنصف : ١٢ •
(١١٠) البديع : ١٨٧ ، والمنصف : ١٣ •

ابن وكيع لهذا النوع ، وذكر الأمثلة التى ذكرها فى النوع الثالث من السرقات المذمومة وهو نقل ما حسن مبناه ومعناه الى ما قبح مبناه ومعناه(١١١) .

٥ ـ باب الهدم . وهو يتناول النوع الرابع فى كل من السرقات المحمودة والمذمومة عند ابن وكيع ، وهما عكس الهجاء الى ثناء وعكس الثناء الى هجاء . وذكر ابن منقذ بعض أمثلة ابن وكيع فى هذين النوعين مع أمثلة أخرى(١١٢) .

٦ ـ باب التكرير . ذكر فيه بعض الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى النوع السابع من السرقات المحمودة وهو توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات(١١٣) .

٧ ـ باب المساواة ، وهو مساواة الآخذ المأخوذ منه ، والأول أحق به لأنه ابتدع والثانى اتبع وهو القسم الثامن من السرقات المحمودة عند ابن وكيع،ونقل ابن منقذ كلام ابن وكيع فى هذا القسم ومثل بأمثلته ، وزاد عليها أمثلة أخرى ، كما ذكر فيه بعض أمثلة القسم التاسع من السرقات المحمودة عند ابن وكيع وهو مماثلة السارق المسروق منه(١١٤) .

٨ ـ باب فضل السابق على المسبوق . والأمثلة المذكورة فى هذا الباب هى الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى القسم العاشر من السرقات المحمودة وهو رجحان السارق على المسروق منه ، وعلى هذا يوجد خلط واضطراب فى الكتابين ترتب عليه وجود تناقض فى الحكم على

---

(١١١) البديع : ١٨٩ ، والمنصف : ٢٨ ، ٢٩ .
(١١٢) البديع : ١٩٠ ، والمنصف : ١٥ ، ٣١ .
(١١٣) البديع : ١٩١ والمنصف : ١٨ .
(١١٤) البديع : ١٩٤ ، ١٩٩ ، والمنصف : ١٩ ، ٢١ .

الأمثلة فابن وكيع يعتبرها من قبيل رجحان السارق على المسروق منه، وابن منقذ يعتبرها نفسها من قبيل رجحان المسروق منه على السارق(١١٥) .

٩ ـ باب رجحان المسبوق على السابق ، ويوجد فيه اضطراب كالباب السابق فالأمثلة المذكورة فيه هى عين الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى القسم السابع من السرقات المذمومة وهو رجحان كلام المأخوذ عنه على كلام الآخذ منه ، وبذلك يوجد تناقض فى الحكم على الأمثلة فى كل من الكتابين ففى كتاب ابن وكيع عدت الأمثلة من قبيل رجحان السابق على المسبوق وفى كتاب ابن منقذ عدت نفس الأمثلة من قبيل رجحان المسبوق على السابق(١١٦) .

١٠ ـ باب التثقيل والتخفيف . وذكر فيه الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى القسم الخامس من السرقات المذمومة وهو نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه الى ما قبح وثقل على لسان راويه(١١٧) .

١١ ـ باب التقصير : وهو القسم السادس من السرقات المذمومة عند ابن وكيع والمسمى : حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه، وقد ذكر ابن منقذ الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى هذا القسم .

١٢ ـ باب النقل : وذكر فيه الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى القسم الخامس من السرقات المحمودة وهو استخراج معنى من معنى احتذى عليه وان فارق ما قصد به اليه،وزاد عليها أمثلة أخرى(١١٨).

١٣ ـ باب التوارد ، وذكر فيه الأمثلة التى ذكرها ابن وكيع فى

---

(١١٥) البديع : ٢٠٢ ، والمنصف : ٢٣ .
(١١٦) البديع : ٢٠٣ ، والمنصف : ٣٥ .
(١١٧) البديع : ٢٠٤ ، والمنصف : ٣٢ .
(١١٨) البديع : ٢٠٥ ، والمنصف : ١٦ .

القسم العاشر من السرقات المذمومة ، وهو أخذ اللفظ المدعى هو ومعناه • وزاد عليها أمثلة أخرى(١١٩) •

وبهذه المقارنة نكون قد أعطينا صورة واضحة لتأثر ابن منقذ بابن وكيع ، مع بيان ما بينهما من خلاف فى بعض الأبواب •

العكبرى :

اعتمد أبو البقاء العكبرى ت ٦١٦هـ اعتمادا كبيرا على نقد ابن وكيع لشعر المتنبى واستفاد منه فى بيان سرقاته ، وأكثر نقول العكبرى عن ابن وكيع لم ترد فى « المنصف » مما يدل على نقص الأصل الموجود من الكتاب • وقد أثبت محقق المنصف ملحقا بالنقول التى جاءت فى شرح العكبرى عن المنصف وليست فى الأصل الموجود من الكتاب(١٢٠) •

ورد العكبرى بعض آراء ابن وكيع ، ففى شرحه لقول المتنبى :

تعجب من خطى ولفظى كأنها ... ترى بحروف السطر أغربة عصما

يقول : قال ابن وكيع : هو من قول ابن الرومى :

غضب أسح من الغمام الأسحم ... ورضا أعز من العزاب الأعصم

وليس بشىء ، وانما شاركه فى لفظة من ألفاظ البيت(١٢١) •

فبين العكبرى أن حكم ابن وكيع بالسرقة ليس بشىء لأنه لا مشاركة بين البيتين الا فى لفظة واحدة • ولا تثبت بها السرقة •

وفى بعض المواطن يرد رأيه فى نقد بيت المتنبى ويتهمه بعدم فهم البيت ، دون أن يصرح باسمه ، ففى شرحه لقول المتنبى :

---

(١١٩) البديع : ٢١٧ ، والمنصف : ٣٨ •

(١٢٠) ينظر المنصف : ٦٣٧ ـ ٦٥٠ •

(١٢١) شرح العكبرى : ١٠٥/٤ ـ وينظر المنصف : ٥٨٨ •

على ذا مضى الناس : اجتماع وفرقة وميت ومولود ، وقال وامق

يقول : وقد تعيب بعض من لايفهم أبا الطيب فقال : كان ينبغى أن يقـــول :

على ذا عهدنا الناس راض وساخط وميت ومولود وقال وامــق

أو يقول على التمثـيل : اجتماع وفرقــة ، وموت وولادة ، وقلى ومقة ، ليكون البيت مصادر • وهذا لا يلزم الشـــاعر ، ولم يأت فى أشـعار العرب(١٢٢) •

فابن وكيع يريد فى تجويد صنعة البيت أن تكون الأقسام امــا اسماء كلها أو مصادر كلها • ولم يوافقه العكبرى على هذا مبينا أنه لا يلزم الشاعر ، ولم يأت فى الشعر العربى •

الشريشى :

ونقل أبو العباس أحمد بن المؤمن الشريشى ت ٦١٩ هـ أقســام السرقات المحمــودة والمذمومة من كتاب ابن وكيــع وذلك فى شرحه للمقامات الحريرية فقال فى شرح المقامة القريضية : وتقسيم الحريرى السرقة الى سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أحكام السرقات التى عدها أبو محمد الحسن بن وكيع رحمــه الله تعالى فى كتــابه « المنصف فى الدلالات على سرقات المتنبى » فانه جعلها عشرين وجها • عشرة أوجه يغفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته • الأول منها : استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير ••• وأخذ فى سرد الأقسام العشرة على الترتيب الذى جاءت عليه فى المنصف ، مقتصرا على ذكر بعض الأمثلة، وناقلا تعليق ابن وكيع عليها •

---

(١٢٢) شرح العكبرى : ٣٤٣/٣ • وينظر المنصف : ٣٢٠ وفيــه الذى حكاه العكبرى •

ثم أخذ فى سرد السرقات المذمومة على نفس النهج السالف،ولكن سقط من كتابه ذكر القسمين السادس والسابع منها حيث انتقل من الحديث عن القسم الخامس الى الحديث عن القسم الثامن • وختم حديثه عن أقسام السرقات بحديث الشعراء عن ذم السرقة ناقلا كلام ابن وكيع فى ذلك مع زيادة بعض الأمثلة(١٢٣) •

ابن دحيــــة :

وأشار عمر بن الحسن بن دحية ت ٦٣٣ هـ الى ابن وكيع وكتابه، واتهمه بالجور الشديد على المتنبى ، فقد أورد فى كتابه « المطرب » بعض مقطوعات لابن شرف ، وابن رشيق ألفاها بأمر السلطان المعز بن باديس فى موضوع واحد ووقت واحد ، فجاءت متشابهة فى معانيها وبعض ألفاظها ، وعلق عليها ابن دحية بقوله : فهذه المقطعـات التى أوردت حديثها ، واستطردت باتفاقها • لو رآها من عسى أن يراهـا وهو لا يعلم ما جرى لم يشك أن أحد قائليها سرق من الآخر ، وكـم من مظلوم ترى نسب باتفاق خاطره وخاطر غيره الى التلصص والاغارة، نحو ما ألفه ابن وكيع عن المتنبى فى كتابه الذى سماه المنصف ، وهو فيه أجور من قاضى سدوم(١٢٤) •

فهو يرى أن كثيرا من المعانى المشتركة بين الشعراء من تـوارد

---

(١٢٣) شرح المقامات الحريرية : ٣٩٢/١ ـ ٣٩٧ •
وينظر المنصف فىأقسام السرقات • وفى ذم السرقة : ٤٣ ـ ٤٧ •
(١٢٤) المطرب : ٧٥ ، ٧٦ • وسدوم من الملوك القدماء المتصفين بالجور وكان له قاض أشد منه ظلما فقالوا : أجور من سدوم وقالوا : أجور من قاضى سدوم • وسدوم هذا هو الذى سميت باسـمه مدينة سدوم قرية قوم لوط • حاشية المطرب • نقلا عن تاج العروس مـادة سـدم •

الخواطر مستدلا بما بين مقطوعات ابن شرف وابن رشيق من تشابه يعده النقاد سرقة وليس بها ، لأن الشعر قيل فى وقت واحد وأنشد فى مجلس واحد ، ولم يطلع أحدهما على ما قاله الآخر • وينطلق من هذا الى الحكم على ابن وكيع بالجور الشديد لاسرافه فى بيان سرقات المتنبى • وهو مظلوم وبرىء من هذه التهمة •

ابن أبى الاصبع :

قرأ ابن الاصبع المصرى ت ٦٥٤هـ كتاب المنصف لابن وكيع ، وصرح برجوعه اليه واستفادته منه ، وعده ضمن مصادر كتابيه « بديع القرآن » و « تحرير التحبير »(١٢٥) •

المظفر العلوى :

ومن أكثر الناقلين عن « المنصف » المظفر بن الفضل بن يحيى العلوى ٦٥٦ هـ وذلك فى كتابه « نضرة الاغريض فى نصرة القريض » الذى ألفه للوزير محمد بن العلقمى ، وأتمه فى جمادى الآخرة سنة ٦٤٢هـ •

وقد نقل عن ابن وكيع نظريته فى السرقات بأقسامها العشرين ، وأمثلتها والتعليق عليها ، مع بعض من الاختصار ، والزيادة فى الأمثلة(١٢٦) •

كما نقل كثيرا من كلامه فى الفنون البديعية بتصرف يسير فى بعض العبارات والشواهد(١٢٧) •

---

(١٢٥) ينظر بديع القرآن : ٧ •
(١٢٦) ينظر نضرة الاغريض : ٢٠٢ ــ ٢١٨ •
(١٢٧) ينظر نضرة الاغريض : ٩٧ ــ ١٠١ ، ١١٦ ، ٢٣١ ــ ١٣٣ • ويقارن بما فى المنصف : ٥٥ ــ ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٠ •

ولا عيب فى أن ينقل مؤلف عن آخر اذا صرح بهذا النقل،وأثبت اسم من نقل عنه أو كتابه ، ولكن العجيب من أمر المظفر العلوى أنه على الرغم من كثرة ما نقله عن ابن وكيع لم يشر الى اسمه ولا الى كتابه أدنى أشارة ، وقد أثار هذا محقق « المنصف » فقال : وقد سطا المظفر العلوى على كتاب المنصف لابن وكيع ، فنقل باختصار أو بحذف شىء من المادة ما أورده فى بابى السرقات والبديع ، بل لقد عثرت على شروح ونقد لبعض شعر المتنبى ادعاها المظفر على حين هى من شرح ابن وكيع ونقده بألفاظه ومعانيه(١٢٨) ... فان واقع الأمر أن هذا المؤلف سطا على كتاب ابن وكيع دون أن يخشى لوما أو عتبا .... وزاد الأمر تلبيسا على قارئه بأن ذكر بعض مصادره من الكتب المتقدمة وذكر بعض أسماء العلماء والأدباء ونقل عنهم ، وكلما وصل الى ابن وكيع والمنصف صمت عنهما وسكت ونقل حرفيا أو اختصر اختصارا غير مخل(١٢٩) .

صلاح الدين الصفدى :

ومن الذين اهتموا بكتاب ابن وكيع صلاح الدين الصفدى ت ٧٦٤هـ فى كتابه الغيث المسجم ، فنقل عنه بعض مآخذه على أبى الطيب ورد عليها . ومن ذلك قوله : وقد عيب على أبى الطيب فى قوله :

وأنت بالأمس كنت محتلما شيخ معد وأنت أمردها

قال ابن وكيع : فى اخباره أنه كان محتلما ما يغنى عن

---

(١٢٨) ينظر نضرة الاغريض : ٤٤٦ ، ٤٤٩ .
(١٢٩) مقدمة تحقيق المنصف .

قوله : وأنت أمردها ، أو يكتفى بقوله : وأنت أمردها عن ذكر محتلم.
وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبى الغياث الهذلى :

ذكرت أخى فعـــاودنى صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه(١٣٠) ٠

ونقـــل عنه نقده لقول المتنبى :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـــ
ـــن العارض الهتن ابن العارض الهتن

ورد عليه ردا مفصلا فقال : قال ابن وكيع : لولا انتهاء القافية لمضى فى «العارض الهتن» الى آدم عليه السلام ! وبانتهاء وزن البيت أعلمنا أن نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ، ثم يقف هذا الأمر، وأحسن من هذا قول البحترى :

الفاعلون اذا لذنـــا بجـــودهم ما يفعل الغيث فى شؤبوبه الهتن

فجاء بالمعنى عاما بغير عدد مردد ، ولا لفظ مستبرد ، فهو أرجح كلاما وأحسن نظاما ، وهو أحق بما قال ٠ وما أشبه برد بيت أبى الطيب ببيت قاله امرىء القيس :

الا اننى بال على جمال بـــال يقود بنا بـــال ويتبعنا بال (١٣١)

ورد الصفدى على هذا النقد فقال : وقد أخطأ فى الكلام من عدة

---

(١٣٠) الغيث المسجم : ١/١١٢ ٠ وينظر المنصف : ١٠٨ ، ١٠٩ ،
ولم ينقل الصفدى كل كلام ابن وكيع عن البيت بل اكتفى ببعضه ٠
(١٣١) المنصف : ٥٨٣ ٠ والغيث المسجم : ١/١١٣ ٠

وجوه أولها : أنه قال لولا انتهاء القافية لمضى الى آدم عليه السلام . ولو قال : لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا ، لأن القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن ، وهذا كلام سبقه اليــه عبد الملك بن مروان ، وقد أنشد قول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبـــد الله خير لداته ذئاب بن أسماء بن زيد بن قارب

فقال : لولا القافية لوصل به الى آدم .

وثانيها : أنه قال : أعلمنا أن عدد آبائه الممدوحين ثلاثة ... ولا يلزم فى المديح أن يؤتى بجميع الآباء فى الذكر ، ويكفى من مدح أصيلا أن يقول : أنت كريم ووالدك ووالده ، وقد مدح الشــعراء بالنســب القصير ، قال أبو العلاء المعرى يرثى الشريف الطاهر الموســوى أبا الشريف الرضى :

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم
باد على الكبراء والأشراف

والراح ان قيل ابنــة العنب اكتفت
بأب عن الأســماء والأوصــاف

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق قال : خرجت من البصرة أريد العمرة فرأيت عسكرا فى البرية فقلت عسكر من هذا قالوا عسكر الحسين بن على ، فأتيته فسلمت عليه فقال : من الرجل ؟ فقلت : الفرزدق بن غالب، فقال : هذا نسب قصير ، فقلت : أنت أقصر منى نسبا ، أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

وثالثها : أنه مثله ببيت البحترى وليس من الباب الذى حاوله ، ولفظا « الفاعلون وشؤبوبه » ثقيلان على السمع .

ورابعها : أنه شبهه ببرد بيت امرىء القيس وليس منه ، وانما الجامع بينهما التكرار ، ولو لم يكن بيت أبى الطيب ببرد ذلك (١٣٢) .

ومما نقلناه عن الصفدى نرى مدى اهتمامه بأحكام ابن وكيع ، والرد على ما لا يروق لديه منها .

وفى « نصرة الثائر » ينقل عن ابن شرف القيروانى قولـه عن ابن وكيع : هو أجور من قاضى سدوم (١٣٣) .

وروى الصفدى كثيرا من شعر ابن وكيع فى «الغيث المسجم»(١٣٤ف)

الزركشى :

وقرأ بدر الدين الزركشى ت ٧٩٤ هـ كتاب ابن وكيع ونقل عنه ، ففى حديثه عن التوشيح يقول : وسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره ... وسماه ابن وكيع المطمع لأن صدره مطمع فى عجزه (١٣٤) .

ابن معصوم :

ونقل ابن معصوم ت ١١١٩ هـ بعض نقود ابن وكيع وذلك فى كتابه « أنوار الربيع » ففى باب التكرار ذكر قول المتنبى :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ
ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

---

(١٣٢) الغيث المسجم : ١١٣/١ ، ١١٤ .

(١٣٣) ينظر نصرة الثائر : ١٨١ .

(١٣٤) البرهان : ٩٥/١ . ووهم محقق البرهان فى ترجمته فذكر أنه القاضى أبو بكر محمد بن خلف وهذا جد ابن وكيع المقصود فى كلام الزركشى .

ونقل تعليق ابن وكيع عليه . كما نقل رد « الصفدى » على نقد ابن وكيع (١٣٥) .

رابعا : حواش على المنصف :

أثبت محقق المنصف تعليقات كتبت على هامش المخطوطة بخط مغاير لخط ناسخها ، وهى تعليقات دقيقة تدل على أنها لأديب ناقد ، لم يرض عن بعض أحكام ابن وكيع ، فعارضها فى هذه التعليقات .

وسنتناول هذه التعليقات بالدراسة لأنها تمثل وجهة نظر فى بعض أحكام ابن وكيع ، وتسجل رد فعل لكتابه عند بعض الأدباء ، وان كنا لم نعرفه الا أننا نرجح أن يكون من المتأخرين ، لأن طريقته فى تحليل الاستعارة هى طريقة المتأخرين . كما سنرى ذلك فى بعض التعليقات .

وللمعلق هوى فى أبى الطيب ، ومن ثم نراه يبدأ أول صفحة فى المنصف بتعليق يقول فيه : ما أجدر المتنبى بهذا البيت :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه
فالناس أعداء له وخصوم (١٣٦)

والمعلق غير راض عن بعض آراء ابن وكيع فى السرقات ، ويتضح هذا من قوله : اعلم أنه نبه أهل علم البديع أن ما يكثر دورانه بين الشعراء مثل تشبيه القد بالغصن ، واللحظ بالسيف ، ونحو ذلك ، لا يسمى سرقة . وهنا قد جعل ذلك من السرقات ، ولهذا تراه عطل المتنبى من الشعر ، وبخسه حقه كما ستقف عليه ، بل جعل وجود لفظة واحدة فى بيت من شعره سرقة . واذا تأملت لم تجده كما أخذ على

---

(١٣٥) ينظر أنوار الربيع : ٣٤٨/٥ _ ٣٥٠ .
(١٣٦) حاشية المنصف ، : ١ . والبيت لابن الاسود الدؤلى .

نفسه من الانصاف ، بل حاد عنه بطريق الاعتساف ، وتحامل عليه كثيرا ، فنظر وأنصف ، ولا تعبأ بالمنصف (١٣٧) •

وقوله : ان ابن وكيع جعل ما يكثر دورانه بين الشعراء من السرقة ، ليس على عمومه ، فقد ذكر ابن وكيع فى نظريته أنه يعذر الشعراء فى أخذ المعانى المتداولة اذا برعوا فى صياغتها ، أو تملحوا فى ألفاظها ، أو زادوا فيها (١٣٨) • وعند التطبيق لم يلتزم بهذا فى بعض المواضع ، ولكنه كثيرا ما كان ينبه على أن هذا من المعانى المتداولات ، التى لا سرقة فيها (١٣٩) •

وأكثر التعليقات تتصل بالسرقة ، حيث نقض المعلق بعض أحكام ابن وكيع فيها ، ونال قسم المساواة القسط الأكبر من هذه التعليقات ، حتى قال المعلق : ما لم يساعد المؤلف ذهنه على تكلف عيب فيه ، جعله من باب المساواة ، والأمر خلافه (١٤٠) • وهذا حكم عام يحتاج من المعلق دراسة قسم المساواة ونقده لاثبات ذلك ، والا فلا يؤخذ به •

ومن أمثلة نقضه للحكم بالمساواة ما يلى :

فى قول المتنبى :

سيصحب النصل منى مثل مضربه   وينجلى خبرى عن صمة الصمم

يقول ابن وكيع : فائدة هذا البيت أن النصل قد صحب منه مثله، فهذا موجود فى قول مسلم :

أتتك المطايا تتقى بمطية   عليها فتى كالنصل يصحبه النصل

---

(١٣٧) حاشية المنصف : ٧ •

(١٣٨) ينظر المنصف : ٨٥ ، ٨٦ •

(١٣٩) ينظر المنصف : ٨٩ ، ١٤٤ ، ٣٦٧ ، ٤٦٢ وغيرها •

(١٤٠) حاشية المنصف : ٢٢٧ •

وهذا مما يدخل فى قسم المساواة ، والسابق به أولى بـــه من السارق •

وقال المعلق : بل أبو الطيب أولى به ، فان معنى بيت مسلم شمله النصف الأول من بيته ، والنصف الآخر صفة خبره ، اذ لا فائدة لرجل يحمل سيفا ، فهو يساويه فيه الجبان (١٤١) •

والصمة بكسر الصاد مشددة : الحية الشجاع ، والصمم : جمعه، والمتنبى يقول : سيصحب السيف منى رجلا كحدته فى مضائه ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان (١٤٢) •

وقد رأينا أن ابن وكيع ساوى بين بيت المتنبى وبيت مسلم مدعيا أن فائدة بيت المتنبى فى أن النصل قد صحب منه مثله ، ومتغاضيا عما فى البيت من زيادة تتمثل فى اخباره بأنه أشجع الشجعان ، ومن ثم نقض المعلق حكم ابن وكيع وجعل المتنبى أحق وأولى بالبيت ، وهو محـــق فى هذا •

وفى قول المتنبى :

ان التى سفكت دمى بجفونها لم تدر أن دمى الذى تتقلـــد

يقول ابن وكيع : هذا من قول النابغة :

انى غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

أراد أن التي سفكت دمه لم تدر بسفكه ، وأصابت هذه قلبه من غير أن لم تقصد له ، فالمعنى لا يزيـــد على المعـــنى ، وهو داخـــل فى باب المساواة والأول أحق بما قال •

---

(١٤١) المنصف : ٢٠٠ •

(١٤٢) شرح العكبرى : ٤/٤٠ •

وقال المعلق : القول الذى يصدر بغير قصد ليس من صفات من له عقل ، بخلاف الجهل بأثر القول ، فلا تخفى زيادة بيت أبى الطيب على بيت النابغة (١٤٣) .

وأرى أن كلام المعلق لا محل له ، لأن ما فى البيتين ليس قولا ولكنه فعل ، وقد يصدر فعل من غير قصد لأثره ولا أدرى من الذى جعل القول الصادر بغير قصد ليس من صفات العقلاء !! وفى لفظ سهمها فى بيت النابغة جمال يغطى على قول المتنبى بجفونها ، ووصفها بعدم القصد أحسن من وصفها بعدم الدراية ، لأن عدم الدراية قد يكون ناتجا عن الغفلة أو البله .

ونقض المعلق بعض أحكام ابن وكيع برجحان المأخوذ منه على الآخذ ، ففى قول المتنبى :

أنا فى عينك الظـــلام كما أن بيـــاض النهار عندك جون

يقول ابن وكيع : هذا يشبه بيتا لابن الرومى ... وهو :

خفانيش أعشاها نهار بضوئه ولاءمها قطع من الليـــل غيهب

فشبههم بالخفافيش التى من شأنها ألا تبشر بالضوء ، ويكـــون بصرها فى الظلام وخبر أبو الطيب أنه فى عين المهجو ظـــلام ، كما أن النهار عنده أسود ، ولم يذكر العلة الموجبة لذلك . فكلام من جعـــل المهجوين مثالا صحيحا أرجح كلاما ، وأولى بما قال .

وقال المعلق : لا أصل لما قال ، بل مثل أبى الطيب أبلغ ، صحيح

---

(١٤٣) المنصف : ٢٢٧ . وتنظر أمثلة أخرى فى المنصف : ٢٣٢ ، ٣٩١ .

فانه حذف المشبه به وهو الخفاش ، وأثبت المشبه وهو المذموم ، وذكر لازم المشبه به وهو أن نهاره ليل ، على حد : أظفار المنية • اذا عرفت هذا فقد أفاد المتنبى ما أفاده ابن الرومى على طريقة غريبة يعرفها ذو الذوق السليم ، وزاد عليه بأن جعل المتنبى نفسه نهارا منيرا ينتفع الناس بنوره وعلمه استعارة مشرحة ، واستعارة النور للعقل لازمة عند البلغاء وجوبا ، وأما ابن الرومى فانه لم يزد على تشبيه المذموم بالخفاش ، الذى من شأنه ملاءمة الليل له لا النهار ، ولم يبين ما وجه تشبيهه له بهذا الطير • فتأمل (١٤٤) • فابن وكيع رجح بيت ابن الرومى على بيت أبى الطيب ، ونقض المعلق هذا الحكم وقضى برجحان بيت أبى الطيب على بيت ابن الرومى لما يحويه من زيادة • وجعل من كلام المتنبى استعارة مكنية حذف فيها المشبه به وذكر لازمه وهذا التحليل يشبه اجراء المتأخرين للاستعارة ومن هنا كان حكمنا على المعلق بأنه من المتأخرين •

والمتأمل فى بيت المتنبى لا يرى فيه أستعارة كما يدعى المعلق، فالمتنبى شبه نفسه فى عين المهجو بالظلام مع أنه صاحب مكانة سامية واضحة مضيئة ، كما أن نور النهار فى عينه أسود • فالحقائق عنده مقلوبة ، والنور عنده ظلام ، فان كان يريد بذلك أنه خفاش تنعكس فى نظره الحقائق فيكون هذا من قبيل الكناية ، لأنه ذكر الملزوم وأراد اللازم ، ونحن مع المعلق فى ترجيحه بيت المتنبى لما فيه من زيادة ، وايجاز ، وكناية هى أبلغ من التصريح ، بينما شغل ابن الرومى بيته بشرح صفات الخفافيش وهى معلومة وكان يغنى عنها لفظ الخفافيش•
وفى قول المتنبى :

ما زلت أحذر من وداعك جاهدا — حتى اغتدى أسفى على التوديع

---

(١٤٤) المنصف : ٢٥٥ •

يقول ابن وكيع : معنى هذا البيت أنى كنت أحذر الفراق ، فلما وقع البعد أسفت على التوديع ، لما نلت فيه من اللذة والعنق ، كما قال أبو تمام :

من يكن يكره الفراق فانـى آشتهيه لموضـع التسليم
ان فيه اعتناقـة لـوداع وانتظار اعتناقـة لقدوم

وكلام أبى تمام أشرح ، ومعناه ارجح فهو أولى بما اخذ عنه .

وقال المعلق : ليس فيه ذكر الحذر ، وليس مثله الكراهة ، ولا ذكر المجاهدة ، ولا الأسف ، ولم يكمل المعنى لأبى تمام الا بالتطويل ، فأبو الطيب أولى به (١٤٥) .

والمعلق محق فى حكمه لما فى بيت أبى الطيب من معان ليست فى بيتى أبى تمام ، حيث شغلهما بمعنى واحد ، وأخذ يشرح علته مكررا بعض الألفاظ ، فأطال فيما يغنى فيه الايجاز .

وفى بعض التعليقات ينقض المعلق الحكم بالسرقة ، لقيامه على مجرد الاشتراك فى لفظ ، ففى قول المتنبى :

فقد تيقن أن الحق فى يده وقـد وثقـن بـأن الله ناصره

يقول ابن وكيع : والمليح قول أبى تمام :

ما ان يخاف النصر من أيامه أحـد تيقـن أن نصرا ناصـره

ففى هذا البيت تجنيس من ذكر النصر وهو مصدر ، والنصر الذى هو اسم ، فقد زاد لفظه ورجح فصار أبو تمام به أحق .

---

(١٤٥) المنصف : ٢٠٣ . وينظر : ٣٨٧ ، ٤٣٤ .

ويتساءل المعلق عما اذا كان مجرد توافق البيتين فى لفظ النصر سرقة ! (١٤٦) وكأنه ينكر وقوع السرقة بين البيتين لعدم اشتراكهما فى شىء الا لفظ النصر •

ويجب أن نلحظ أن ابن وكيع لم يعبر هنا بلفظ السرقة ولا بما يشعر بها ، ولكنه قال : والمليح قول أبى تمام ••• وهذا لا يدل على أنه يحكم بالسرقة ، وقد بينا فى الفصل الثانى أن تعبير ابن وكيع عن السرقة يختلف تبعا لقوة دعواها وضعفها ، وعلى هذا فلا محل للتعليق •

ومن التعليقات ما يتصل بالمعنى ، وعدم فهم ابن وكيع له ، ففى قول المتنبى :

أمالك رقى ومن شـــأنه هبات اللجين وعتق العبيد

يقول ابن وكيع لو قال :

أما لك رقى ومن شأنه هبات النضار لنـــا والعبيد

كان أمدح ، لأن الذهب واهبه أسمح من واهب الفضة ، لنفاسته، وارتفاع قيمته ، والأمن من فساده اذا كثر ، وعتق العبيد يستعاض عليه بالأجر فى الآخرة ، والواهب العبيد يهبهـــم ليوصف بالجـــود لا ليعاض عوضا تصل اليه منفعته •

وقال المعلق : انما نشأ هذا الاعتراض من عدم فهم كلام المتنبى، كما يتفق للمطالع فى هذا الكتاب كثيرا • وانما أراد أن الممدوح مالك رقة بالاحسان ، ثم احترس من ما يفهم عنه من أن الممدوح يترك رقـــا مملوكا ، كأنه يخالف الناس فلا يملك الرق الا وأعتقه كرما وجودا • ثم لما كان الأغلب فى العبيد السواد ، ذكر أنه يخرج من ملكه الأبيض من

---

(١٤٦) المنصف : ٢١٢ •

اللجين والأسود من العبيد ، لا أنه يعتق العبيد سجية لكراهة اللون، لأن من سمع قوله « من شأنه عتقهم » قد يتوهم ذلك ، وأما قولـه : « هبات النضار أنا والعبيد » فانه معنى فاسد ، لا يتعلـق به قولـه « أمالك رقى » ، ولا جامع بينهمـا ••• ثم على تقـدير احتمال هذا العيب ، لا مخصص لهذين الشيئين ، فان الكريم من شأنه هبة كل شيء كالخيل والجوائز والحلل • وفيما ذكرناه اشارات الى ما لا يسعه المقام من بلاغة لفظ المتنبى ، وضعف لفظ المعترض ، فتأمل ! (١٤٧) •

فالمتنبى يقول : يا مالك رقى باحسانه ، ويا من شأنه أن يهب الفضة ويعتق العبيد ، دعوتك عندما انقطع رجائى فى غيرك ••• كما فى البيت التالى (١٤٨) •

وابن وكيع يرى تبديل الشطر الثانى بما اقترحه للاسباب التى أبداها ، واعترض عليه المعلق ذاما اياه بعدم فهم كلام المتنبى وهـذا كثير فى كتابه ، وبين المقصود من وجهة نظره وأطال فى ذلك •

وأرى أن المعلق وقع فى بعض الأخطاء حيث بين المقصود بـأن الممدوح يخرج من ملكه الأبيض من اللجين والأسود من العبيد ، وهذا قصور فى المدح ، لأن العبيد منهم غير السود كما قال ، وتوهم أنه قـد يفهم من قوله « من شأنه عتقهم » كراهة لونهم ، وهذا ما لا يمكـن توهمه من العبارة • واعترض على تخصيص الشيئين فى شطر ابن وكيع من غير مخصص ، وهذا الاعتراض ينسحب على شطر المتنبى أيضا لأنه ذكر أنه يهب اللجين والعبيد فقط ، والكريم من شأنه هبة كل شيء ، أما التخصيص الذى يعاب به شطر ابن وكيع وحده فهـو التخصيص بقوله « لنا » لأن هذا تقييد لعطاء الممدوح بكونه لهم وحدهم ، وهذا

---

(١٤٧) المنصف : ٢٥٣ •

(١٤٨) شرح العكبرى : ١/٣٤٥ وما بعدها •

قصور في المدح ، ولامراء في أن النضار أثمن وأفضل من اللجين وواهبه أكرم وأجود من واهب اللجين ولو قال ابن وكيع في شطره : هبـات النضار وعتق العبيد لكان حسن مما قال المتنبى ، ولا عـبرة بما ادعاه المعلق من قصد المطابقة بين الأبيض والأسود ، لأن المعنى مقـدم على الفن البديعى ، وفي شطر ابن وكيع عيب آخر لم يلحظه المعلق حيث فضل هبة العبيد على عتق العبيد ، ولفظ العتق أفضل لأنه يبين انسانية الممدوح وحبه لتحرير البشر وحريتهم ، ويظهر تمسـكه بأمـور الدين لأنه حريص على فعل ما حث عليه الشرع من عتق العبيد •

وفي قول المتنبى :

ورد اذا ورد البحيرة شاربا ورد الفرات زئـيرة والنيلا

يقول ابن وكيع : وتعظيم زئيره جيد ، وليس لصوت زئيره في الماء الا ما له في البر مع عدم الماء ، فكيف اقتصر على ذكر البحـيرة ، والفرات والنيل ؟ أتراه لا يسمع الا في ماء •

وقال المعلق : ألم يعلم أن مراده : يسمع زئيره من طبريه الى مصر والعراق ؟ (١٤٩) •

والمتنبى يصف أسدا بأنه ذو لون يضرب الى الحمرة ، وهو من شدته وعظم زئيره اذا ورد بحيرة طبرية شاربا وصل صوته الى الفرات والنيل (١٥٠) •

وعاب ابن وكيع المعنى ، لأنه لا يرى داعيا لتخصيص هذه المجارى المائية بالذكر ، لأن صوت الأسد يسمع في البر كما يسمع في الماء •

---

(١٤٩) المنصف : ٥٣٦ •

(١٥٠) شرح العكبرى : ٢٣٨/٣ •

وبين المعلق أن المقصود ليس المجارى المائية بذاتها ، ولكن الجهات التى توجد فيها ، فالبحيرة تعنى طبرية بالشام ، والفرات يعنى العراق والنيل يعنى مصر . وهذا فهم جيد لبيت المتنبى . وعليه تكون البحيرة والفرات والنيل كنايات عن أماكن وجودها ، وأرى أن المتنبى ذكر هذه الأماكن المائية لأنه يصف الأسد عند وروده البحيرة للشرب ، ومن عادته أن يزأر فى هذا الوقت لتجتمع حوله الأشبال للشرب فى حمايته ، ولما ذكر البحيرة شفعها بما يناسبها من الألفاظ فذكر الفرات والنيل ، فتم التناسب ، وتحققت مراعاة النظير ، بجانب الجناس بين ورد بسكون الراء فى صدر البيت وورد بفتح الراء ، وفى ذلك من الجمال ما لا يخفى .

ومن التعليقات ما يتصل بالمبالغة ، ففى قول المتنبى :

أبا أحمـــد ما الفخـــر الا لأهله   وما لامرىء لم يمس من بحتر فخر

يقول ابن وكيع : هذا تجاوز للحد ، وخروج عن الصدق ، انمـــا يصلح أن يقال هذا لمن له نسب متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الشعراء يتجاوزون الى الغاية فى المبالغة .

وقال المعلق : لعلك تظنه يؤلف قرآنا حتى ينزمه قول الصدق:ألم تسمع قولهم : أعذب الشعر أكذبه ؟! (١٥١) .

وقد أصاب المعلق فى نقده ، لأن المبالغة فى البيت غير ممقوتة ، ومن ثم أظهر ضيقه بابن وكيع وذكر عبارة شديدة لاذعة السخرية ، وكثير من تعليقاته لا تخلو من سخرية واستهزاء بابن وكيع (١٥٢) وما قدمناه يمثل أهم التعليقات الموجودة بهامش المنصف ، وقد رأينا منها أنهـــا تمثل وجهة نظر فى بعض أحكام ابن وكيع .

---

(١٥١) المنصف : ٢٨٣ .

(١٥٢) ينظر المنصف : ١٤١ ، ١٦٩ ، ٢٧٣ .

الخاتمــة

بينا فيما سبق ملامح المعركة النقدية بين ابن وكيع والمتنبى ، من خلال تحليلنا لكتابه « المنصف » ، وقد بدأنا حديثنا بتمهيد ألقينا فيــه الضوء على المعركة النقدية التى دارت حول المتنبى فى القرن الرابــع الهجرى ، وعرفنا بابن وكيع وبيئته وشاعريته وكتابه « المنصف » الذى سجل معركته النقدية مع المتنبى •

وخطونا الى الفصل الأول الذى خصصناه بدراسة مدخل ابن وكيع الى معركته النقدية ، وقد جاء فى مبحثين : الأول : فصلنا فيه نظرية ابن وكيع فى السرقات الشعرية بعناصرها وأقسامها ، وبينا رأينا فيها ، وموقف الباحثين منها •

والثانى : درسنا فيه فنون البديع التى أوردها فى كتابه من خلال حديثه عنها ، وبينا الأصول التى اعتمد عليها فى دراسة هذه الفنون وأظهرنا ما له من وجهات نظر فيها •

وانتقلنا الى الفصل الثانى ودرسنا فيه تطبيقات ابن وكيع لنظريته فى السرقات على شعر المتنبى ، وهو الجانب الأول من جانبى معركته النقدية ، وأبدينا بعض النظرات حول هذه التطبيقات جلينا فيها بعض ما شابها من عيوب •

ودلفنا الى الفصل الثالث ، وخصصناه بدراســة نقد ابن وكيع لشعر المتنبى ، وهو الجانب الثانى من جانبى معركته النقديــة ، وهو جانب عظيم الأهمية تتجلى فيه مقدرة ابن وكيع على النقد والتحليــل والموازنة ، وقد جاء هذا الفصل فى أربعة مباحث كبيرة تناولت النقــد المتصل بالألفاظ والمعانى والصور والصنعة •

ووصلنا الى الفصل الرابع ، وتحدثنا فيه عن تأثره بالسابقين فى ايجاز اعتمادا على ما سبق تفصيله فى الفصل الأول • ثم تحدثنا حديثا موسعا عن نقاد المتنبى المعاصرين لابن وكيع ومدى تأثره بهم وأبرزنا سبقه بتأليف كتابه ، وتقدمه على الصاحب بن عباد والقاضى الجرجانى• وتحدثنا بعد ذلك عن كتاب « المنصف » فى تراث المتأخرين وأشرنا الى عدد من الأدباء الذين تأثروا به ونقلوا عنه ، وختمنا هذا الفصل بتحليل بعض التعليقات التى وجدت على المنصف وأثبتها محقق الكتاب باعتبارها تمثل وجهة نظر فى بعض أحكام ابن وكيع •

وبعد هذه الجولة جاءت هذه الخاتمة ، وفى نهايتها نقف لنرصد النتائج التالية :

ـ اشتدت المعركة النقدية حول المتنبى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، واتسع رحاها فى أرجاء الدولة الاسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وقد أثرت الحركة النقدية اثراء كبيرا بما عقد فى ظلها من مجالس وندوات ، وما دون من رسائل وكتب •

ـ دخل ابن وكيع هذه المعركة النقدية مبكرا ، وخرج منها بأكبر مؤلف فى نقد شعر المتنبى وبين سرقاته فى هذه الفترة •

ـ يختلف كتاب ابن وكيع عن الرسائل والكتب التى ألفها النقاد فى هذه الفترة حيث تناول شعر المتنبى بالتحليل والنقد وبيان ما فيه من سرقات ، مرتبا ترتيبا زمنيا ، مبتدئا بأول شعر قاله ومتدرجاً معه الى نهاية شعره • بينما تناولت الكتب والرسائل الأخرى بعض الأبيات المعيبة فى شعر المتنبى دون نهج معين •

ـ لم يتأثر ابن وكيع بما كتبه الحاتمى ولا بما كتبه الصاحب بن عباد ، حيث يختلف منهجه عن طريقة كل منهما • وما يوجد من تشابه

فى بعض السرقات والنقود ، انما هو محصلة لما كان يدور فى المجالس الأدبية ويشيع على ألسنة الأدباء .

ـ قدم ابن وكيع لكتابه بمقدمتين فى السرقات والبديــع ، فبنى كتابه على أساس واضح ونهج محدد ، ومقدمته فى السرقات تمثل نظرية متكاملة الجوانب تأثر بها كثير من الأدباء ونقلوها عنه ، وعارضـــها بعضهم لما فيها من تحكم زائد عن الحد المطلوب فى التعامل مع النتاج الأدبى .

ـ لجانب النقد فى كتاب ابن وكيع أهمية كبيرة تزيد على أهميــة جانب السرقات ، وهو يمثل صورة واضحة للنقد التحليلى الذى يتناول جوانب الشعر المختلفة من ألفاظ ومعان وصور وصنعة .

ـ لم يكن ابن وكيع متعصبا ضد المتنبى بالقدر الذى شاع عنه واتهم به ، فقد أنصفه فى أحكام كثيرة ، ودافع عنه فى بعض المواطن ، وخلا كتابه من السب والشتم والهجاء المقذع الذى شاع فى رســائل الحاتمى والصاحب وغيرهما .

ـ ذاع كتاب ابن وكيع بين الأدباء ونقل عنه كثير منهم ، ونأمل أن يحتل مكانة جليلة فى الدراسات النقدية بعد نشره محققا .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل ،،،

المراجـــع

١ ـ الابانة عن سرقات المتنبى ـ أبى سعيد العميـــدى ـ ت ابراهيم البساطى ـ دار المعارف بمصر ط ٢ ٠

٢ ـ ابن وكيع التنيسى شاعر الزهر والخمر ٠ جمـــع وتحقيق د٠ حسين نصار ـ مكتبة مصر ١٩٥٣ م ٠

٣ ـ أبو الطيب المتنبى فى آثار الدارسين ٠ د/ عبد الله الجبـورى ٠ وزارة الثقافة بالعراق ١٩٧٧م ٠

٤ ـ اتجاهات النقد الادبى العربى ٠ د/ محمد الســعدى فرهود ٠ الطباعة المحمدية ـ مصر ٠

٥ ـ الاتجاه الاخلاقى فى النقد العربى ٠ د/ محمد بن مريسى الحارثى ٠ نادى مكة الثقافى الادبى ١٤٠٩ هـ ٠

٦ ـ أخبار أبى تمام ـ أبو بكر الصـــولى ٠ ت د/ خليل عســاكر ورفيقيه ـ المكتب التجارى ـ بيروت ٠

٧ ـ الاسس المبتكرة لدراسة الادب الجاهلى ٠ عبد العزيز مزروع ـ مطبعة العلوم ١٩٥٠ م ٠

٨ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلى ط ٣ ٠

٩ ـ الايضاح ـ الخطيب القزوينى ٠ ت د٠ محمد عبد المنعم خفاجى ـ الكليات الازهرية ٠

١٠ ـ بديع القرآن ـ ابن أبى الاصبع ـ ت د/ حنفى شرف ـ نهضـة مصـــر ٠

١١ ـ البديع ـ ابن المعتز ـ ت كراتشكوفسكى ـ العراق ٠

١٢ ـ البديع فى نقد الشعر ـ أسامة بن منقذ ـ ت د/ احمد بدوى و د/ حامد عبد المجيد ـ مصطفى الحلبى ٠

١٣ ـ البرهان فى علوم القرآن ـ الزركشى ـ ت محمد أبو الفضل ـ ط الثانية ٠

١٤ ـ بغية الايضاح ـ عبد المتعال الصعيدى ـ صبيح ·

١٥ ـ تاريخ الادب العربى ـ كارل بروكلمان ـ ترجمة د/ عبد الحليم النجار · دار المعارف ·

١٦ ـ تاريخ الادب العربى ـ عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ·

١٧ ـ تاريخ النقد الادبى عند العرب ـ د/ احسان عباس · دار الامانة بيروت ١٩٧١ ·

١٨ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة ـ ت السيد صقر ·

١٩ ـ تحرير التحبير ـ ابن أبى الاصبع ـ ت د/ حفنى شرف ـ ط. المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ·

٢٠ ـ تفسير أبيات المعانى من شعر أبى الطيب ـ المعرى ـ ت د/ مجاهد الصواف ود· محسن غياض ـ جامعة أم القرى ١٣٩٩ هـ ·

٢١ ـ خزانة الادب وغاية الارب · ابن حجة الحموى ـ ت عصام شعيتو ـ مكتبة الهلال ـ بيروت ·

٢٢ ـ دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجانى ـ ت محمود شاكر ـ الخانجى ·

٢٣ ـ ديوان المتنبى بشرح العكبرى · ت مصطفى السقا وزميليه · دار المعرفة بيروت ·

٢٤ ـ ديوان المتنبى بشرح الواحدى · ت فريدرخ ديتريصى · برلين ١٨٦١ هـ

٢٥ ـ ديوان المتنبى بشرح البرقوقى ـ دار الفكر ـ بيروت ·

٢٦ ـ ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين · بلاشير ـ ترجمة د/ احمد بدوى · نهضة مصر ط ١ ·

٢٧ ـ الرسالة الحاتمية ـ الحاتمى ـ ضمن كتاب الابانة · ت البساطى ـ دار المعارف ·

٢٨ ـ الرسالة الموضحة ـ الحاتمى ـ ت د/ محمد يوسف نجم • دار صادر بيروت ١٩٦٥ •

٢٩ ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي ـ ت عبد المتعال الصعيدي ـ صبيح •

٣٠ ـ السرقات الادبية ـ د/ بدوى طبانة ـ الانجلو مصر •

٣١ ـ شرح مشكل شعر المتنبى ـ ابن سيدة ـ ت د • محمد رضوان الداية • دار المأمون ـ دمشق •

٣٢ ـ شرح المعلقات السبع ـ الزوزنى ـ التجارية الكبرى •

٣٣ ـ شرح المقامات الحريرية ـ أبو العباس الشريشى ـ ط بولاق ـ ١٢٨٤ هـ •

٣٤ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ت احمد شاكر ـ دار المعارف بمصر ١٣٨٦ هـ •

٣٥ ـ الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ـ يوسف البديعى ـ ت مصطفى السقا وزميليه • دار المعارف ١٩٧٣ •

٣٦ ـ الصبغ البديعى فى اللغة العربية ـ د• احمد ابراهيم موسى ـ وزارة الثقافة ـ مصر •

٣٧ ـ الصحاح ـ الجوهرى ـ ت احمد عبد الغفور عطار ط ١٩٨٢ ـ القاهرة •

٣٨ ـ الصناعتين ـ أبو هلال العسكرى ـ ط الآستانة • وط الحلبى ت البجاوى وأبو الفضل •

٣٩ ـ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ ابن رشيق ـ ت محمد محيى الدين ـ دار الجيل ـ بيروت •

٤٠ ـ عيار الشعر ـ ابن طباطبا ـ ت د/ محمد زغلول سلام ـ منشأة المعارف ـ ١٩٨٠ •

٤١ ـ الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ـ صلاح الصفدى ـ المطبعة الأزهرية ١٣٠٥ هـ •

٤٢ ـ الفتح على أبي الفتح ـ ابن فورجة ـ ت عبد الكريم الدجيلي ـ وزارة الثقافة ـ بغداد سنة ١٩٨٧ .

٤٣ ـ الفسر ـ أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ـ ابن جني ـ ت د. صفاء خلوصي ـ بغداد .

٤٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة ـ دار الفكر ١٩٨٢ .

٤٥ ـ الكشف عن مساوىء المتنبي ـ الصاحب بن عباد ـ ضمن كتاب الابانة ـ دار المعارف ط ٢ .

٤٦ ـ ما يجوز للشاعر في الضرورة ـ القزاز القيرواني ـ ت المنجي الكعبي ـ الدار التونسية ١٩٧١ .

٤٧ ـ المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ـ د/ محمد عبد الرحمن شعيب ـ دار المعارف ١٩٦٤ .

٤٨ ـ المثل السائر . في أدب الكاتب والشاعر ـ ابن الاثير ـ ت د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة ـ نهضة مصر .

٤٩ ـ مجلة الفكر العربي مجلد ٤ عدد ١٤ السنة الثانية ١٩٨٠ بيروت.

٥٠ ـ مشكلة السرقات في النقد العربي ـ د. محمد مصطفى هدارة ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت .

٥١ ـ المطرب في أشعار أهل المغرب ـ ابن دحية ـ ت مصطفى عبد الكريم ـ الخرطوم ـ ١٩٥٤م .

٥٢ ـ المطول على التلخيص ـ التفتازاني ـ ط احمد كامل ـ ١٣٣٠هـ.

٥٣ ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموي ـ دار المأمون .

٥٤ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ طهران ١٩٦٥ .

٥٥ ـ معجم المصطلحات البلاغية ـ د/ احمد مطلوب ـ المجمع العلمي العراقي .

٥٦ ـ مفتاح العلوم ـ السكاكى ـ ط مصطفى الحلبى ط ١٩٣٧ ٠

٥٧ ـ المنصف فى نقد الشعر وبيان سرقات المتنبى ـ ابن وكيع ـ ت د/ محمد رضوان الداية ـ دار قتيبة ٠

٥٨ ـ الموازنة بين أبى تمام والبحترى ـ الآمدى ـ ت السيد صقر ـ دار المعارف ٠

٥٩ ـ المواعظ والآثار بذكر الخطوط والآثار ـ المقريزى ـ مؤسسة الحلبى ـ القاهرة ٠

٦٠ ـ مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) ابن يعقوب المغربى ط عيسى الحلبى ٠

٦١ ـ الموسوعة الثقافية ـ دار المعرفة ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ٠

٦٢ ـ نصرة الثائر على المثل السائر ـ صلاح الصفدى ـ ت محمد سلطانى ـ مجمع اللغة بدمشق ٠

٦٣ ـ نضرة الاغريض فى نصرة القريض ـ المظفر العلوى ـ ت نهى الحسن ٠ مجمع اللغة العربية دمشق ٠

٦٤ ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر ـ ت وخفاجى ـ الكليات الازهرية ١٩٨٠ ٠

٦٥ ـ النقد المنهجى عند العرب ـ د٠ محمد مندور ـ نهضة مصر ٠

٦٦ ـ هدية العارفين ـ اسماعيل البغدادى ـ دار الفكر ـ ١٩٨٢ م ٠

٦٧ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ القاضى الجرجانى ـ ت أبو الفضل والبجاوى ـ ط عيسى الحلبى ٠

٦٨ ـ الوسيط فى الادب العربى ـ الشيخ احمد الاسكندرى ٠

٦٩ ـ وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ـ خلكان ـ ت د/ احسان عباس الثعالبى ٠

٧٠ ـ يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر ٠ ت محمد محيى الدين ـ دار الفكر ـ بيروت ٠

موضـوعات الكتاب

الفصل الاول

مدخل ابن وكيع لمعركته النقدية : ٣٦ ـ ١١٨

الفصل الثانى

بيان سرقات المتنبى : ١١٩ ـ ٢٠١

الفصل الثالث

نقد شعر المتنبى : ٢٠٢ ـ ٢٧٦ موقفه من القديم والحديث ونظرته الى الشاعر : ٢٠٣

الفصل الرابع

بين التأثر والتأثير : ٣٧٧ ـ ٤٣٣

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩١/٣٦٢٠